أ.د.فتحي حسن نصّار

ليبيا

من الاحتلال الأسباني حتى الاستقلال
(1510 - 1951)

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

ليبيا
من الاحتلال الأسباني حتى الاستقلال
(1510 -1951)

أ.د.فتحي حسن نصّار

ليبيا

من الاحتلال الأسباني حتى الاستقلال

(1510- 1951)

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

أ.د. فتحي حسن نصَّار

ليبيا من الاحتلال الاسباني حتى الاستقلال

الطبعة الأولى : 2018 م

رقم الإيداع المحلي: 2018/452

رقم الإيداع الدولي: 2-962-25-9789959

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا تحسبن اللذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾

سورة آل عمران آية (169). .

الإهداء

- إلى روح الشهيد عمر المختار رمز حركة الجهاد الليبي.
- إلى أرواح جميع الشهداء اللذين قضوا دفاعا عن الوطن والحرية والمبادئ والقيم الإنسانية السامية.
- إلى كل المدافعين عن حقوق الإنسان حيثما وجد وأينما كان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو دينه.

قائمة المحتويات

المحتويات التفصيلية

الفصل الخامس :التمهيد الإيطالي لاحتلال ليبيا

المبحث الأول :التمخيد السياسي.

المبحث الثاني : التمهيد الاقتصادي.

المبحث الثالث :التمهيد الثقافي.

المبحث الرابع : النشاط الكشفي الايطالي.

الفصل السادس :الغزو العسكري الإيطالي لليبيا و بداية حركة الجهاد(1911 –1915)

المبحث الأول: ليبيا عشية الغزو الإيطالي

المطلبالأول: الإنذار الإيطالي للحكومة العثمانية بالتخلي عن ليبيا

المطلب الثاني: بداية الغزو الإيطالي لليبيا و حركة المقاومة 1911 - 1913

المطلب الثالث : حملة مياني على فزان و معارك الجنوب و المنطقة الشرقية خلال على 1913 - 1914

المطلب الرابع: معركة القرضابية، أسبابها، أحداثها، نتائجها

الفصل السابع :الحرب العالمية الأولى وأثرها على حركة الجهاد الليبي

- المبحث الأول: أثر الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في المنطقة الشرقية من ليبيا

- المبحث الثاني: أثر الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في المنطقة الغربية من ليبيا

- المبحث الثالث: محاولة الدولة العثمانية الاتصال بزعماء المجاهدين عام 1916م

- المبحث الرابع: مؤتمر مسلاته وقيام الجمهورية الطرابلسية 1918م.

الفصل الثامن :تنامي حركة الجهاد الليبي وموقف الفاشية الإيطالية منها 1923– 1931 م

- المبحث الأول: عمر المختار، بدايته الأولى وخلق جبهة موحدة

- المبحث الثاني: نظام الأدوار وتطبيق فكرة الشعب المسلح

- المبحث الثالث: الفاشية الإيطالية تحاول القضاء على حركة المجاهدين بعدة وسائل منها:

أولاً- احتلال المنطقة الغربية الساحلية من طرابلس حتى بن وليد

ثانياً- زحف القوات الإيطالية نحو القبلة والجنوب

ثالثاً- القضاء على حركة المجاهدين في المنطقة الشرقية

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

يسرنا تقديم كتاب " ليبيا من الاحتلال إلى الاستقلال، لارتباطه الوثيق بتاريخ حركة المقاومة للشعب العربي الليبي ضد الوجود الاستعماري بكافة أشكاله، من 1510-1951

لعل الحافز الذي ألح علينا في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، هو حاجة الطالب الجامعي في أقسام التاريخ والعلوم السياسية بصفة خاصة، والقارئ العربي بصفة عامة. متوخين سهولة عرض المعلومات، وترتيب الأحداث التاريخية بطريقة يسهل على الدارس استيعابها.

وحتى تتحقق الأهداف المرجوة ،من هذه الدراسة قمنا بتقسيمها إلى بابين : شمل الباب الأول، تمهيد تاريخي وأربعة فصول. تناول التمهيد التاريخي، تطور الأوضاع السياسية في ليبيا قبيل الاحتلال الأسباني-المالطي. في حين استعرض الفصل الأول، الاحتلال الصليبي الأسباني-المالطي لطرابلس الغرب، وسبل مواجهة الشعب العربي الليبي لهذا الاحتلال. وشرح الفصل الثاني: كيف تمكن العثمانيون من حكم ليبيا بعد تحريرها من فرسان مالطا، وما هي الأساليب والنظم التي أستخدمها الولاة العثمانيين في حكم ليبيا، والهّبات التي قامت ضدهم. ثم أوضح الفصل الثالث: كيفية وصول الأسرة القره مانلية لحكم ايالة طرابلس، في ظل الفراغ السياسي والفوضى والاضطرابات التي كانت قائمة مع نهاية الحكم العثماني الأول وسيادة الانكشارية، واستمرار أساليب الحكم كما كانت سائدة في العهد العثماني الأول، والى أي مدى كان الشعب العربي الليبي إلى جانب حكام هذه الأسرة، أو ضدهم ولماذا؟

وشرح الفصل الرابع: الظروف التي أعادت الحكم العثماني المباشر مرة أخرى لليبيا، وأهم مظاهر هذا الحكم.

أمّا الباب الثاني فقد تضمن خمسة فصول جاءت متسلسلة مع الباب السابق.

فناقش الفصل الخامس: التوغل الإيطالي السلمي لاحتلال ليبيا حيث مهدت الحكومة الإيطالية لذلك سياسياً واقتصاديا وثقافياً وعن طريق حركة النشاط الكشفي في **حين ناقش الفصل السادس**، الغزو العسكري الإيطالي والأعذار الواهية التي تذرعت بها إيطاليا لتبرير غزوها، وكيف واجه المجاهدون هذا الغزو المسلح، وحملة مياني على فزان وانتهى هذا الفصل بمعركة القرضابية وما حققته من نتائج على المستوى الإقليمي والدولي.

أمّا الفصل السابع فقد استعرض أثر قيام الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي في المنطقتين الشرقية والغربية ومحاولة الحكومة العثمانية الاتصال بالزعماء في طرابلس وانعقاد مؤتمر مسلاته وقيام الجمهورية الطرابلسية.

في حين شرح الفصل الثامن، تنامي حركة الجهاد الليبي وموقف الفاشية الإيطالية منها، وكيف تمكن شيخ المجاهدين عمر المختار من خلق جبهة جهادية موحدة وأنشأ الأدوار وطبق فكرة الشعب المسلح، ثم كيف واجهت الفاشية الإيطالية حركة الجهاد في المنطقة الغربية ومنطقة القبلة ومنطقة طبرق واستشهاد الشيخ عمر المختار وللظروف الوحشية التي اتبعتها القوات الايطالية المحتلة ،انتهت حركة المقاومة المسلحة. وبدأت حركة الكفاح السياسي 1932 – 1939

أمّا الفصل التاسع فقد تناول ليبيا منذ قيام الحرب العالمية الثانية 1939 م حتى حصول ليبيا على الاستقلال عام 1951 م. وانتهى الكتاب بخاتمة مركزة.

آمل أن تغطي هذه الدراسة، ما يصبو إليه أبناؤنا الطلاب والقراء الأعزاء في معرفة صفحات مشرفة من نضال ليبيا الحديث والمعاصر للوقوف على ما قدّمه هذا الشعب من تضحيات خالدة.

والله ولي التوفيق

أ.د. فتحي حسن نصّار

الباب الأول : ليبيا من 1510-1911

■ تمهيد تاريخي:

تطور الأوضاع السياسية في ليبيا قبيل الغزو الأسباني

الفصل الأول :

الاحتلال الصليبي (الأسباني-المسيحي) لطرابلس الغرب 1510-1551

الفصل الثاني :

أوضاع ليبيا السياسية أبان الحكم العثماني الأول 1551-1711

الفصل الثالث :

أوضاع ليبيا السياسية أبان الحكم القره مانلي 1711-1835

الفصل الرابع :

أوضاع ليبيا السياسية إبان الحكم العثماني الثاني 1835-1911

تمهيد تاريخي

تطور الأوضاع السياسية في ليبيا قبيل الغزو الأسباني

ارتبطت الملامح السياسية في ليبيا خلال القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين، بأهميتها الجغرافية والإستراتيجية. فلقد شهدت هذه الفترة الزمنية بروز قوتين متواجهتين دينيا وسياسيا. كانت تمثل إحداها، القوة الإسلامية بزعامة الأتراك العثمانيين. وكانت القوة الأخرى هي القوة المسيحية الكاثوليكية بزعامة الإمبراطور الأسباني فرديناند.

حاولت كل من هاتين القوتين، الالتفاف حول سواحل البحر المتوسط، الشمالية والجنوبية. وكانت ليبيا آنذاك مقسمة إلى ثلاثة أقاليم هي: طرابلس الغرب، برقة وفزان. ولم تكن لها حكومة مركزية واحدة، فقد تنازعتها عدة قوى مختلفة، وتعرضت لكثير من الهجمات الأوربية، فكثرت فيها الاضطرابات، وانتشرت الأمراض التي فتكت بالسكان.

وكانت الأوضاع السياسية كالتالي :

1- **طرابلس الغرب:** ونقصد بها منطقة الشمال الغربي من ليبيا، بدءا من جبال نفوسة حتى الساحل المتوسطي عند مدينة سرت [1]. وقد خضعت هذه المنطقة لحكم الحفصيين منذ القرن الثاني عشر(1126 م)، وباشروا الحكم عليها من تونس، فعينوا لها الولاة. ثم زال حكمهم عنها نتيجة لضعفهم، فخضعت لحكم أصحاب النفوذ المحليين، كيني ثابت (1324-1400) م، وهم من طليعة العائلات البدوية المستقرة والثرية. وعادت سلطة الحفصيين مرة أخرى 1400-1460 م، حتى تمكن الشيخ منصور من حكمها 1460-1471 م، ودانت له بعض مناطق ترهونة، بني وليد، مسلاتة، زوارة وغريان، وبعد وفاته في العام ذاته، تولى حكم طرابلس، أحد أعيانها المسمى يوسف، الذي حكم هذه المنطقة لمدة عشر أعوام حتى 1480 م، ثم تمت البيعة للمدعو مامي في الجامع الكبير، وكان شيخا طاعنا في السن فتوفي عام 1492 م. وفي العام نفسه تولى حكم البلاد، أحد شيوخ طرابلس وهو عبد الله بن شرف، الذي يكتسي حكمه بأهمية خاصة بفعل الصراع القائم في حوض البحر المتوسط بين الإمبراطوريتين العثمانية والأسبانية.

كان هذا الشيخ ضابطا متقاعدا، تمتع بالورع والتقوى والزهد والتعبد حتى لقب بالمرابط وبأبي البركة. وهذه الصفات كانت سببا في اختيار أهالي طرابلس له حاكما عليهم[2].

وأستمر حكمه حتى عام 1510 م، حيث وقعت البلاد في قبضة الاحتلال الأسباني.

وكانت سرت تتبع أسميا لحكومة طرابلس، وتتميز بأهمية تجارية، كواسطة بين داخل القارة الأفريقية، وأوربا في نقل الرقيق وريش النعام والجلود والسنور والمسك وغير ذلك. كما شكل أهلها قوة عسكرية لعبت دورا مهما في ردع غارات الأعراب والذود عن استقلالهم، إزاء محاولات الحكام الحفصيين السيطرة عليهم. وقد ظلت صحراء سرت، بعيدة عن الاستقرار السياسي والسكاني.

2- منطقة برقة:

كانت برقة تابعة للحكومات المركزية في مصر، كالفاطميين والأيوبيين والمماليك. إلا أن هذه التبعية لم تكن دوما كاملة السيادة، لكثرة الحركات الانفصالية والبعد عن مركز الحكم.و ظلت السلطة الفعلية في أيدي زعمائها و شيوخ القبائل فيها، من بني هلال، و بني سليم، الذين ألحقوا أضرارا بالغة بالمباني العمرانية، و تقهقرت الزراعة و اضمحلت التجارة، وسادت المنطقة الفوضى و عمها الفقر.

و لما احتلت القوات العثمانية بلاد الشام 1516 م، و احتلت مصر 1517 م، انتقلت التبعية السياسية الاسمية في برقة للدولة العثمانية.

3- منطقة فزان:

تمتعت فزان باستقلال ذاتي نظرا لظروفها الصحراوية، بعدها عن الساحل وصعوبة المولصلا ت آنذاك، و قد تميزت هذه المنطقة بثرائها نتيجة التبادل التجاري مع دواخل القارة الأفريقية، و بعض منتجاتها الزراعية كالتمور.

فتوالت خلال القرن الخامس عشر ميلادي عدة سلطات سياسية حكم فزان، بدءا من خضوعها للسلطة الكانمية، نسبة إلى حكام كانم، ثم لقبائل الجرمانية، الممتدة إلى وادي الآجال كذلك خضعت لسلطة الطوارق التي كانت منافسة للجرمان.

استغل أحد أدلاء قوافل الحجاج الفاسيين، رصيده العلمي و الديني، وهو الشيخ محمد الفاسي، فتولى حكم هذه المنطقة، بمساعدة شيوخ قبائلها [3]، و وسع نفوذه تجاه جرمة للسيطرة على كامل منطقة فزان عام 1550 م، مؤسسا بذلك دولة وراثية استمرت حتى نهاية القرن السادس عشر و بداية القرن السابع عشر الميلاديين.

■ هوامش التمهيد التاريخي

1- محمد الحراري عبد السلام، ليبيا بمركبات الرجالين المغاربة في القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، طرابلس: شعبة التثقيف والاعلام، ط1، 1998، ص62.

2- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة محمد عبد الكبير الوافي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط2، 1983، ص63. انظر أيضا: كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510-1850، تعريب، خليفة محمد التليسي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، 1985، ص24.

3- عبد اللطيف محمد البرغوثي، تاريخ ليبيا الاسلامي من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي، بيروت: دار صادر، 1393 هـ، ص445.

الفصل الأول:

لاحتلال الصليبي (الأسباني-المسيحي) لطرابلس الغرب 1510-1551

- **المبحث الأول: أسباب الغزو الأسباني لطرابلس الغرب**

المطلب الأول: المصادر العربية وتفسيرها الخيالي للغزو الأسبان

المطلب الثاني : الدوافع الحقيقية للغزو الأسباني

المطلب الثالث : تشكيل وإعداد الحملة الصليبية الأسبانية لغزو طرابلس ورد فعل السكان وما ترتب على ذلك

- **المبحث الثاني : سقوط طرابلس الغرب في أيدي القوات الأسبانية 1510-1530**

المطلب الأول: أصداء سقوط طرابلس بيد القوات الأسبانية

المطلب الثاني: المقاومة الشعبية الليبية للاحتلال الأسباني

المطلب الثالث: تنازل الملك شارل الخامس عن طرابلس لفرسان مالطا 1530-1551

المبحث الأول: أسباب الغزو الأسباني لطرابلس الغرب

المطلب الأول: المصادر العربية وتفسيرها الخيالي للغزو الأسبان

لعله من المفيد القول الإشارة، أنه لا نكاد نجد في المصادر التاريخية العربية القريبة من عهد الغزو الأسباني لطرابلس الغرب، ما يساعدنا على تقصي الأسباب الواضحة لهذه الغزوة الصليبية الشرسة، على بلاد المغرب العربي بصفة عامة، وطرابلس الغرب بصفة خاصة.

فقد حاولت بعض الروايات الشعبية، تفسير الغزو الأسباني لهذه المدينة، تفسيرا خياليا، يشير إلى أنه كان هناك من بين السكان خوّنة، سلموها للنصارى. و تشيربعض هذه الروايات إلى أن حاكم طرابلس (الشيخ عبد الله ابن شرف)، دفع به تعصبه الديني إلى إعداد سفن شراعية صغيرة، للقيام بالقرصنة ضد النصارى، فقاموا بمهاجمة بلاده. وكأن الأمر مجرد ردة فعل ليس إلا !

وهناك روايات أخرى ترجع هذا الغزو إلى حالة الترف التي عاشها أهل طرابلس الغرب مما جعلهم يهملون التسليح، لدرجة أنه لم يكن لديهم السكاكين في منازلهم، الأمر الذي أدهش بعض التجار الأسبان عند قدومهم بسفينتين يحملان البضائع إلى ميناء طرابلس، فخرج إليهم أحد التجار الطرابلسيين، فاشترى بضاعتهم، ونقد لهم ثمنها، ثم استضافهم أخر، فصنع لهم طعاما، ودق عليه ياقوته ثمينة، فلما فرغوا، قدم لهم بطيخا أخضرا، ولم يكن لديه سكينا لقطعه، ولا عند الجيران، فاضطروا للذهاب إلى السوق فأتوا بسكين.

ولما عاد هؤلاء التجار إلى أسبانيا، وقالوا لملكهم ما رأينا بلدا (طرابلس) أكثر منها مالا وأقل سلاحا، وأعجز أهلا عن مدافعة عدو، فجهز الملك حملة عسكرية لاحتلالها [1].

هكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق، مدى المبالغة في الخيال. لكننا نستنتج أن طرابلس الغرب كانت بلادا غنية، وأن أهلها يعيشون في رغد من العيش ومنشغلون بالتجارة ومسالمون.

المطلب الثاني: الدوافع الحقيقية للغزو الأسباني لطرابلس الغرب

يذكر بعض المؤرخين أن ظهور الدولة العثمانية كقوة عظمى في شرق البحر المتوسط، أصبح يهدد المصالح الأوربية الاستعمارية والتجارية، لذلك لم بهمل الملك الأسباني هذه

القوة الناشئة والفتية، التي رفعت شعار حماية الإسلام والمسلمون أينما كانوا.

وبعد سقوط غرناطة 1492 م، التي كانت تمثل أخر معقل إسلامي في شبه جزيرة ايبيريا، لا شك أن نشوة النصر والفوز التي امتلأت بها روح الأسبان، بقيادة ملكهم فرديناند داراغونا، وزوجته الملكة ايزابيلا دى كاستيليا المتوفاة عام 1504 م، كانت الحافز الأساسي في تتبع المسلمين الفارين بدينهم وأرواحهم من الأندلس إلى الساحل الشمالي للقارة الأفريقية.

لذا قرر الملك الأسباني ورئيس وزرائه المدعو اكسمينس* الكاثوليكي المتعصب، احتلال طرابلس الغرب لتكون قاعدة الانطلاق شرقا وغربا في حملات التنصير والاستعمار الأسباني. وكان اختيارهما لهذه المدينة يعود لعدة أسباب منها [2]:

1- كانت طرابلس الغرب، أغنى المناطق المغاربية عموما، باقتصادها التجاري النشط الحيوي، يشهد على ذلك القول بأن تونس كانت غنية بالأثاث والمعدات، بينما تفوقت طرابلس في الذهب والفضة واللآليء، وكل السلع، بفضل التجارة [3].

2- كانت تحتل سوقا تجاريا كبيرا ما بين أوربا وأواسط أفريقيا، وكذلك ما بين مصر وباقي الأقطار المغاربية، يساعدها في ذلك موقعها الجغرافي الممتاز. فعلى مدى عصور التاريخ، كانت هناك تجارة واسعة في هذه المدينة، وكانت تتردد عليها السفن المدنية والحربية، وتكثر فيها المساجد والمدارس والمستشفيات، وكانت شوارعها أكثر تنظيما من شوارع تونس [4].

إذن كانت الأسباب الحقيقية للغزو الأسباني تعود بالدرجة الأولى إلى الأوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك، والى السياسة الأوربية المتعصبة الرامية إلى ملاحقة المسلمين والانتقام منهم بعد سقوط القسطنطينية على يد القوات الإسلامية العثمانية عام 1453 م، وكذلك بعد طرد المسلمون من الأندلس بسقوط غرناطة 1492 م، ونتيجة الصراع البحري الإسلامي، الصليبي في حوض البحر المتوسط، مما يجعلنا نضع الحملات الأسبانية على الشمال العربي الأفريقي، امتدادا للحملات الصليبية على المشرق العربي من قبل.

المطلب الثالث : تشكيل وإعداد الحملة الصليبية الأسبانية لغزو طرابلس ورد فعل السكان وما ترتب على ذلك

دب الحماس في كافة أرجاء أسبانيا وايطاليا، اثر الدعوة الصليبية للكاردينال أكسمينس، فأصدر الملك الأسباني فرديناند، قرارا بتشكيل الحملة العسكرية، بقيادة الكونت بيثرو دي نافا، قائد الأسطول الأسباني [5]. وكانت تتكون من مائة وعشرين سفينة أسبانية، ونحو خمسة عشر ألف جندي أسبابي، بالإضافة إلى مشاركة ثلاثة آلاف من الجنود المالطيين والإيطاليين، مع مئات أخرى من المتطوعين والقراصنة والمغامرين [6]. في حين أشارت بعض المراجع إلى أن طرابلس، هوجمت بحوالي أحد عشرة ألف جندي [7].

اذن أعد للأمر عدته من قوات ضخمة وأسطول كبير ومشاركات لقوات أوربية ومرتزقة، وليس الأمر، مجرد نزهة، ولم يكن وفقا لروايات التجار كما ذكرت المصادر العربية المعاصرة، بل أن حكومة أسبانيا كانت على علم أن سكان طرابلس سوف يدافعون على مدينتهم بكل ما أوتوا من إمكانات فهم ليسوا أعجز أهلا عن مدافعة عدو.

رأى قائد تلك الحملة العسكرية، الكونت بيترو دي نافارا ومجلسه العسكري، تحييد القوة المغاربية القريبة من طرابلس الغرب، لمنعها من التدخل ومساعدة إخوانهم الطرابلسيون. ولتحقيق هذا الهدف، توجه بأسطوله نحو الجزائر، فاستولى على تلمسان والمرسى الكبير عام 1505 م، كذلك استولى في 5 يناير 1510 م، على موانئ وهران وبجاية، وحطم ما فيها من قطع بحرية عسكرية. ثم توجه بحملته العسكرية نحو تونس، وقام بمحاصرتها، وأرغم حاكمها الحفصي على الالتزام بالطاعة والولاء للحكم الأسباني.

عاد بعد ذلك بقواته إلى ميناء فافينتال الإيطالي بهدف إراحة جنوده، وإعادة تشكيل قواته، لوصول قوات بحرية أخرى من نابلي وصقلية. ثم توجهت حملته العسكرية إلى ميناء غوزو المالطي لتزود بالمياه والغذاء، والاستعانة بعدد من المرشدين المالطيين الذين خبروا السواحل الليبية الطرابلسية، ومنهم بيلا (Abella) الذي كان على معرفة بمداخل ومخارج مدينة طرابلس، لتردده بصورة مستمرة كتاجر محترف على الموانئ الطرابلسية [8].

وقبل التوجه إلى الساحل الطرابلسي، عرج الأسطول الأسباني على جزيرة جربة في يوليو 1510 م، كمحاولة لاحتلالها لتكون قاعدة انطلاق للقوات الأسبانية باتجاه الأراضي الطرابلسية، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، بسبب شدة مقاومة أهلها [9].

ثم أبحرت قطع الأسطول الأسباني، باتجاه طرابلس الغرب في فجر 20 من نفس

الشهر. وكانت أخبار تلك الحملة العسكرية الأسبانية، قد تسربت لأهالي طرابلس قبل وصولها بنحو شهر، مما أدى ببعض الأهالي للهجرة إلى الدواخل، خوفا على أرواحهم وأموالهم، ولم يبق في طرابلس، سوى المجاهدون الذين استعدوا للدفاع عن مدينتهم بقيادة حاكمها الشيخ عبد الله بن شرف، وصعدوا فوق الأسوار وعلى القلاع [10].

أورد الجنرال قائد الحملة الأسبانية، الكونت بيترو دي نافارا، قصة احتلال مدينة طرابلس الغرب في رسالة (تقرير) بتاريخ 29 يوليو من نفس العام، كانت مرسلة إلى نائب الملك الأسباني في صقلية بعد أربعة أيام من هذا الاحتلال الذي تم يوم 25 من الشهر نفسه.

وقد تضمنت هذه الرسالة المعلومات التاريخية التالية:

نزل إلى البر في ساعات قليلة نحو 6،000جندي قان نصفهم بمهاجمة المدينة (طرابلس)، وقام النصف الأخر بحماية المهاجمين، وتأمين عملية الهجوم ضد المقاومين العرب من المناطق الريفية المجاورة. وقد استولى المهاجمون على المدينة بعد مقاومة عنيفة، فقد كان الطرابلسيون يقاومون بعنف [11].

باستقراء الرسالة السابقة يتضح لنا مدى الإغراق في الخيال للروايات السابقة التي تقول أن الطرابلسيين كانوا مجردين من السلاح. فقد دلل نص هذه الرسالة على توكيد أن القتال كان يدور عنيفا من البر والبحر، وكان أهالي طرابلس يردون على الغزاة بقذائفهم، وبإلقاء الصخور والسهام. وان القتال قد تواصل، وأصبح الفريقان في حالة من التعب والإعياء [12].

أخيرا بعد هذه المقاومة، تمكن بضعة جنود من فتح البوبات، فدخلت بقية الجنود. عندئذ أصبح من الصعوبة بمكان مواصلة الأهالي المقاومة والصمود. فكفوا عن القتال، وانسحب الشيخ عبد الله بن شرف مع أسرته إلى داخل السرايا، واحتمى بقية المقاومين في الجامع الكبير، فيما ظلت مجموعة من هؤلاء مستمرة في القتال داخل الأبراج حتى هبوط الليل، فاقتحم الغزاة الجامع الكبير، وقتلوا أكثر من ألفي شخص، تلا ذلك الانسحاب من الأبراج.

وبعد مقاومة لم تدم طويلا، سلّم الشيخ عبد الله بن شرف، نفسه، شريطة عتق رقبته هو وصحبه، فألقي القبض عليه، وتم نقله بعد ذلك إلى جزيرة صقلية، وأودع السجن إلى

أن رأى الأسبان أن من مصلحتهم إعادته لمدينة طرابلس لتهدئة الأوضاع فيها وامتصاص غضب الجماهير الثائرة ضدهم، فعاد هذا الشيخ بعد عشرة سنوات، كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد.

تم الاستيلاء على طرابلس الغرب يوم 25 يوليو 1510 م، ورفع العلم الأسباني عليها، بعد إراقة دماء أهلها دفاعا عن أرضهم وشرفهم ودينهم، فحيثما توجهت، تعثرت الأرجل في جثث الأطفال والنساء والشيوخ والشباب. فكان الاحتلال مجزرة إرهابية بكل ما في الكلمة من معنى من أجل مرضاة البابوية والصليب.

فقد اعترفت المصادر الأسبانية بمقتل نحو ثلاثمائة من رجالهم منهم كبار الضباط وأمرائهم كقائد الأسطول والمساعد الأول للقائد العام للحملة. وتختلف المصادر في عدد القتلى الطرابلسيين فبعضها يشير إلى نحو ستة آلاف قتيل وأسر خمسة عشر ألفا والأخرى تذكر أن عدد القتلى نحو خمسة ألاف وأعداد لا تحصى من الهاربين. أمّا الغنائم فكانت ضخمة من الذهب والجواهر والفضة والأثاث بالإضافة إلى عدد من البواخر وثروات المدينة الأخرى [13].

بعد ذلك، عهد قائد الحملة العسكرية الأسبانية (الكونت بيترو دي نافارا) إلى مساعده (دون خايمي بيدرو ريكيزيس) بتولي حكم طرابلس الغرب، وترك له من القوات والمعدات والأسلحة، ما يضمن له السيطرة الكاملة عليها، ثم عاد مع بقية قواته مصطحبا معه عبد الله بن شرف الدين وأسرته وعدد من أتباعه.

- المبحث الثاني : سقوط طرابلس الغرب في أيدي القوات الأسبانية 1510-1530

المطلب الأول : أصداء سقوط طرابلس بيد القوات الأسبانية لدى دول أوربا والعالمين العربي والإسلامي:

بمجرد سقوط مدينة طرابلس الغرب في يد الغزاة الأسبان، عم الفرح والابتهاج غالبية دول الجنوب الأوربي، فقد أقام نائب الملك الأسباني في صقلية احتفالات كبيرة، عبرت عن مدى سعادة سكان هذه الجزيرة بهذا النبأ، وصنعوا وساما تذكاريا بتلك المناسبة.

كما شجع هذا النجاح العسكري للحملة الأسبانية على طرابلس، ملوك أسبانيا على أن يدفعوا بحملات مماثلة نحو أفريقيا. فقاد الملك فيليب الثاني بنفسه حملة، كانت تهدف إلى توسيع رقعة انتصاراته ضد المسلمين في الشمال الأفريقي [14].

استمرت مهرجانات فرح سقوط طرابلس في دول أوربية أخرى، فدعا مندوب البلاط البابوي في بولونيا، جميع المسيحيين إلى تنظيم مظاهرة فرح كبيرة، وتبادل حاكم البندقية التهاني مع ملك أسبانيا ونائبه في صقلية. كما شاهدت روما احتفالات كبيرة بهذه المناسبة، ونظم البابا موكبا دينيا، ووصلت التهاني من المرشد الأكبر لفرسان القديس يوحنا في رودس، حاثا الأسبان على مواصلة حملاتهم ضد أفريقيا الشمالية، عارضا خدماته في هذه المهمة (السامية) حسب زعمه (15)!

إن هذه الكرنفالات السابقة، تذكرنا بمظاهر البهجة والفرح لدا أوربا الصليبية عندما سقطت المدن الإسلامية في أيدي الصليبين أثناء الحروب الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، على المشرق العربي.

كان ذلك بالنسبة لأوربا، لكن الأمر أختلف بالنسبة للعالمين العربي والإسلامي، حيث أثار سقوط طرابلس بيد الأسبان مشاعر الأسى والحزن في نفوس العرب والمسلمين، فاجتمع عدد من المغاربة كانوا في الإسكندرية بمجرد سماعهم نبأ سقوط طرابلس، اجتمعوا في أحد المساجد، وتشاوروا في الأمر، وكتعبير عن غضبهم قاموا بمهاجمة فندق للأسبان في الإسكندرية، وألحقوا به أضرارا بالغة [16]. ولم يختلف الأمر في باقي الأقطار العربية، لكن هذا التعبير لم يتجاوز، إظهار مشاعر الحزن والأسى بالقلب واللسان، وكان ذلك أضعف الإيمان. ولعل السبب في ذلك، كان يعود إلى أوضاع البلدان العربية السياسية المضطربة.

أما الدولة العثمانية زعيمة العالم الإسلامي آنذاك، فقد عبرت عن غضبها واحتجاجها، وأعلنت أنها سوف تدافع عن طرابلس، لأنها كانت تدرك أن الخطر يهدد بقية ممتلكاتها، ويضع تجارتها وبحريتها في خطر عظيم.

المطلب الثاني : المقاومة الشعبية الليبية للاحتلال الأسباني

بدأت حركة المقاومة الشعبية الطرابلسية منذ اللحظة التي وقعت أقدام الغزاة الأسبان أرض هذه المدينة. فانتظموا في مجموعات أخذت في مهاجمة معاقل المحتلين فقضّت مضاجعهم وجعلتهم يعيشون حالة من الاضطرابات والقلق وعدم الاستقرار. وأقدم سكان ضواحي مدينة طرابلس بمهاجمة أسوار هذه المدينة وتسلقوها، لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أية انتصارات على هؤلاء المحتلين الأسبان، بسبب تحصنهم داخل القلعة والأبراج

المحيطة بها، وما كانوا يمتلكونه من معدات وذخائر.

بعد عام من هذا الاحتلال في فبراير 1511 م، أعاد المجاهدون الكرّة من جديد، حيث أمدهم والي تونس (محمد بن الحسن الحفصي) بقوة كبيرة، فأصبح عدد المهاجمون نحو أربعين ألف وتمكنوا من حصار طرابلس لمدة سبعة شهور، لم يتمكن الأسبان من مغادرة أسوار قلعة طرابلس طيلة مدة الحصار، ومنعوا من أية محاولة اتصال لهم بالدواخل والمراكز الساحلية الأخرى. ولم ينقذهم من هذا الحصار سوى لجوئهم إلى تجميع كتلة من المتفجرات القوية، وألقوا بها خارج أسوار طرابلس وسط حشود المجاهدين، فقتلت وأصابت عددا منهم واضطروا لفك الحصار [17].

أصبح الليبي مصدر رعب مقيم لهؤلاء الغزاة. فكانت أسوار طرابلس، لا تفتح إلا سويعات قليلة من النهار، وتغلق كليا في الليل، ويظل الحراس مرابطين فوق الأسوار وأبراج القلعة، وأيديهم على الزناد تأهبا لأي طارئ.

أمام هذا الواقع المخيف الذي عاشته القوات الأسبانية، استنكف الأسبان عن الهجرة إلى طرابلس مما دفع بالملك الأسباني إلى فتح باب الهجرة الموسعة للأوربيين الراغبين في الإقامة والاستيطان بمدينة طرابلس الغرب، وفي نفس الوقت، أصدر نائب ملك صقلية منشورا بتاريخ 16 أكتوبر 1511 حاثا فيه الإيطاليون والأسبان بالهجرة إلى طرابلس الغرب، حيث المزايا بوجود الأراضي الزراعية الخصبة والإعفاء من الضرائب والرسوم لمدة عشرة أعوام غير ذلك من المحفزات. ومع ذلك لم يستحب له أحد، فأقدم على إغراء المجرمين والخارجين على القانون في تلك الدول، بأن الدولة سوف تعفو عن جرائمهم المدنية والجنائية، إذا هاجروا إلى طرابلس وسكنوها، فتحايل بعضهم على هذا القانون، فكانوا يحضرون إلى طرابلس لمدة قصيرة، فإذا ما حصلوا على العفو غادروها بلا رجعة [18].

لقد حول المجاهدون الليبيون، حياة أولئك الغزاة إلى جحيم واستنزاف دائم ورعب مقيم، قتال ومعارك يومية، وإفلاس اقتصادي وخزينة خاوية، وعدم الشعور لا بالأمن ولا بالاستقرار.

حاولت السلطات الأسبانية المحتلة، استرضاء الليبيين ليكفوا عن مقاومتهم وكان أبرز عمليات الاسترضاء هذه، هو إطلاق سراح عبد الله بن شرف وإعادته من منفاه عام

1520 م إلى طرابلس، لتهدئة الأوضاع.

لكن المجاهدين لم يكفوا عن مواصلة قتالهم، بل عملوا بطريقة أكثر شدة، فكان على تلك السلطات إيجاد مخرجا سريعا من هذا المأزق، يحفظ ماء الوجه. وزاد الأمر خطورة لهِؤلاء الغزاة، أن الإمبراطورية العثمانية عام 1520 م، قد أثبتت وجودها في الركن الغربي من البحر المتوسط، وذلك بما قدمته من مساعدة عسكرية للأخوين عروج وخير الدين بربروصا، حين تم الإعلان عن الجهاد ضد الأسبان خاصة، والدول الأوربية عامة، وتحولت السواحل الجزائرية إلى قاعدة لهما للقيام بعملياتهما العسكرية، ضد الحاميات الأسبانية في المدن العربية المحتلة، غير أن عملياتهما الجهادية لم تكن قد وصلت إلى طرابلس الغرب.

أرسل أهالي مدينة تاجوراء (مركز المقاومة)، وفدا إلى استانبول عام 1520 م، طالبين المساعدة من السلطان العثماني (سليم الأول)، الذي استجاب لهم، وأرسل معهم فرقة من الجنود، بقيادة مراد أغا، الذي أصبح قائد المقاومة الشعبية ضد القوات الأسبانية والمالطية في تاجوراء [19].

بعض المؤرخين يشككون في صحة إرسال مثل هذا الوفد، عبر هذه المسافة الطويلة، ويرجح إمكانية الاتصال بالأسطول العثماني الذي كان مرابطا قرب السواحل الجزائرية، بقيادة درغوث باشا، لمساعدة القرصان خير الدين بربروصا [20]. وفي كل الأحوال تمكنت بعض القوات العثمانية من النزول في تاجورة والانضمام للمقومة الليبية.

المطلب الثالث: تنازل الملك شارل الخامس عن طرابلس لفرسان مالطا 1530-1551

نتيجة توالي الأحداث الأوربية، التي أذهلت الملك شارل الخامس، وصرفته عن التفكير في التشبث بطرابلس الغرب، وهي الحروب الإيطالية عام 1227 م بالإضافة إلى شدة المقاومة الشعبية الليبية، واستجابة إلى رجاء البابا كلمنت السابع الذي كان يعطف على حركة فرسان القديس يوحنا (فرسان مالطا).

هذه الأسباب، جعلت الملك شارل الخامس يقبل على التنازل عن طرابلس الغرب إلى فرسان مالطا، فوقع في 23 مارس من نفس العام مرسوم التنازل، وقام الحاكم الأسباني لطرابلس الغرب عام 1530م، باسم الملك شارل الخامس بالتنازل إلى قيادة هيئة فرسان مالطا، نظير اشتراكهم في مقاومة أعمال البحرية العثمانية، الذي كان يشنها خير الدين

بريروصا، ولم يطلب هذا الإمبراطور سوى مبلغ من النقد الذهبي.

والسؤال من هم فرسان القديس يوحنا ؟

هم في الأصل هيئة خيرية دينية، كانت تتولى رعاية أحد الملاجئ في القدس، وتقديم المساعدة للمحتاجين من الحجاج المسيحيين الذين كانوا يقصدون الأراضي المقدسة في فلسطين.

وعندما قامت الحروب الصليبية، تحولت هذه الهيئة الخيرية إلى منظمة دينية عسكرية، وضعت نفسها تحت رعاية القديس يوحنا. ومع أن أعمال هذه المنظمة، كانت تتركز في القيام على شؤون المستشفيات، غير أنه أصبح لرجالها مهام عسكرية، وشاركوا في الدفاع عن الأراضي التي احتلها الغزاة الصليبيون، وصارت لهم أملاك شاسعة في بلاد الشام.

وبعد أن حررت قوات صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس عام 1187 م، من الصليبيين، أستقر بعض هؤلاء الفرسان في مدينة عكا حتى عام 1291 م، حيث تم تحرير كامل التراب الفلسطيني من الصليبيين. فاتجهت هيئة الفرسان إلى جزيرة قبرص، وتمكنوا من احتلال جزيرة رودس، وبعض الجزر المجاورة لها عام 1506 م، وأقاموا بها دولة صليبية تحت حماية البابا.

وفي عام 1522 م، تمكنت القوات العثمانية في عهد السلطان سليم الأول من طردهم من رودس. فاتصلت قيادة هؤلاء الفرسان بعد ذلك عام 1524 م، بالملك الأسباني (شارل الخامس) مبدية رغبتها في مالطا أو طرابلس الغرب. فتم اختيار ثمانية من هؤلاء الفرسان بمثابة مندوب عن كل لغة أو جنسية، حيث كانوا مقسمين إلى ثمان لغات أو أمم [22]. فقام هؤلاء الثمانية بزيارة مالطا وطرابلس، وبعد هذه الزيارة، قدموا للملك الأسباني تقريرا حول أحوال قلعة وميناء طرابلس.

بعد تنازل الملك شارل الخامس عن طرابلس لفرسان مالطا، نتيجة للأحداث السابق **ذكرها، توالى على حكمها عشرة من زعماء هيئة فرسان مالطا من 1530 حتى 1551 وهم** [23] :-

1- جاسبار دي فاليرس سانجوسا 1531-1530

2- برنار دي نوما شادو 1532-1531

3- اوريليو بو تيجلا 1533-1532

4- غارسيا كورتس 1535-1533

5-	جورج سكيلبخ	1537-1535
6-	فرناردو برا كامونتي	1544-1537
7-	كريستوفر دي سوليس فرفان	1546-1544
8-	جيوفاني لافاليتي (مرشد أكبر)	1549-1546
9-	بيترو نونيز دي هريرا	1551-1549
10-	جاسبار دي فالليس	ابريل 1551-أغسطس 1551

وكان نظام الحكم لحكام هيئة فرسان مالطا في طرابلس الغرب كما يلي:

1- حاكم على طرابلس يقيم في قلعتها يعاونه في الغالب نائب، وفارس يشغل منصب أمين الخزانة، ويهتم بالأمور المالية ويشرف على حركة الجمارك (الصادرات والواردات).

2- كانت قلعة طرابلس تضم بيت الحاكم ونائبه وبيوت الفرسان والمخازن، وكان يقيم بصفة عادية خمسون شخصا من الفرسان ومائتين من الجنود منهم اثنى عشر مدفعيا، تم تجنيدهم من مالطا وايطاليا.

3- كانت طرابلس تضم حامية من أسر الفرسان والمشاة وعدد هذه الحامية لا يزيد عن مائة أسرة وقد نقص عددها إلى نحو ثمانين.

كانت سلطة الحاكم لا تمتد إلى أبعد من نطاق مدينة طرابلس وبعض القرى الواقعة على الساحل الغربي مثل جنزور والماية وتدفع هذه القرى الضرائب بطريقة غير منتظمة.

ولم يكن وضع هذه الهيئة مريحا في إطار الأوضاع السياسية السائدة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، فإذا كان العقد الأول من هذا القرن، أسبانيا فان العقد الثاني كان عثمانيا.

طرد فرسان مالطا من طرابلس 1551

كان حاكم طرابلس الغرب عام 1551 م هو جاسبار دي فالليرس وقد ألح على المرشد الأكبر لفرسان مالطا في طلب المزيد من الدعم العسكري لأنه كان يتوقع هجوما بحريا عثمانيا.

حاول مراد أغا دخول طرابلس لكنه عجز عن ذلك فطلب المدد من السلطان العثماني (سليمان القانوني) وبقى على استعداد وفي انتظار الإمدادات من استانبول وصادف في هذا الوقت حصار الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا لجزيرة مالطا التي كانت معقل فرسان القديس يوحنا، غير أن سنان عجز عن فتحها بسبب قوة تحصيناتها فاتجه إلى طرابلس لمساعدة مراد أغا في طرد هيئة الفرسان الذين كانوا يحتلون هذه المدينة.

نزلت بعض قوات الأسطول العثماني في زوارة، ثم تابع سيره نحو طرابلس الغرب، حيث ألقى بمراسيه قرب تاجوراء. فأسرع مراد أغا لاستقبال قائد الأسطول سنان باشا ونائبه درغوث باشا. ورسم الجميع خطة العمل العسكري للاستيلاء على طرابلس.

وفي يوم 5 أغسطس 1551 م بدأوا بعملية حصارها برا وبحرا، وأرسل سنان أحد فرسانه رسولا إلى الحاكم جاسبار دي فالليس، طالبا منه التسليم. غير أنه رفض ذلك قائلا انه يفضل الموت على الاستسلام [24].

ركّز الأسطول البحري العثماني حصاره في الجبهة الشرقية من طرابلس الغرب، في حين ركّز مراد أغا ومعه المقاومة الشعبية الليبية مدافعهم ضد قلعة طرابلس، وقام المهاجمون برا في يوم 8 من نفس الشهر بحفر الخنادق جنوب شرق القصر (منطقة الظهرة حاليا).

أخذت مدفعية هيئة فرسان مالطا تقصفهم من أبراج قلعة المدينة، مما أجبر المهاجمون على تغيير خطتهم ولجأ وا إلى الزحف في خنادق أرضية تجاه طرابلس. وفي 11 من نفس الشهر كانت فرق المدفعية للمجاهدين تقصف قلعة طرابلس وهب الأسطول لمساندة مراد أغا، مساندة قوية بقصف سور القلعة وتمكن من هدم حتى المدرج، مما أدى إلى انهيار معنويات جنود فرسان مالطا، فانقسموا على أنفسهم، وحاول قسم منهم أن ينجو بنفسه ويهرب من هذا الحصار فوق بعض المراكب الراسية في ميناء طرابلس في حين رأى بعضهم الاستمرار في المقاومة.

دعا الفارس هريرا ((Herrera أمين الخزانة إلى النظر في إنقاذ الجميع دون تمييز. وطالب الحاكم بجمع المجلس وشرح لهم الحالة السائدة وطلب من الحاضرين إبداء رأيهم وتقرر في هذا الاجتماع، المفاوضات وصعد القس بيترو دي فاروس فوق السور، رافعا العلم الأبيض من أجل ذلك.

خرج المندوبان الممثلين عن فرسان مالطا من قلعة طرابلس وقدما إلى سنان باشا عارضين عليه استعداد الهيئة للتخلي عن قلعة طرابلس وتسليم الأسلحة، بشرط تأمين الحياة والحريات وسلامة الممتلكات والسفر إلى صقلية أو مالطا فوق مراكب عثمانية.

تردد سنان في قبول الشروط لكنه وافق أخيرا، وأرسل مع هذين المندوبين ضابطا موثوقا به، كلفه أن يقدم تقديره واحترامه إلى حاكم طرابلس المالطي ويطلب منه الحضور الى خيمته للتفاهم. وإذا رغب في الحصول على ضمانات لذاته، فان سنان يترك له هذا الضابط رهينة.

وتم التفاهم وفتحت أبواب مدينة طرابلس يوم 14 أغسطس من نفس العام للقوات العثمانية فاستباحوها وفي يوم 16 من نفس الشهر، كانت طلقات المدافع العثمانية تحيي مدينة طرابلس الغرب التي لم تعد خاضعة للقوى المسيحية وأصبحت جزءا من الإمبراطورية العثمانية [25].

هوامش الفصل الأول

1- أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس: مكتبة الفرجاني د.ت، ص 184، 185. وأنظر شارل فيرو، مرجع سابق، ص64.

* الكاردينال اكسمينس، هو أسقف مدينة طليطلة ورئيس وزراء أسبانيا. كان من غلاة المذهب الكاثوليكي. وهذا يذكرنا بالحماس الصليبي الأول، أثناء دعوة البابا أربان الثاني عام 1095 لمسيحي أوربا، بالتوجه الى فلسطين لاحتلال بيت المقدس وتخليصه من أيدي المسلمين.

2- تيسير بن موسى، الاحتلال الأسباني-المالطي لطرابلس 1510-1551، مجلة الفصول الأربعة، طرابلس، العدد 84، ناصر/يوليو، 1988، ص 91.

3- جان كلور زليتر، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا 1500-1795، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس: دار الجماهيرية، ط1، 2001، ص 29.

4- المرجع نفسه، ص 29.

5- ولد الكونت بيترو دي نافارا عام 1460 م، وهو شخصية ذات تاريخ عسكري مدهش، ترقى من مجرد عسكري الى درجة جنرال لكفاءته، وكان رجلا مفطورا على حب المغامرات. عمل بالقرصنة البحرية في مستهل حياته. وقد نفذ فيه حكم الاعدام عام 1529 م، بسبب خدمته مع الفرنسيين ضد بلاده أسبانيا. للمزيد راجع، اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة خليفة محمد التليسي، تونس: الدار العربية للكتاب، ط 2، 1991، هامش ص 168، 169.

6- اتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة محمد التليسي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر، 1985، ص 29. وأنظر أيضا، حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي، المجلد الثاني جـ 2، 3، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، 1992، ص 434.

7- شارل فيرو، مرجع سابق، ص 73.

8- اتوري روسي، ليببيا منذ الفتح، مرجع سابق، ص 169.

9- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 434.

10- ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي، طرابلس: مكتبة النور، ط 2، 1967، ص 171، 172.

11- اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح، مرجع سابق، ص 171، 172.

12- تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص 95.

13- جان كلود زليتز، مرجع سابق، ص 31.

14- اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح، مرجع سابق، ص 167، 168.

15- المرجع نفسه، ص 176، 177.

16- المرجع نفسه، ص 177.

17- كوستانزيو برينا، مرجع سابق، ص 34.

18- تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص 99. وانظر أيضا اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح، مرجع سابق، ص 184.

19- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 21.

20- الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 124.

21- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 23.

22- جان كلود زليتر، مرجع سابق، ص 58.

23- اتوري روسي، طرابلس تحت فرسان القديس يوحنا، مرجع سابق، ص 83.

24- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 51.

25- المرجع نفسه، ص 60.

الفصل الثاني :

أوضاع ليبيا السياسية إبان الحكم العثماني الأول 1551-1711

● المبحث الأول: عهد الولاة العظام

المطلب الأول : السياسة العامة للدولة العثمانية في حكم ولاياتها العربية بما فيها طرابلس الغرب.

المطلب الثاني : ولاية مراد أغا 1551-1553.

المطلب الثالث : ولاية درغوث باشا 1553-1565 .

● المبحث الثاني: العهد الانكشاري في ليبيا (1565-1711).

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الانكشارية.

المطلب الثاني : مراحل حكم الولاة الانكشاريين لايالة طرابلس الغرب.

المبحث الأول: عهد الولاة العظام

المطلب الأول : السياسة العامة للدولة العثمانية في حكم ولاياتها العربية بما فيها طرابلس الغرب

كانت سياسة الدولة العثمانية تقوم على تغيير الولاة في فترات متقاربة، حيث بلغ عددهم في ليبيا منذ 1551-1711 م، نحو واحد وأربعون واليا (أنظر الملحق الأول). ولا شك ان هذه السياسة أدت الى تدهور أحوال الشعب العربي الليبي على كافة الأصعدة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والفكرية.

لقد طبقت الدولة العثمانية نظاما سياسيا واحدا في كل أجزاء الوطن العربي، الذي خضع لنفوذها حيث قسمته الى أربع وعشرين ايالة منها ايالة طرابلس الغرب، وكان هذا النظام كما يلي:

1- الوالي: يعيّن من قبل السلطان، ويلقب بالباشا، وهو أعلى سلطة في ولايته، برتبة وزير، وهو الآمر الناهي، يصدر أحكام الإعدام دون الرجوع للسلطان، مدة ولايته سنة واحدة قابلة للتجديد لمدة أقصاها ثلاث سنوات. كان ذلك مطبقا عندما كانت الدولة العثمانية قوية وبعد ضعفها انفرط عقد هذا النظام.

كانت الدولة العثمانية حريصة على إن تكون مدة حكم الوالي قصيرة حتى لا يفكر في الانفصال عنها. وبالمقابل كان تفكير الوالي ينحصر في جمع أكبر قدر من الأموال من الناس، ليقدم الرشاوى للسلطان وحاشيته، لتجديد مدة ولايته لجمع أكبر قدر من الأموال لنفسه. ولم يقم بأي إصلاحات جذرية داخل الولاية.

2- مجلس الديوان: يتكون من كبار الانكشارية الذين جلبهم الوالي لولايته، والقاضي، والمفتي، وبعض أعيان البلاد، وبعض كبار الشخصيات مثل: شيخ البلد، الخازندار ورئيس البحرية، ويرأس هذا المجلس الوالي.

3- الحامية العثمانية: كانت تتكون من طوائف الجنود ومهمتها مساعدة الوالي في حفظ الأمن، وتنفيذ الأوامر الصادرة إليه من السلطان. غير أن هذه الحامية بعد ضعف الدولة، أصبحت مصدرا للفوضى والاضطرابات داخل الولاية والاعتداء على أرواح السكان والمشاركة في الانقلابات السياسية داخل الولاية.

4- حكام السناجق والمقاطعات: يقوم بتعيين هؤلاء الحكام، الوالي، كنواب عنه في

كل سناحق ومقاطعات الولاية، لحكمها وحفظ الأمن والنظام فيها، عن طريق حامية من الجند يرسلها معهم، ولتنفيذ أوامر الوالي، وجمع الضرائب من المواطنين.

أتاحت هذه السياسة، ظهور بعض العصبيات بين طوائف الجند، فعمت الفوضى، واختل النظام.

5- زعماء العشائر والقبائل: تركت الدولة العثمانية بعض المناطق النائية لحكم المشايخ وزعماء القبائل. فظهرت عدة حركات انفصالية عن الدولة والسلطة المركزية، كما ظهر في شمال أفريقيا زعماء التجارة (القراصنة) الذين كانوا يملكون السفن الضخمة ويحاربون الأعداء، ونجحت بعض الأسر القوية في تأسيس أسر حاكمة مستقلة سياسيا ومرتبطة بالدولة العثمانية من الناحية الشكلية والدينية. كالاسرة القرمانلية في ليبيا.

المطلب الثاني : ولاية مراد أغا 1551-1553

بطرد فرسان مالطا من طرابلس الغرب في أغسطس 1551، وقعت ليبيا بأقاليمها الثلاث:

(طرابلس، برقة وفزان) تحت الحكم العثماني والذي عرف في التاريخ باسم العهد العثماني الأول واستمر لمدة مائة وستين عاما من 1551 حتى 1711 م.

قام سنان باشا قائد الأسطول العثماني الذي حقق النصر على فرسان مالطا، بتنصيب مراد أغا، واليا على طرابلس وتاجوراء، باسم السلطان العثماني (سليمان القانوني)، وترك إلى جانبه مساعدة القرصان درغوث* وعدد من قواته، وبفضل ذلك تمكن الوالي الجديد من بسط سيطرة العثمانيين على عدة مناطق مثل: مصراتة، زوارة، جربة والدواخل حتى سفوح الجبل الغربي.

والسؤال، من هو مراد أغا ؟

هو أول وال عثماني في ليبيا كان بمثابة حاكما عاما (General Governor)، وهو من أصل ايطالي من مواليد راجوزا (Raguse) وقع في أيدي تجار الرقيق، ونقل الى استانبول، حيث أسلم، وتسمى مراد. تميّز بالذكاء والشجاعة وجمال الخلق والخلقة.

دخل في خدمة القصر السلطاني في عهد السلطان سليم الأول، ثم دخل الجيش فأظهر نبوغا وتفوقا حربيا فمنح لقب أغا (قائد فرقة). عمل مع خير الدين بربروصا وعهد اليه بمحاربة فرسان القديس يوحنا، فنزل تاجوراء، وأصبح حاكما عليها، كما سبق القول.

أهم أعماله الداخلية:

واجهت مراد أغا عند توليه ايالة طرابلس الغرب الكثير من المشاكل، إلا أنه تمكن من القضاء عليها في فترة وجيزة. فقد تمكنت قواته من إحباط محاولة قوات الأسبان وفرسان مالطا من استرجاع طرابلس الغرب لسيطرتهم، فقاموا بمهاجمة مدينة زوارة واحتلالها عام 1552 م، غير أن قواته أسرعت لملاقاتهم وانتصرت عليهم وطردتهم وعادوا إلى مالطا يجرون أذيال الهزيمة والخيبة [1].

عمل أثناء فترة حكمه القصيرة بهمة ونشاط مما ساعد على نشر الأمن، فأخذ الناس الذين هجروا المدينة أثناء الاحتلال الأسباني-المالطي، يعودون إليها، ويمارسون حياتهم العادية. وتم تنظيم الأمور الإدارية، واهتم بالنواحي العمرانية فشيدت العديد من المؤسسات النافعة، كما أمر ببناء مسجدا بتاجوراء، سمي باسمه، وقد جلب إليه الأحجار من لبدة، واستخدم في بنائه نحو ثلاثمائة من الأسرى النصارى ووعدهم بإطلاق سراحهم بعد إتمام بناء المسجد، الذي أقيم على ثمانية وأربعين عمودا من الرخام، وقد أوفى بوعده الذي قطعه للأسرى فأطلق سراحهم. وألحق بهذا المسجد، مدرسة لتعليم الأولاد [2]. وأنشأ ملاّحة بالقرب من مدينة تاجوراء.

لم تطل مدة حكم مراد أغا، فقد كان شيخا طاعنا في السن، بالإضافة إلى طموحات درغوث في الحكم، الذي توجه إلى استانبول في أغسطس 1552 م، وقدم تقريرا للسلطان مشيرا إلى شيخوخة مراد أغا وأنه كان في الماضي جنديا شجاعا، لكن ألان لم تعد يديه قادرة، والمطلوب ضبط الأهالي وإخضاعهم لطاعة الإمبراطورية. اقتنع السلطان بذلك، وتم عزل مراد أغا في مارس 1553 م، ولم تطل به الحياة بعد ذلك، فمات في ربيع العام نفسه، ودفن بالقرب من مسجده الذي بناه.

المطلب الثالث: ولاية درغوث باشا 1553-1565

نبذة تاريخية عن درغوث باشا

ولد في إحدى القرى الصغيرة بالأناضول، نشأ في أسرة فقيرة، كان عصاميا، صنع حظه وسمعته، اشتغل في بداية حياته بحارا تحت التدريب، ثم بحارا مدفعيا، انضم الى خير الدين بربروصا فاشترك معه في عدة هجمات على السواحل الايطالية. ثم دخل في خدمة السلطان في استانبول. إليه يعود الفضل في انتصارات البحرية العثمانية في كثير

من المعارك، والى طرد فرسان مالطا من طرابلس الغرب.

تسلم حكم ايالة طرابلس، بعد عزل الوالي مراد أغا في مارس 1553 م، كانت لديه سلطة مطلقة في حكم هذه الايالة مع التبعية للسلطان، والتي تمثلت في دفع الضرائب السنوية، وتزويده بالرجال والسلاح والمؤن والسفن أثناء الحروب. وكان السلطان يختار من استانبول لطرابلس بك، يتولى القيادة العامة للجيش، وأغا برتبة عقيد، لقيادة الانكشارية، قاضيا، ومفتيا. وظلت هذه العادة قائمة حتى 1595 م.

أعمال درغوث باشا الداخلية:

كانت طرابلس الغرب مع بداية حكم درغوث باشا، في حاجة إلى العديد من الإصلاحات، بسبب ما وقع عليها من خراب ودمار أثناء الغزو والاحتلال الأسباني-المالطي.

بدأ بزيادة تحصينات طرابلس، واعتنى بترميم أسوارها، أنشأ دارا لصناعة البارود جنوب قلعة طرابلس، وأعاد تجميل هذه المدينة فاهتم بإقامة المباني العمرانية وأقام الحمامات العامة، وبنى مسجدا عام 1554 م جعله المسجد الرئيسي، رغم تعدد المساجد، ومازال هذا المسجد يحمل اسمه حتى الآن. كما أمر ببناء قصر، قرب باب البحر كان يتكون من دورين مفصولين مزودين بالشرفات والأروقة، محاطا بالحدائق الجميلة (3).

فرض سيطرته على أهالي غريان وألزمهم بدفع الضرائب ثم فعل الشيء نفسه مع ترهونة، ولم يتبق أمامه سوى منطقة ورفلة الذي أرسل إليها قواته، فأجبرت السكان على دفع الضريبة المقررة، ثم تابعت قواته سيرها نحو تاورغاء وعادت إلى مصراتة ومنها عن طريق البحر إلى تاجوراء وطرابلس (4).

على الرغم من انتعاش ايالة طرابلس الغرب في عهد الوالي درغوث باشا زراعيا واقتصاديا وقامت فيها بعض الصناعات. الا أن الأهالي كانوا يكرهون حكم درغوث باشا، بسبب شدة وطأة الضرائب التي أثقلت كاهلهم. فكان البدو من أولاد سليمان في الشرق والمحاميد في الغرب وزعماء الجبل، يرفضون الخضوع لسيطرته وظلوا في حالة تمرد مستمر (5).

أهتم درغوث بالبحرية وجعل ميناء طرابلس قاعدة للبحرية العثمانية، التي قامت بعدة هجمات على سواحل ايطاليا ونابلي وتوسكانيا، فعاد ذلك بالكثير من الغنائم على ايالة طرابلس. وفي عام 1556 م، تمكنت قواته من فتح جزيرة جربة، واستولت على سوسة،

صفاقس، المونستير والمهدية عام 1558 م، ثم دخلت تلك القوات مدينة القيروان في نفس العام.

أمام هذا النشاط للبحرية المتميز، استاءت عدة دول أوربية، فحاولت احتلال مدينة طرابلس للقضاء على حكم درغوث باشا، تجمعت أساطيل هذه الدول في مالطا، ثم توجهت عام 1558 م الى ميناء طرابلس الغرب. غير أن قوات درغوث، تمكنت من رد تلك الأساطيل الأوربية الصليبية خاسرة، ولم تفكر هذه الدول في العودة مرة أخرى لمدة طويلة.

نهاية درغوث باشا

خرج الوالي درغوث باشا على رأس قواته البحرية التي كانت تتكون من اثنتي عشرة سفينة عام 1565 م، للمشاركة مع القوات العثمانية في حصار مالطا. وأثناء هذا الحصار، أصابته قذيفة في رأسه أودت بحياته، فنقل جثمانه إلى طرابلس الغرب حيث دفن بمسجده الذي بناه في المدينة القديمة.

المبحث الثاني: العهد الانكشاري في ليبيا (1565-1711)

المطلب الأول : نبذة تاريخية عن الانكشارية

الانكشارية نظام استحدثته الدولة العثمانية، ويسمى بالتركية يكيجاري، وتعني الجيش الجديد ثم حرف اللفظ إلى العربية فصار انكشاري، ويعود تأسيسها إلى العهود الأولى من قيام الدولة العثمانية أيام حكم السلطان أورخان (1326-1360) [6]، تكونت هذه الفرق من الأطفال الذين تم شرائهم. قامت الدولة العثمانية، بتربيتهم تربية دينية إسلامية، وجرى تدريبهم على فنون الفروسية والأعمال العسكرية، وكان يجري تقسيمهم وفقا لاستعداداتهم ونبوغهم في النواحي العسكرية إلى فرق.

اتسمت هذه الفرق بالشجاعة والاستماتة في الحرب، وشؤون القتال، لأن أفرادها لم يكن لديهم شاغل سوى خدمة السلطان والدولة العثمانية، وكان الزواج محرما عليهم في بداية الأمر.لكن سرعان ما دب فيهم الضعف، بعد أن اندمجوا في الحياة العامة، فأصبحوا أحد عوامل ضعف الدولة العثمانية، لتدخلهم في شؤون الحكومة المركزية في استانبول وحكومات الولايات، وزاد خطرهم بعد ضعف الدولة بموت سليمان القانوني (1520-1566)، لتدخلهم في تولي الوزراء أو عزلهم، وأصبحت مظاهر السلطة المحلية

في أيديهم.

ثانيا: مراحل حكم الولاة الانكشاريين لايالة طرابلس الغرب

1- المرحلة الأولى: تفرد الولاة الانكشاريين بالحكم

كان درغوث باشا قد أحضر معه إلى ليبيا عدد من خيرة الانكشارية، فكان معظم الولاة لطرابلس من بعده من الانكشارية أو من أتباعهم فكثرت الانقلابات والاضطرابات حتى قيام الأسرة القرة مانلية.

تختلف الروايات في الاسم الذي خلف درغوث باشا، فهناك إشارة إلى اسم يحيى، الذي لم يسجل لنا التاريخ إلا تاريخ وفاته ودفنه في مقبرة قرقارش 1566 [7]. ولم يعهد على الفور بتولي شؤون ايالة طرابلس لوالي جديد، فنتج نوع من الفراغ السياسي، أدى إلى اختلال الأمن وسيادة الفوضى والتنافس في صفوف ضباط الانكشارية حتى تولى قلج علي اوشيالي في نفس العام 1566 م، فتمكن من إعادة استتاب الأمن، ثم توجه هذا الوالي عام 1668 م إلى الجزائر ليتولى حكمها، حيث تم تعيين جعفر باشا واليا جديدا، فشكل عهد هذا الوالي المرحلة الأولى من حكم الولاة الانكشاريين الذين تفردوا بالحكم وهم [9]:

1- جعفر باشا 1569-1581

2- رمضان باشا 1581-1584

3- مصطفى باشا 1584-1588

4- حسين باشا 1588-1595

وقد تميز عهد جعفر باشا (1569-1581) بعدة أحداث، فقد شاركت طرابلس الغرب، بست سفن بحرية، إلى جانب البحرية العثمانية في معركة ليبانتو 7 أكتوبر 1571 م، التي تكاثفت فيها القوى الصليبية ضد القوات البحرية العثمانية، فكانت هزيمة ساحقة للبحرية العثمانية، تكبدت فيها طرابلس نتيجة هذه المشاركة خسارة فادحة في بحريتها ورجالها، فقد بلغ عدد الضحايا نحو 1,200 رجل [9]. ظل أهالي طرابلس يبكون موتاهم، لعدة أشهر واعتبروا هذا الولي مسؤولا عن مقتل أبنائهم في تلك المعركة.

كان جعفر باشا شخصية ضعيفة، فاجتاحت ليبيا الاضطرابات، نتيجة ظلم الجنود

الانكشارية وسياستهم القاسية في جمع الضرائب، التي كانت شهرية بدلا من أن تكون سنوية، مما أجبر أهالي جزيرة جربه على هجرها وتشتتوا في مختلف البقاع.

كما عمت البلاد الانتفاضات، فقام المدعو حجاج بانتفاضة عام 1573 م في غريان و لم يتم إخمادها إلا بصعوبة، و بسببها اضطر هذا الوالي إلى تخفيض الضرائب بواقع النصف. ثم قامت بعد ذلك انتفاضة نوير من المحاميد.

غير أن أخطر تلك الانتفاضات التي بدأت في عهد الوالي جعفر باشا ثم استمرت عدة سنوات هي انتفاضة يحيي بن يحيي السويدي 1581-1589 م،

والسؤال: **من هو يحيي السويدي؟**

جاء يحيى بن يحيي السويدي من مراكش، استقر بمدينة تاجوراء، اشتهر بالتقوى والورع.. كان رجل علم وبيان، مكنته هذه المؤهلات من إقناع سامعيه، بضرورة العمل على التحرير من ربقة الحكم العثماني التركي، فبايعه أهل تاجوراء سرا، واعترفوا به زعيما عليهم.

بعد أن ضمن ولاء سكان تاجوراء، اتجه إلى أهالي مسلاتة لاستقطابهم، وهرع الأنصار والمؤيدين له من كل صوب من ليبيا.

فكانت هذه الانتفاضة، شاملة، استجاب لها أبناء الشعب الليبي الذين كانوا يتطلعون إلى الخلاص من أوضاعهم المتردية، فاتسعت رقعة الانتفاضة من جربه حتى الجبل الأخضر[10]. فهزت أحداثها الحكومة المركزية في استانبول، و أعجزت القوات العسكرية الحكومية لفترة من الوقت.

تعددت أسباب هذه الانتفاضة، لعل أهمها: زيادة الضرائب و الطريقة القاسية في جمعها، و تفاقم ظلم الانكشارية وتردي أوضاع السكان على كافة الأصعدة، و فقدان الأمن و انتشار الفوضى و التعدي على الأموال و الأرواح. أما السبب المباشر فكان الاحتجاج على المجزرة التي قام بها الانكشارية لمجموعة من الحجاج الليبيين عام 1581 م.

تمت المجابهة بين قوات الانتفاضة، و القوات الانكشارية في مسلاتة نفسها في نفس العام، فمنيت القوات الانكشارية بهزيمة ساحقة و قتل منهم أكثر من ألف رجل [11]،

استقطبت هذه الانتصارات حول يحيى السويدي أهالي غريان، بني وليد، ترهونة، زوارة ومصراتة وغيرهم، فعاد بقواته إلى تاجوراء، و انتقل منها إلى قرية العمروس و

حاصر طرابلس حصارا شديدا لمدة تزيد على العام، حتى قارب الاستيلاء عليها.

و في هذه الأثناء، توجه بقواته إلى جزيرة جربة بهدف منع امتدادات التموين التي كانت تأتي من خلالها للسلطة العثمانية في طرابلس الغرب.

أمام تواصل أحداث انتفاضة يحيى بن يحيى السويدي و توسع انتشارها، تم عزل جعفر باشا و تولى رمضان باشا 1581-1584 ثم تولى مصطفى باشا 1584-1588، الذي لم يتمكن من القضاء على هذه الانتفاضة ووصلت الأمور إلى حالة شكلت خطرا على الوجود العثماني، فأسرعت السلطات العثمانية باستدعاء مصطفى باشا، و أرسلت حسين باشا عام 1588 م، واليا جديد على ايالة طرابلس [12] لم يدخل الوالي الجديد في مناوشات مع قوات يحيى السويدي، بل أظهر نوايا سليمة بغية تلاشي أخطاء سلفه. لكنه دخل سرا في علاقة مع نوير شيخ قبيلة المحاميد القوية، و الذي كان منافسا ليحيى السويدي. و أكثر مشايخ الدواخل نفوذا بعد السويدي، فطبق الوالي العثماني النظرية الاستعمارية فرق تسد و تفاهم مع ابن نوير الذي انحاز إلى الوالي الجديد، و دبرا خطة للقضاء على يحيى السويدي، حيث اتصل ابن نوير، بيحيى السويدي مبديا رغبته في محاولة القيام بهجوم مشترك حاسم أثناء الليل على طرابلس، فأعدت السلالم لتسلق الأسوار للاستيلاء على المدينة عنوة.

غير أن القوات العثمانية، بتواطؤ مع ابن نوير و الولي حسين باشا، كانوا قد نصبوا كمينا ليحيى السويدي، و أثناء الاقتحام، هدرت قذائف المدافع، أدرك يحيى السويدي أنه قد غرر به، فحاول الهرب، غير أن ابن نوير هجم عليه بحصانه و طعنه بسيفه طعنة قاتلة عام 1589 م ثم هرع إلى باب المدينة لإعلام الوالي بمقتل زعيم (المتمردين) يحيى السويدي حسب قوله، و أرسل رأس يحيى السويدي في برميل من الملح إلى السلطان مراد و أخبروه بما فعل ابن نوير، فكتب له و لأسرته في خراج البلد و جعل لهم منه سهما، وأمر بتعظيمهمه حين القدوم إلى مقر السلطة بطرابلس [13]. و بأن يخلع عليه قفطان شرف كلما استقبله وال عثماني لأول مرة. [14].

أوقد مقتل يحيى السويدي الشنيع نار الكراهية ضد السلطة العثمانية و ترأس حركة المقاومة الوطنية رجل يدعى عبد الصمد عام 1589 م ثم تلاه في نفس العام مرابط يدعى نيال الذي أعلن الجهاد ضد الوجود التركي الظالم و كادت حركة نيال أن تستولي

على طرابلس في أغسطس من نفس العام [15]، لولا وصول والي الجزائر بنجدة كبيرة، و مع ذلك فان القوات العثمانية تكبدت خسائر فادحة، بلغت نحو ثلاث ألاف شخص، كما أبيد معسكرا للانكشارية. فأرسلت الحكومة العثمانية، أسطولا بحريا مكونا من خمسين قطعة بحرية، تمكن من فك الحصار و اضطر نيال للاستسلام بعد أن خانه رجاله و سلموه للوالي العثماني، الذي أمر بسلخ جلده حيا، و أرسل جلده محشوا بالتبن الى استانبول [16].

المطلب الثاني : إشراك الدايات مع الولاة في الحكم أهم ولاة هذه المرحلة هم [17]:-

1- إبراهيم باشا 1589-1595

2- اسكندر باشا 1595-1600

3- سليم باشا 1600-1606

اعتاد سكان المغرب العربي، على التغيرات السياسية المستمرة و كانت الجزائر أولى هذه الولايات في تطبيق هذا النظام الجديد (الديوان) ثم تبعتها ولاية تونس عام 1594 م، وليبيا في أواخر عهد الوالي إبراهيم باشا عام 1595 م. وتفصيل ذلك:

تقدم أحد زعماء الانكشارية إلى الوالي إبراهيم باشا، عارضا عليه مشروعهم، القاضي بالمشاركة في الحكم والتمسك بالولاء والإخلاص للسلطان العثماني وكان مبررهم في ذلك بما أنهم مشاركون في المغارم فلا بد لهم أن يشاركوا في المغانم أيضا. ونظر الأهالي إلى هذه الحركة على أنها حركة ديمقراطية، تحد من سلطات الوالي المطلقة وتأملوا في تحسين أوضاعهم، وربما شوقا وتطلعا إلى الجديد.

أمّا الوالي إبراهيم باشا، فقد بذل كل ما في وسعه لإقناع الانكشارية بالعدول عن هذا المشروع، شارحا لهم أن سلطة السلطان تكون في أشخاص ممثلية، ولجأ للاحتجاج والتهديد ولكن دون جدوى.

بادر الانكشارية في تنفيذ مشروعهم بإنشاء ما سمي مجلس الدولة (الديوان)، الذي تشكل من رئيس ومستشارين، يتم اختيارهم من بين الضباط الأكفاء الذين تنتخبهم الانكشارية نفسها، مؤكدين ولاءهم للسلطان، وتمسكهم بالطاعة.

كان رئيس الديوان يحمل لقب أغا، يجرى استبداله كل ستة شهور. وعيّن من بين المستشارين بعض بيلوك باشية (قائد المائة)، وبعض أود باشية (قائد العشرين)، وكان يتم

انتخاب المباشرون والسعاة في أعمال الديوان من بين الضباط.

تولى هذا الديوان مناقشة المسائل المهمة في ايالة طرابلس الغرب مثل: قرار اتخاذ أي إجراء حربي أو سلمي، والعلاقات التجارية، واتفاقات التحالف، وحركة الخزانة، وفرض الضرائب وجبايتها.

قام قادة الانكشارية، بإخطار السلطان العثماني محمد الثالث (1596-1603) بهذا النظام، وتم شرح وجهة نظر الانكشارية شرحا وافيا، فأقر السلطان هذا النظام، طالما أن سلطته لم تمس وتدفع ضريبة الولاية السنوية بانتظام [18].

خلال هذه الفترة، قلت سلطة الولاة، وهان أمرهم، وأصبحوا معزولين عن الحكم. فعلى الرغم من ضعف شخصية سليم باشا أخر ولاة هذه المرحلة من 1600-1606 م، فان الديوان استطاع حفظ الأمن، ودفع الأهالي الضرائب في مواعيدها، ونشطت حركة التجارة الخارجية مع دول أوربا .حيث كان التجار يأتون إلى ميناء طرابلس محملين بالبضائع من عدة موانئ مثل: مرسيليا، جنوا، ليفورنو، البندقية، صقلية، نابلي، ومالطا وغيرها.

فكانت صادرات فرنسا لطرابلس تتمثل في المنسوجات الفاخرة، الورق، النبيذ. أما البندقية فكانت صادراتها: الحرير، البرونز، والزجاج، الكبريت، الحديد والأقمشة،. كذلك بقية البلدان الأخرى صدرت عدة مواد في حين كانت طرابلس تقوم بتصدير: الصوف، الجلود، الشمع، التمور، الشعير، القمح، الملح، ريش النعام والعاج وغير ذلك من المواد التي تأتيها من أفريقيا وتقوم بإعادة تصديرها إلى أوربا والعكس.

كما جرت عدة أحداث في عهد ولاية سليم باشا كان من أهمها:

1- انتفاضة الجبل الغربي (1607-1608).

2- محاولة الإخلال بقواعد الديوان عام 1609 م.

3- طرد العرب من الأندلس واستقرار بعضهم في درنة عام 1610 م.

وتفصيل هذه الأحداث كما يلي:

أ- انتفاضة الجبل الغربي

قام أهالي منطقة الجبل الغربي، بانتفاضة خلال عام 1607 م استمرت حتى 1608

م تزعّم هذه الانتفاضة الشيخ عبد الله الذي رفض دفع الأهالي للضرائب وشهروا السلاح. استعان جعفر باشا بالشيخ نوير لمواجهة الثوار، فاصطدم بهم في سهل طرابلس وقتل نحو 400 منهم وتم إخماد هذه الانتفاضة.

ب- محاولة الإخلال بقواعد الديوان

من المعروف إن رئاسة الديوان (مجلس الدولة) كانت لمدة ستة شهور، ثم يجرى انتخاب رئيس جديد. إلا أن هذا النظام كان لا بد أن يفسده الطموح و المصالح الشخصية. ففي عام 1609 م، تولى رئاسة الديوان المدعو سليمان، و تسمية العامة صفر داي، الذي كان عليه أن يتخلى عن منصبه، بنهاية المدة المقررة، غير أنه عمل على كسب تأييد عدد من الانكشارية له، فحاول الإخلال بقواعد هذا النظام، والاستمرار في الحكم، على أمل الاستفراد بالسلطة كاملة.

ج- طرد العرب من الأندلس واستقرار بعضهم في درنة 1610 م

تغلب ملك أسبانيا فيليب الثاني على العرب الموجودين في الأندلس، وأمر بطردهم خلال ثلاثة أيام. ولم يسمح لهم بنقل أشياءهم سوى الذي يستطيعون حمله، وركبوا في بواخر، قذف بهم على ساحل الشمال الأفريقي. وبعد خمسة وعشرون عاما، استقرت جماعة منهم في مدينة درنة 1610 م، فكان لهم الأثر الفعال في استئناف حركة القرصنة البحرية والجهاد.

3المطلب الثالث : الحكم المباشر للدايات وأهم حكام هذه المرحلة:-

الولاة		الدايات	
1- علي باشا	1614-1610	صفر داي	1615-1609
2- حامد باشا	1619-1615		
3- سليمان باشا	1622-1619	مصطفى شريف	1629-1622
4- حسن باشا	1630-1623		
5- قاسم باشا	1632-1630	رمضان داي (تنازل) لصهره محمد داي	
6- رباني باشا	1633-1632	محمد داي السافزلي	1633-1631

7-	محمد الساتزلي	1649-1633	باشا وادي	1649-1633
8-	عثمان فزلي	1672-1649	باشا وادي	1672-1649

واليك تفصيل حكم هؤلاء الدايات في تلك الفترة

أ- حكم صفر داي (1609-1615)

كان صفر داي أول أو ثان داي لطرابلس الغرب على اعتبار أن اسم سليمان هو الاسم الحقيقي لهذه الشخصية و لقبه صفر لأنه استولى على حكم طرابلس و بويع دايا في اليوم الأول من شهر صفر [20]. و هو أحد قادة الانكشارية كان يدير شؤون الخزانة و جباية الضرائب. استهل حكمه بالقضاء على الاضطرابات الداخلية. ثم استقر في قلعة طرابلس حيث أخذ في استقبال عامة الناس مرتين في اليوم، و يتلقى مراسم الطاعة و الولاء من جماعاته المخلصين له، و من عدد قليل من الضباط الانكشارية.

أرسل صفر داي وفدا محملا بالهدايا الثمينة إلى حكومة استانبول، للتصديق على تثبيته في منصبه الجديد. غير أن الحكومة العثمانية كانت قد عينت واليا لطرابلس وهو على باشا الذي وصل للبلاد 1610 م فاستقبله صفر داي بكل مظاهر الترحيب كمثل للسلطان، وكان للهدايا القيمة التي قدمها صفر داي للوالي الجديد وللصدر الأعظم مع الوفد، أثرها الطيب، فأعترف به دايا على طرابلس الغرب، وهو اللقب الذي ظل سائدا حتى نهاية الحكم العثماني الأول.

بدأ صفر داي سياسة معتدلة، فلم يكن يقرر شيئا قبل الرجوع لاستشارة الوالي علي باشا، وكان سخيا مع الضباط الانكشارية، وسمح لهم باستئناف غزواتهم البحرية [21]، فامتلأت الأسواق بالبضائع والتحف، وأرتفع عدد الأسرى المسيحيين، ونشطت الحركة التجارية، وحاول سك النقود باسمه، وهتف الناس له: عاش صفر داي.

غير أن كثرة المبالغ التي كان قد أنفقها في الأعوام الأولى، قبل بلوغه هذا المنصب، أرغمته على أن ينتزع بالقوة ما بذله في الماضي بسخاء وعن طيب خاطر. فصادر الأموال، وحكم على بعض الانكشارية بالإعدام، فطالبه أعضاء الديوان بالاعتدال، لكنه رفض ذلك، فأصبح علي باشا في وضع حرج، فلا حول له ولا قوة، لذلك قدم استقالته عام 1614 م، وسافر إلى استانبول، وبلغ حكومته مجريات الأمور في ايالة طرابلس الغرب.

أرسل الصدر الأعظم واليا جديدا هو حامد باشا عام 1614 فسلك صفر داي نحوه ما كان قد فعله من قبل في المبالغة بتقديم الهدايا والترحيب به، فتظاهر الوالي الجديد بالقبول على الرغم من قناعته بطغيانه.

اشتد ضيق الأهالي من سوء ممارسات صفر داي فاستغل زعماء الجبل الغربي ذلك، و شنوا عدة غزوات على سهل طرابلس في نفس العام، ثم حاولوا القيام بانتفاضة عارمة شملت مناطق غريان و ترهونة، فأرسل إليهم صفر داي قواته بقيادة مراد بك، تمكنت من إلحاق الهزيمة بالمنتفضين وتشريد زعمائهم إلى الجبال.

أمام جبروت هذا الطاغية، قرر أعيان طرابلس، إرسال وفد لاستانبول، لتقديم شكواهم للسلطان، واختاروا أربعة منهم متظاهرين بالسفر لأداء فريضة الحج، فانتقلوا إلى مصر ومنها إلى استانبول. وعرضوا حالة طرابلس السيئة على الصدر الأعظم، الذي عرض شكواهم على السلطان. فتقرر التخلص من صفر داي. وأوكل مهمة ذلك إلى الأدميرال القبودان باشا، بحجة السفر في رحلة بحرية في البحر المتوسط، ثم التوقف في طرابلس لتنفيذ إرادة السلطان.

أبحر الأدميرال، قبودان باشا من استامبول في مايو 1615 م، بثلاثين قطعة بحرية، مارا بسواحل كالابريا ثم مالطا، وظهر فجأة في مياه طرابلس الغرب. وكانت المراسم تقضي بأن يصعد صفر داي إلى مركب القيادة لتقديم التحية والترحيب بالأدميرال العثماني.

خف صفر داي لاستقباله، حاملا معه كالعادة الهدايا الثمينة، لكنه ما كاد يضع قدمه على أرض سفينة القبودان باشا، حتى تم إلقاء القبض عليه، وكبلت رجلاه بالقيود. ووصل في ذات الوقت عدد من ضباط الانكشارية لتقديم تقاريرهم ضده، وحضر حامد باشا، الذي أسهب في الشكوى ضد صفر داي [22].

بعد أن تم جمع الوقائع الثابتة و الدلائل القاطعة ضد صفر داي، أصدر القبودان باشا، حكما عاجلا بتنفيذ عقوبة الإعدام شنقا فيه، على أن يجري شنقه عند باب المدينة. و ظلت جثته معلقة يوما كاملا أمام أعين الناس.

أمر القبودان باشا بإعادة أموال الناس التي اغتصبها صفر داي. أما نوير، الذي كان صفر داي قد جرده من كافة امتيازاته، فقد استقبله القبودان باشا، بحفاوة بالغة و أعاد

إليه مناصبه و أملاكه. أما أعوان صفر داي من الانكشارية فجرى محاكمة بعضهم و هرب قسم أخر، فأصبحت طرابلس خالية من أية قوة دفاعية. ترك قبودان باشا بعض المراكب، و اتجه إلى تونس حيث أمر واليها (كاره عثمان) بإرسال مائة انكشاري لحماية قلعة طرابلس، و بعض الضباط المخلصين لملء بعض الوظائف الشاغرة، وعاد إلى طرابلس في خريف 1615 م، فجرى تنصيب **حامد باشا** واليا عليها. ثم قفل راجعا إلى استانبول بتقرير شامل عن وضع هذه الايالة.

استقال حامد باشا عام 1619 م وخلفه في الحكم، **سليمان باشا** (1619-1622). كان هذا الوالي رجلا مستقيما، اهتم بمصالح الأهالي، وقضى على الاستغلال، فساد الأمن، وتمكن من القضاء على عدة انتفاضات في منطقتي غريان وترهونة بالتفاهم والحلول السلمية.

كما نشطت أعمال القرصنة الطرابلسية في عهده وتمكنت بأربع سفن أن تأسر عددا كبيرا من البحارة الأوربيين، وتعود بالغنائم الوفيرة.

غير أن أحداث استانبول عام 1622 م التي أثارها الانكشارية ضد السلطان عثمان الثاني، جعلت السلطان مراد الثاني يقرر الانتقام من المتسببين في تلك الأحداث، فهرب بعضهم إلى ايالة طرابلس الغرب. لذلك فضل سليمان باشا، عدم التعامل مع هؤلاء الذين أطلق عليهم لقب الأشرار. فقرر تقديم استقالته ورحل إلى استانبول.

تولى الحكم بعده **حسن باشا** (1623-1630)، لم يكن أهلا لهذا المنصب، فتمكن أولئك الهاربون من الوصول إلى الديوان، وأظهروا نواياهم في معارضة الضباط الكبار، مما أدى إلى شيوع الفوضى وانقسام الديوان.

أمام هذه الفوضى، قام عرب الجبل الغربي بشن هجمات على ضواحي طرابلس، وقد أصبح الشيخ نوير آنذاك هرما، فتم استبداله برجل أخر للقضاء على الثوار وهو **فادر بك**، الذي تم تعينه قائدا للفرسان العرب الموالين للسلطة العثمانية ودايا أيضا. فقام برد المهاجمين وتفريقهم دون أن يتمكن من إخضاعهم بالكامل.

أما الداي الآخر فكان **مصطفى شريف** (1624-1630) هذا الرجل كان يلعب في الظل، ويغذي الاضطرابات والعنف لخدمة أغراضه الشخصية، وهو من مواليد مراكش ويدعى أنه من سلالة الرسول (ص)، ويحمل لقب شريف، أمضى شبابه في استانبول

منخرطا في جيش الانكشارية .وأثناء قدوم الأميرال البحري (القبودان باشا) إلى طرابلس كان مصطفى شريف، ضمن أعضاء الحاشية [24]. زاول مهنة التطبيب، في ولاية سليمان باشا (1619-1622) ثم أقام في تونس عدة سنوات، عاد بعدها إلى طرابلس، وانتخب مستشارا في الديوان ونودي به دايا على طرابلس عام 1624 م، حيث كان الداي الأول (عبد القادر بك) مشغولا مع فرسانه بملاحقة الثوار، الذين توقفوا عن الاضطرابات، وجنحوا للسلم، عندما علموا إن الداي الجديد عربيا وليس تركيا.

ب- حكم مصطفى الشريف داي (1622-1629)

بدأ مصطفى الشريف داي، كسلفه صفر داي، بداية طيبة، لكنه سرعان ما انحرف، بعد إن أنفق أموالا طائلة لبلوغ منصب الداي. فبدأ باستغلال الشعب وإرهاقه بالضرائب حتى يوسع العطايا لأتباعه لضمان ولائهم.

في هذه الآونة مات نوير عن عمر يناهز السبعين عاما، تاركا ولدين هما: أحمد وسوفجين، اللذان كانا يستفيدان من امتيازات الدولة العثمانية المقررة لوالدهما. لكن مصطفى الشريف داي، استولى على أموال نوير، وجرد ورثيه من كل شئ. فقررا مغادرة طرابلس إلى الدواخل.

أمام تعسف مصطفى الشريف داي، قامت الاضطرابات في عدة أماكن شملت: ترهونة، مسلاتة، تاورغاء وغيرها، غير أنه أخذ في تحدي هذه الاضطرابات وقرر محاربتها وزيادة الضرائب على السكان. وكان الوالي حسن باشا، ما يزال مقيما في طرابلس، لكن لم يكن لوجوده أي معنى. لذا طلب العودة إلى استانبول، وهناك قدم تقريره عن سوء أعمال مصطفى الشريف داي.

فقامت حكومة استانبول بتعيين قاسم أغا واليا جديدا (1630-1632) وكان يحمل تعليمات صريحة من الصدر الأعظم، بقتل مصطفى الشريف داي الذي تحصّن في قلعة طرابلس ومعه مائتي مقاتل. حاول الوالي قاسم أغا، التفاهم معه، دون فائدة. فأخذت المدفعية التركية تدك القلعة لمدة أربعين يوما.

لجأ مصطفى الشريف داي خلال هذه المدة إلى كسب ثقة الأهالي، غير أن أحدا لم يستجب له. وبدأ أنصاره يتخلون عنه، بعد خمسة وعشرين يوما من الحصار. فأخذوا يتسللون أثناء الليل من أسوار القلعة بالهبوط من خلال الحبال، ويدخلون مدينة طرابلس

مشمولين بعفو الوالي قاسم أغا. ومع طول المدة قل الزاد، وارتفعت أرقام الهاربين من أنصار مصطفى داي.

وبعد أن، وجد نفسه وحيدا عندئذ، طلب التفاوض والاستسلام. فنزل من خندق القلعة، وفتح باب المنشية، ودخل الأهالي للتشفي من هذا الداي الظالم، واقترب عدد من جنود الوالي ليقتادوه إلى قصر الديوان الكائن أمام قلعة طرابلس، وسرعان ما هجم عليه الانكشارية فقتلوه ضربا وطعنا في أغسطس 1631 م ومثلوا بجثته، وصودرت أمواله.

ج- حكم رمضان أغا داي من أغسطس حتى أكتوبر 1631

بعد مقتل مصطفى داي، تم انتخاب رمضان أغا، دايا. وكان شيخا كبيرا، حكم بحكمة وإدراك. كما أنه كان غنيا سوّي الشخصية. نال إعجاب الجميع بشهامته ونبل أخلاقه، فألتف الديوان حوله وكانت القرارات تصدر بالتفاهم واتفاق الجميع.

لذلك نعمت ايالة طرابلس الغرب بشيء من الهدوء والسكينة أيام حكمه القليلة، حيث اضطر للتنازل إلى صهره محمد الساقزلي* عن الحكم وترك الوالي قاسم أغا طرابلس في مارس 1632 م، وقدم تقريرا إلى حكومة استانبول عن أعمال محمد الساقزلي داي.

4- حكم محمد الساقزلي داي (1631-1633) ثم واليا (1633-1649)

أرسلت حكومة استانبول واليا جديدا يدعي رباني باشا (1632-1633)، الذي وصل طرابلس في حاشية كبيرة، فاستقبله محمد الساقزلي داي، بالحفاوة والتكريم، واتخذ مقره قصر درغوث باشا.أعد محمد الساقزلي داي، خطة لتجريد هذا الوالي من سلطاته، ليتفرد هو بالحكم المطلق داخل ايالة طرابلس، وفي الوقت نفسه، حاول رباني باشا، التقليل من سلطة محمد الساقزلي داي، لكن الباشا كان يعمل بطريقة طائشة بإنفاق الأموال الطائلة لكسب ضباط الانكشارية إلى جانبه.

لم تكن الأمور على ما يبدو، تسير لصالح الباشا فالمكلفين بجباية الضرائب، لم يقوموا بواجبهم على النحو المطلوب، ويقال أنهم اتخذوا هذا الموقف بالتفاهم مع محمد الساقزلي داي، كذلك فان أعمال القرصنة لم تدر أي دخل خلال هذه المدة، فتأخرت رواتب الجند، وبدأ التذمر يدب في صفوفهم.

أضطر الباشا إلى طلب بعض المال من محمد الساقزلي داي، وباع ورهن أملاكه التي قدرت بحوالي 25 ألف سكودو، ولكن كل ذلك لم ينقذه من الأزمة. عندها أدرك مدى

الخطر الذي يهدد حياته، فأظهر لداي، رغبته في الانسحاب من الولاية والعودة إلى استانبول.

انتهز محمد الساقزلي داي هذه الفرصة، وأجبره على التصريح كتابة بأنه قد تنازل بمحض إرادته عن ولاية طرابلس دون أية ضغوط أو سوء معاملة أو عنف. فوافق الباشا على ذلك، وكر عائدا إلى استانبول 1633.

جهّز محمد الساقزلي داي، مركبا سريعا برئاسة الريس يوسف، محملا برسالة، شرحت للصدر الأعظم وضع ايالة طرابلس، وزوده بالهدايا الثمينة. كما وجهت رسائل أخرى للشخصيات المتنفذة في الدولة العثمانية مع الهدايا القيمة، وأطلق عدة تصريحات تقليدية. كانت تعبر عن الولاء والخضوع للسلطان العثماني، والتصميم على خدمته بتفان وإخلاص.

لم يكن محمد الساقزلي داي، شخصية نكرة لدى حكومة استانبول، فقد عرف بشجاعته وغزواته البحرية. كما أصبح لدى حكومة استانبول اقتناع عام، بفشل الولاة المتعاقبين والاضطرابات المستمرة، وقد شمل التقصير الوالي رباني نفسه، الذي تنازل عن الايالة بمحض إرادته تاركا الجيش في تدمر. لذلك قام الصدر الأعظم بإبلاغ السلطان بالأمر، وحصل منه على الموافقة بتعيين محمد الساقزلي داي، واليا وتسليمه علم السلطان. فوصل الريس يوسف قرب نهاية عام 1633 م، إلى طرابلس، وجرى الإعلان بتقليد محمد الساقزلي لسلطتي الداي والوالي لحكم طرابلس من 1633-1649 م.

،احتكر محمد الساقزلي كافة السلطات في يده، وحل الديوان، وأخذ بنظام الحكم الفردي الأوتوقراطي، يؤده الجيش في كافة إجراءاته، وأعدم عددا من الضباط الذين رفضوا نظامه الجديد، وسجن بعضهم وجرد آخرين من مناصبهم.وتصالح مع زعماء الدواخل، ورد لأبناء نوير جزء من أملاكهم بشرط عدم إثارة القلاقل. كما أهتم بتجميل مدينة طرابلس، حيث أنشئت المباني الأنيقة ذات دورين وأبواب تحف بها من الجانبين أعمدة رخامية. وقد تميزت المساكن بحجراتها الطويلة الضيقة وأسقفها المزخرفة، كما أعد الفناء بطريقة مريحة للنساء. وكانت هناك قاعات مخصصة للاستقبال والاجتماع، وشيدت عدة مصائف في ضواحي طرابلس.

وتمكن من القضاء على الانتفاضات وكانت أهمها: انتفاضة جبر بن موسى في تاورغاء

عام 1633 م، وهبة أحمد عبد الهادي في أوجلة وما جاورها في نفس العام، وتمكنت قواته من القضاء على اللصوص وقطاع الطرق، كما أنشأ قوة برية من الفرسان، كانت نواة لجيش ليبيا فيما بعد، وأرسل قوة لإخماد انتفاضة برقة حيث أرسل إليها جيشين أحدهما بقيادة عثمان الساقزلي، والأخر بقيادة يوسف بك، فتمكنا من إخضاعها وأصبح يوسف بك حاكما عليها، وأتخذ بنغازي مقرا له.

ثم انصرف محمد الساقزلي إلى تنظيم الشؤون المالية، فكانت مصادر الدخل في عهده، تتكون من الضريبة السنوية المقررة على أشجار النخيل والزيتون والإبل والأغنام وأبار المياه العذبة [25]. وعيّن في كل مقاطعة موظف يدعى الجابي، مهمته جباية الضرائب، توجد تحت تصرفه حامية صغيرة لإجبار الناس على دفع الضرائب بالقوة إذا لزم الأمر. أما المصدر الأخر لدخل الايالة فكانت الجمارك والأموال المصادرة من المحكوم عليهم سياسيا أو جنائيا.

وكانت العائدات البحرية، تشكل المورد الثالث للدخل، وجلبت أعمال القرصنة دخلا كبيرا إلى خزينة الدولة.

نهايته:

مات محمد الساقزلي باشا متأثر بالسم البطيء المفعول الذي دس له في تفاحة فكانت وفاته في فجر 28 سبتمبر 1649 م، وقد ترك خزينة الدولة في حالة حسنة، وبلغ عدد الأسرى الأوربيين عند وفاته 650 أسيرا.

هـ- حكم عثمان الساقزلي دايا وواليا 1649-1672

تولى الحكم في 29 سبتمبر 1649 م، عقب وفاة محمد الساقزلي، فبايعه كل الحاضرين في قاعة الديوان وأقسموا أمامه يمين الطاعة والولاء، بعد ذلك أمر باستدعاء كبار ضباط الانكشارية، الذين مثلوا أمامه، وأدوا يمين الولاء والطاعة.

وفي اليوم التالي لتنصيبه واليا ودايا، على ايالة طرابلس الغرب، أرسل رسولين إلى استامبول، ومعهم كالعادة، الهدايا الثمينة التي كانت موجهة للسلطان محمد الرابع والصدر الأعظم، وسرعان ما تلقى فرمانا سلطانيا يثبته في منصبه، ولم تعرض عليه أية شروط سوى العمل على إثراء ايالته، وإقامة التحصينات فيها، وزيادة عدد سفنها، والتعهد بقاتلة أعداء الإمبراطورية العثمانية.

بلغت ليبيا في فترة حكمه، مركزا ممتازا بين الدول، وأهتم بإنشاء ترسانة بحرية، وتسليح أربع وعشرون سفينة، واستعاد الأسطول في عهده مدينة بنغازي، وسيطر على درنة، وتم إعدام حاكمها المدعو حمودة تاغرن. كما اشتركت وحدات بحرية، كانت تتكون من قراصنة طرابلس وتونس، في هذه الحرب البحرية، ضد البنادقة لصالح الدولة العثمانية.

وبذل عثمان الساقزلي باشا جهودا كبيرة لتحسين وسائل الدفاع والقلاع والحصون، وتجميل مدينة طرابلس، مقتديا بخطى سلفه محمد الساقزلي. لكن سرعان ما تغيرت سياسة هذا الوالي وأحتكر معظم الحاصلات الزراعية، واستأثر بالغنائم التي كانت تعود بها السفن الليبية، وعمل على زيادة الضرائب. فكان ذلك سببا في انتفاضة كل من الأهالي والجند عليه عام 1672 م، بسبب التقسيم غير العادل للغنائم البحرية الوفيرة والثمينة، حيث خصص هذا الوالي عشرين آلف سكودو لتقسيمها على القواد بحيث نال كل انكشاري عشر سكودو فقط.

وفي اليوم المقرر لصرف المرتبات لقوات الانكشارية الموافق يوم 19 نوفمبر من نفس العام. والذين توفرت لديهم القناعة بأن حقوقهم قد اغتصبت وأنهم تعرضوا لظلم فادح في تقسيم الغنائم. واحتجاجا على ذلك، رفضت عناصر كثيرة من الانكشارية، استلام مخصصاتهم عن ثلاث شهور، في حين قبلتها عناصر أخرى.

وفي 29 من الشهر نفسه، قررت القوات الانكشارية القيام بحركة عصيان، وامتشقوا السلاح وحاصروا منزل الوالي عثمان الساقزلي الكائن في قلعة طرابلس، فخشي هذا الوالي سوء العاقبة التي تنتظره، وأقدم على الانتحار في نهاية الشهر نفسه، ودفن قرب مسجد درغوث باشا.

ا لمطلب الرابع : حكم الفوضى والاضطرابات (1672-1711):-

تميزت هذه المرحلة، بتعدد حكم الولاة، فبعضهم لم يدم في الحكم سوى أيام أو أشهر قليلة، ففي الفترة من 1672 حتى 1687 بلغ عدد الولاة في ايالة طرابلس الغرب نحو اثني عشر واليا في مدة لا تتجاوز خمسة عشر عاما. فامتلاء هذا العهد بالفتنة والاضطرابات والفوضى.

حتى وصل إلى حكم الايالة وال جديد هو **محمد الإمام** (1687-1701) وهو من الجند الانكشارية، إلا أنه كان خيرا، تقيا، فأطلق عليه الإمام، ولقب شائب العين. أبدى

اهتماما ملحوظا بتحصين البلاد، وترميم قلعة طرابلس، وصيانة الأسطول، وتنشيط الحركة التجارية، وأنشأ سوق الترك، وبنى مسجدا مشهورا، سمي بمسجد شائب العين. مازال يحمل اسمه في سوق الترك بالمدينة القديمة بطرابلس.

أولى محمد إمام داي اهتماما كبيرا بتطبيق فرائض الشريعة الإسلامية، وكان له علاقة جيدة بالعلماء، وكثيرا ما كان يؤم المصلين في جامعه، وأهتم بإنشاء المدارس.

أما عن السياسة الخارجية لايالة طرابلس الغرب في عهد الإمام محمد داي فقد أتبع سياسة نشطة في هذا المجال، حيث عقد المعاهدات مع فرنس وبريطانيا وتبادل العلاقات الدبلوماسية مع تونس والجزائر. وقد حاول فسخ الاتفاقية المهينة التي عقدتها الحكومة الطرابلسية في عهد عبد الله الازمرلي (1684-1687) مع الحكومة الأسبانية التي منحت للقنصل الأسباني حرية كبرى للتصرف في ايالة طرابلس، فوجهت الحكومة الأسبانية أسطولا كان يتكون من خمسة عشر قطعة حربية ضد حكومة طرابلس الغرب. لكن القوات الطرابلسية تمكنت من الصمود، وفشلت أهداف الحملة العسكرية الأسبانية في تحقيق أهدافها.

شهد عهد هذا الوالي بعض الهبات والانتفاضات:

1- هبة الناصر بن جهين في فزان 1694 م.

2- هبة منصور بن خليفة في برقة وسرت 1697 م.

3- هبة عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي في تاورغاء 1699 م.

أ- هبة الناصر بن جهين (حاكم فزان) 1694 م

رفض ناصر شيخ فزان دفع الضريبة السنوية لوالي طرابلس الغرب، فوجه إليه عام 1694 م، قوات انكشارية بقيادة يوسف بك، دارت عدة معارك من قرب من مدينة مرزق، ولم يتمكن أي من الجانبين من تحقيق النصر.

عند ذلك لجأت القوات الانكشارية إلى شق صفوف الثائرين. فكان من نتيجة ذلك وقوع شيخ فزان في الأسر، حيث عاد به يوسف بك إلى طرابلس تحف به مظاهر العظمة، ولم ينسى القائد التركي أن يأخذ من خزينة الأسرة الحاكمة في فزان، وعين أبن عمه محمد الغزال بلا من الناصر ممثلا لداي طرابلس.

وبعد خمسة أشهر من ذلك، عاد أهالي فزان إلى تجديد انتفاضتهم وقاموا بقتل محمد الغزالي، وانتخبوا تمتم بن جمعة شيخا لفزان، فسارع محمد الإمام داي الى إرسال قوات برئاسة الموكاني (علي المكن) وهو ابن عم محمد الغزال لقمع هذه الانتفاضة الجديدة.

فاعتمد تمتم بن جمعة، تكتيك الابتعاد عن الصدام المباشر، وبذلك تسببت قوات يوسف بك في عرقلة الحركة الطبيعية للقوافل التجارية المتجهة عبر فزان من أواسط أفريقيا إلى طرابلس الغرب، وأدت هذه العمليات إلى انقطاع التجارة التي كانت مزدهرة أيام الناصر، فتقلصت عائدات خزانة طرابلس.

لذلك رأى محمد الإمام داي أن يطلق سراح الشيخ الناصر بن جهين ويعينه شيخا على فزان مقابل أن يلتزم بدفع الإتاوة المقررة ويغدو تابعا لايالة طرابلس الغرب. وقد كانت أوضاع قوات الانكشارية في فزان قد تدهور حيث أمكن إلقاء القبض على الموكاني وزج به في السجن، فسارع يوسف بك لمساعدة الانكشارية وأطلق سراح الموكاني، وعاد الناصر للسلطة، وأخذ الوضع يستقر في فزان.

ب- هبة منصور بن خليفة في برقة وسرت 1697 م

تعرض منصور بن خليفة لظلم الانكشارية، فأثار أهل ترهونة الذين كانوا ساخطين لمضايقات الانكشارية للأهالي. فتقدمت القوات العثمانية تجاه ترهونة مما أجبر منصور بن خليفة على الانسحاب بقواته إلى منطقة تاورغاء، ولم يكن قد استكمل تشكيل قواته من السكان المؤيدين لحركته.

غير أنه اضطر لمواجهة قوات الانكشارية عام 1697 م في معركة حدثت جنوب تاورغاء وتمكنت قواته من إلحاق هزيمة ساحقة بالقوات الانكشارية التي كانت بقيادة يوسف بك، لذلك قامت السلطة باستبداله بخليل بك الارناؤوطي، فاضطر منصور بن خليفة للتوجه بقواته نحو سرت وتوغلت قواته حتى حدود برقة. فاتصل محمد الإمام داي بحاكم برقة (محمد بن محمود) طالبا منه إلقاء القبض على منصور بن خليفة [26]. فقام حاكم برقة بتوحيد قواته في درنة وبنغازي مع بعض المتطوعين من قبيلة البراعصة وأولاد علي، فوصل عدد قواته نحو 1،200 مقاتل، تمكنت هذه القوات من إلحاق هزيمة بقوات منصور بن خليفة أما هو فقد تمكن من العودة مرة أخرى إلى ترهونة.

ج- هبة عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي 1699-1700 م

قامت هذه الانتفاضة في منطقة تاورغاء من جميع الساخطين على الحكم التركي في تلك المنطقة، بالإضافة إلى قبيلة أولاد سليمان، وتمكنت قوات الانكشارية بقيادة خليل بك الارناؤوطي من القضاء على هذه الانتفاضة عام 1700 م. وبعد عام نشبت انتفاضة عارمة تمكنت من الإطاحة بالداي محمد الإمام، فقام رئيس البحرية بنقله وعائلته إلى مصر ومنها تم نقلهم إلى استانبول.

وبعد ذلك مرت البلاد بفترة حرجة امتلأت بالدماء والانشقاقات والاضطرابات وتولى بعد محمد الإمام داي،نحو عشرة ولاة كان أخرهم محمود أبو ميس ففي 4 يوليو 1710 قرر محمد الجن داي الاستقرار في قلعة طرابلس وتناول طعام الغداء بها وأخذته سنة من النوم،فأقدم محمود أبو ميس (أمين خزينته) وبرفقته أربعة من أتباعه فذبحه ثم نزل إلى قاعة الديوان وبيده سيفا يقطر دما، وجلس على العرش. وقد سارعت عامة الشعب إلى مبايعته دايا لأنه عربيا، ولكن سرعان ما امتد بطشه إلى الكثيرين من قادة الانكشارية وغيرهم.

ثم اتجه للتخلص من احد أعيان الجند وهو أحمد القره مانلي إذ أرسله في مهمة إلى غريان وأعطاه رسالة إلى حاكمها يأمره فيها بقتل أحمد القره مانلي. لكن الأخير اكتشف المؤامرة قبل وصوله إلى غريان فكر راجعا إلى طرابلس ونجح في إثارة الأهالي وأطلع أعيان الديوان الذين حضروا مجلسا عاما، فقرروا عزل محمود أبو ميس بعد توليه مدة دامت خمس وعشرون يوما ونادوا بأحمد القره مانلي يوم 27 يوليو 1711 م واليا على البلاد وقدمت الوفود لمبايعته من مختلف الجهات [27].

هكذا انتهى عهد الدايات (العهد الانكشاري) الذي كان مليئا بالفوضى والفساد ولم يجن منه الشعب الليبي سوى الجمود والتخلف والصراعات بين ريّاس البحر والانكشارية.

هوامش الفصل الثاني

● درغوث مساعد قائد الأسطول العثماني سنان باشا وكان يرغب في قراره نفسه أن يكون هو الوالي على طرابلس، للمزيد انظر، أتوري روسي، طرابلس تحت حكم فرسان مالطا، مرجع سابق، ص 78. وأنظر الملحق رقم (1) بخصوص باشاوات طرابلس. والواقع ان تعاقب باشاوات طرابلس يثير عدة إشكاليات حيث تتضارب المعلومات حول أعدادهم لذلك اعتمدنا الحوليات الليبية لأنها أقرب الى الصواب.

1- حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، طرابلس: سجل العرب، 1962، ص 173.

2- رأفت غيتمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، طرابلس: دار النهضة للنشر والتوزيع، ط 1، 1972، ص 32.

3- علي الميلودي عموره، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، طرابلس: دار الفرجاني، 1993، ص 218-221.

4- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 71، 72.

5- ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة عماد غانم، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، ط 1، 1991، ص 30.

6- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت: دار الجليل، 1977، ص 42. وأنظر أيضا مجموعة المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، القاهرة: دار الشعب، د.ت، ص 111.

7- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 143.

8- شارل فيرو، مرجع سابق، ص 751. مع ملاحظة أن سنوات الحكم لهؤلاء الولاة مختلف من مرجع لأخر فاعتمدنا المرجع المذكور.

9- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 57.

10- محمد الأسطى، ثورة يحيى بن يحيى السويدي، طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، العدد 1، 1982، ص 141.

11- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 155. وأنظر أيضا، ابن غلبون، مرجع سابق، ص 154.

12- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 155.

13- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 146. وأنظر أيضا شارل فبرو، مرجع سابق، ص 156.

14- شارل فبرو، مرجع سابق، نفس الصفحة.

15- المرجع نفسه، ص 157.

16- تاريخنا جـ 5، ص 55. وأنظر شارل فبرو، مرجع سابق، ص 158.

17- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 751، 752.

18- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 105.

19- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 752.

20- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 146. وأنظر شارل فبرو، مرجع سابق، ص 165.

21- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 111.

22- المرجع نفسه، ص 116.

23- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 166.

24- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 120.

* يدعى محمد كيو الساقزلي نسبة الى جزيرة كيو (Chio) باليونان، وهو من مواليد 1607، كان من أحسن قادة القراصنة، تزوج من ابنة رمضان داي. كان قد وضع خطة للوصول الى الحكم بعد عودته في أكتوبر 1931 بقرصانه، حيث أقام حفلة فاخرة لاصدقائه وطلب منهم، معاونته في الأمر، وتمت المؤامرة. للمزيد راجع، شارل فبرو، مرجع سابق، ص 171، 172.

25- مصطفى خوجه، تاريخ فزان، تحقيق حبيب وداى الحسناوي، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، 1989، ص 61.

26- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 138.

27- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 208.

الفصل الثالث :

أوضاع ليبيا السياسية في العهد القره مانلي

● -1711□
1745

أولا: أصل القره مانليين

ثانيا: حكم أحمد باشا القره مانلي 1711-1745

● المبحث الثاني: الأسرة القره مانلية 1745-1795

أولا: حكم محمد باشا 1754-1754

ثانيا: حكم علي باشا 1754-1793

ثالثا: استلاب علي برغل السلطة من القره مانليين 1793-1795

● المبحث الثالث: الأسرة القره مانلية 1795-1835

أولا: عودة القره مانليين لايالة طرابلس وحكم أحمد باشا الثاني.

ثانيا: حكم يوسف باشا يونيو 1795-1832.

ثالثا: ولاية علي باشا الثاني القره مانلي ونهاية حكم الأسرة القره مانلية

المبحث الأول: أصل القره مانليين ووصولهم للسلطة 1711-1745

أولا: أصل القره مانليين

الأسـرة القره مانلية، تركية الأصل، ينسب جدها الأول مصطفى القره مانلي، إلى إقليم قره مان في شبه جزيرة الأناضول. وقدم مصطفى القره مانلي إلى ليبيا زمن ولاية درغوث باشا، كان مجرد نوتي قرصان، وامتلك بستانا في ضاحية المنشية واستقر فيه، ثم تزوج من امرأة عربية من أهل البلاد.

توارثت سلالة هذا القرصان من أب إلى أبن. اسم جدهم الأول القره مانلي، واستمروا في مصاهرة أهالي البلاد، فامتزج دمهم بهم، حتى لم يعد لهم من الصفة التركية سوى الاسم، وأصبحوا مع مرور الوقت يجهلون حتى اللغة التركية، وتكون منهم جيل جديد يدعى الكول اوغلية*.

ومع ذلك فإنهم كانوا أثناء فترة حكم الباشوات والدايات، يتقلدون مختلف المناصب في منطقة المنشية، التي كانت تعد مكان إقامتهم الاعتيادي، وأخيرا، تحصل أحدهم وهو يوسف القره مانلي على منصب باش أغا لجميع فرسان الساحل والمنشية، ثم خلفه في نفس المنصب ابنه أحمد [1].

ثانيا: حكم أحمد باشا القرمانلي 1711-1745

سبق القول أن آخر الدايات من الانكشارية الذين حكموا ايالة طرابلس كان محمود أبو ميّس، وكيف أنه شنق نفسه في مسكنه يوم الثلاثاء 27 يوليو 1711 م، حتى لا يقع بين يدي عدوه اللدود حيا، وتمت البيعة لأحمد القره مانلي بك-باشا في نفس اليوم [2]، وبدأ يتقبل فروض الولاء من أهالي طرابلس والمنشية، وبعد أحد عشر يوما دعا أحمد القره مانلي، مجلس الديوان للانعقاد وأوكل منصب الباكوية أي قيادة الجيش إلى يوسف المكني [3].

الصعوبات التي واجهت أحمد القرمانلي في الحكم

واجهت أحمد القرمانلي عدة صعوبات بمجرد توليه الحكم وكان من أهمها ما يلي:

عودة خليل باشا الأرناؤوطي، الوالي السابق الذي أقصى عن الحكم عام 1710 م، على رأس أسطول تركي، يحمل فرمانا بتعيينه باشا على طرابلس الغرب، ودارت مفاوضات بين الجانبين، لكنهما لم يتوصلا إلى نتيجة مما أدى إلى وقوع معركة حاسمة بالقرب من صبراتة يوم 25 أغسطس 1711 م، أدت إلى هزيمة قوات خليل الأرناؤوطي وقتله في هذه المعركة.

أرسل أحمد القرمانلي بعد ذلك وفدا من أعيان طرابلس، برئاسة أحمد بن عثمان مزودا بالهدايا الثمينة للسلطان وحاشيته، والعرائض الموقعة من الأهالي برغبتهم في حكم أحمد القره مانلي، ورسالة شرحت الأسباب التي دفعته إلى نقل السلطة في يده.

فقام السلطان بإرسال أحد رجاله وهو محمد باشا غانم، للتحقيق في مقتل خليل الأرناؤوطي، والوقوف على الأمر بتفاصيله والتحقق من رغبات الأهالي. وقد استطاع أحمد القره ماني بمهارته وحسن تصرفاته، أن يكسب إلى جانبه مبعوث السلطان، بالمبالغة في الحفاوة به وتقديم أثمن الهدايا إليه، ومنع اتصال المعارضين به.

عاد هذا المندوب إلى استانبول، وهو يحمل الهدايا التي قدمت له، وعرائض التأييد من الأهالي. فأصدر السلطان فرمان التولية ومنحه لقب الباشوية عام 1912 **وأرسل السلطان له سفينتان كهدية.**

وهنا يقفز السؤال التالي: هل كانت الأسرة القره مانلية حركة انفصالية كما تصفها معظم كتب التاريخ ؟

غالبية كتب التاريخ التي كتبت عن الحركات الانفصالية في الوطن العربي تدرجها ضمن هذه الحركات مثل حركة علي بك الكبير في مصر، والشيخ ضاهر العمر في فلسطين، وباشاوات المماليك في العراق والأسرة الحسينية في تونس، والزيديين في اليمن. .. ألخ.

لكننا باستقراء الأحداث التاريخية لهذه الحركات، والحركة القره مانلية نستبعد أن تكون هذه الحركة انفصالية، دليلنا على ذلك أن أحمد القره مانلي أرسل وفدا لاستانبول للحصول على فرمان التولية، ثم أنه لم يعلن الحرب على السلطان ولم يمتنع عن إرسال الضرائب.

لذا نرجح الرأي بأنه في ظل الفراغ السياسي والفوضى والاضطرابات إبان العهد الانكشاري تم لأحمد القره مانلي الوصول للسلطة. فهي إذن مجرد حركة صراع داخلي على الحكم.

كما أننا نستخلص من الأحداث السابقة، ان الشعب العربي الليبي، وقف إلى جانب أحمد القره مانلي ضد الفوضى و الظلم والفساد الذي تمثل في العهد الانكشاري السابق فشارك بذلك في تقرير مصيره باختيار أحد الحكام الذي توسم فيه الشعب الخير. وهذا يذكرنا بموقف الشعب المصري بعد ذلك عندما وقف إلى جانب محمد على باشا وأصّر على إن يوليه حكم مصر عام 1805 م واستجاب السلطان العثماني للإرادة الشعبية.

بعد حصول أحمد القره مانلي على الشرعية لحكمه انصرف إلى تدعيم حكمه داخل

البلاد. فكان عليه إن يخمد ما يزيد على عشرين انتفاضة ومؤامرة قامت ضده خلال عهده الطويل الذي أستمر نحو أربعة وثلاثون عاما [4]. وقد نجح في القضاء عليها بالتخلص من كبار القادة والرؤساء من الانكشارية الذين كانوا سببا في إشاعة الفوضى والاضطرابات وحبك الدسائس والمؤامرات داخل طرابلس، حيث قام بدعوتهم إلى وليمة خاصة في قصره، وفتك بجميع المدعوين. وجرى اغتيال من ظل حيّا في كل أنحاء المدينة.

واستطاعت قواته من القضاء على عدة هبات من أهمها:

1- هبّة ابن السين اوغلي 1713 م.

2- هبّة علي بن عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي 1714 م.

3- هبّة الناصر بن جهيم، حاكم فزان 1714 م.

وتعميما للفائدة نرى عرض موجز لتلك الهبات وكيف تم القضاء عليها :

1- هبّة ابن الحسين الكول اوغلي 1713 م

ثار في مسلاتة ابن الحسين الكول أوغلي، وهو أحد رؤساء الجند الذين قرروا القصاص لأهل سكان تاجوراء. فبادر بعقد حلف مع محمد بن منصور الترهوني الملقب بسوق الذيب، ورفعوا راية العصيان عام 1713 م.

زحف أحمد القره مانلي على رأس قواته حيث تلاقت القوتان عند جبال ترهونة، وتمّت هزيمة الثوار، وأحرقت بيوت الذين اشتركوا في هذه الهبّة، وأباح أحمد باشا القره مانلي لقواته نهب أموالهم وحيواناتهم.

2- هبّة علي بن عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي 1714 م

هو ابن عبد الله الصنهاجي المغربي الأصل الذي قام بانتفاضة عام 1699 م في تاورغاء في عهد الامام محمد داي. ويلقب بابي قيلة. كان يعيش في طرابلس. وأخذ يجوب القبائل، مجندا حوله كل مثيري الشغب، حشد عدد من المناصرين ضد أحمد باشا القره مانلي، وتوجه بهم نحو الجبل الأخضر ببرقة، مدعيا أنه المهدي المنتظر.

وعندما تقاعست قبائل أولاد خليفة وأولاد نصر عن الاعتراف بزعامته، جعلهم أولى ضحاياه، فسبى حريمهم، وقتل نحو ستة عشر رجلا من أولاد خليفة [5].

حاول أحمد باشا القره مانلي، القضاء على هذا الزعيم وأعوانه، فخرج إليهم بقوات

كبيرة في الجبل الأخضر، لكنه لم يتمكن من اللحاق بهم، فعاد بقواته التي عسكرت بمنطقة الزعفران (قرب سرت)، وخرجت قافلة من عساكر الباشا للصيد، والتقوا بجماعة من البادية عند بئر تلك المنطقة، فألقوا عليهم القبض، وساقوهم للباشا، ونتيجة الضغوط، اعترفوا بأن أبي قيلة قد غادر الجبل الأخضر، وعسكر من جديد في السهل، فتوجهت قوات الباشا إلى المكان وداهمت فجأة معسكر قوات الصنهاجي، مما أدى الى مقتل عدد كبير منهم بما فيهم أخو الصنهاجي وهو عبد النبي، وتمكنوا من الاستيلاء على كميات من الغنائم ثم عاد الباشا أحمد القره مانلي بقواته عام 1714 م الى طرابلس محققا بعض النصر، لكنه لم يظفر بزعيم الانتفاضة.

3- هبّة الناصر بن جهيم (1714-1715)

رفض الناصر بن جهيم (حاكم فزان)، دفع الضرائب المقررة، فخرج أحمد باشا القره مانلي على رأس عدد من قواته عام 1714 م، وأوكل حكم طرابلس لأخيه من أمه الحاج شعبان بك.فتمكن من إخضاع جميع الأطراف في فزان بأقصى سرعة ممكنة. ثم توجهت قواته إلى مرزق عاصمة فزان وحاصرتها فأجبرت الناصر بن جهيم الى ارسال عدد من الأعيان والمرابطين الى أحمد باشا طالبين الشفاعة، فقبل بذلك شريطة دفع الخراج، وكر راجعا بقواته عام 1915 م الى طرابلس.

وإذا تتبعنا سياسة أحمد باشا الداخلية نجد أنه عمل على تحقيق الوحدة الطبيعية لليبيا بأجزائها الثلاث: طرابلس، برقة وفزان. وبذلك سيطر على جميع أنحاء الايالة الطرابلسية، وهيمن على مختلف الطوائف، وقضى على العصبيات المحلية وبث روح الطمأنينة في النفوس.

ثم وضع نواة البحرية الليبية التي امتازت بها الأسرة القره مانلية. فركّز الباشا اهتمامه بالأسطول البحري، الذي كان يشكل موردا للرزق وعاملا من عوامل القوة والحضارة. فانشأ دارا لصناعة السفن، كانت تضارع كثيرا من دور الصناعات البحرية الأوربية. وجدد الأسطول وأضاف إليه عددا من السفن. فألحق هذا الأسطول عدة هزائم بالسفن الأوربية، وعاد بحارته بالغنائم. كما استطاع أن يحمي البلاد من اعتداءات السفن الأوربية.

كذلك أهتم أحمد باشا بالجيش، وأعتمد على العنصر الوطني، وفتح باب الترقية أمامهم، وحصن سواحل ليبيا، وأعاد ترقيم القلاع، وبني مسجدا على أنقاض مسجد عمرو بن العاص عام 1735 م، وتحسنت الأوضاع الاقتصادية. من خلال تشجيع الأهالي على

الزراعة والتجارة حيث أمّن طرق القوافل التجارية، ونظّم مواردها، فعاد ذلك عليه بالأموال الوفيرة، كذلك شجع الأجانب على الإقامة في طرابلس وإدخال بعض الصناعات فيها.

أما الشؤون المالية فكلف بها الخازندار وكان ضمن مصادر الدخل، الضرائب على الواردات وضريبة الرأس على بعض الأشخاص كاليهود والجزية التي كانت تدفعها القبائل العربية بالداخل في طرابلس وفزان، بالإضافة إلى المبالغ السنوية التي كانت تدفعها البندقية لاستغلال الملاحات في أبوكماش، وشكلت عمليات القرصنة البحرية عائدا كبيرا للدخل.

كما اهتم بالعلماء وقرّبهم إليه، فكان منهم أبو عبد الله محمد بن خليل بن غلبون، الذي عاش في عصره ولقبه بأمير المؤمنين، لكنه سرعان ما انقلب عليهم، وتعرضوا لسيف نقمته، بعد أن أستتب له الأمر.

وأولى عناية كبيرة بشؤون الدين، فأمر بافتتاح المحاكم الشرعية والحكم وفق الأسس الشرعية، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية.

أما بالنسبة لسياسته الخارجية، فقد اتصفت باللباقة والحكمة، نستدل على ذلك من خلال رسائله التي كان يرسلها إلى ملوك أوربا وأمرائها. كما كان يتعامل مع القناصل بشيء من الحصافة والدبلوماسية (6).

وفاته

تمكن الباشا من استصدار فرمانا من السلطان، بتولية أكبر أبنائه من بعده.وفي أخر أيامه، أفلت منه زمام الأمر نتيجة إصابته بمرض العمى، ولم يمكنه تلافيه على الرغم من تظاهره بعدم ذلك، فأقدم على الانتحار يوم 5 نوفمبر 1745 م، وله من العمر تسعة وخمسون عاما، ودفن في مقبرة جامعه المشهور بجامع أحمد باشا. وكان قد أوصى بأن يخلفه في الحكم ابنه محمد، الذي كان يفضله على كل أبنائه وكان أصغرهم. أمّا الأكبر فكان محمود بك حاكم برقة والثاني فهو يوسف بك حاكم سلاح الفرسان.

ولم يكن قد أوصى ابنه محمد الذي سيخلفه سوى بأمرين هما: احترام فرنسا التي لقنته دروسا مروعة، ومداراة قبيلة المحاميد لما قدمته إليه من مساعدة عند اعتلائه العرش (7).

- المبحث الثاني: الأسرة القره مانلية 1745-1795

أولا: حكم محمد باشا 1754-1754

هو محمد بن أحمد باشا، والدته سيدة عربية تدعى زينب ابنة محمد باشا (شائب العين) وأرملة خليل باشا، تولى حكم ايالة طرابلس في اليوم التالي لوفاة والده في 4 نوفمبر 1745 م، وحتى لا يتيح لأخيه الأكبر محمود أية فرصة للمطالبة بحقه في ولاية الحكم، فان أول عمل قام به هو أن عينّه بيكا لمنطقتي بنغازي ودرنة وزوده بالهدايا والهبات. حظي توليه الحكم بالرضاء من أعضاء الديوان ورؤساء القراصنة وكبار قادة الجيش واحترام الدول الأجنبية، فقد توجه قناصل الدول العظمى لتهنئته بهذا المنصب الجديد. وقدم له قائد البارجة السويدية الهدايا الثمينة التي بلغت قيمتها نحو 18 ألف سكودو [8].

سار محمد باشا على نهج سياسة والده على المستويين الداخلي والخارجي. حيث وجه عناية خاصة لتدعيم قوة الأسطول والجيش وأنشأ سفنا جديدة، ولم يطمع مثل والده في توسيع حدود الايالة بل قنع بتوطيد الأمن وإحلال الهدوء في البلاد. وبذل اهتمامه بالقرصنة وكان البحّارة الطرابلسيون مشهورون بالشجاعة المتناهية مما أدى إلى إنزال الرعب في قلوب أعدائهم في حوض البحر المتوسط.

أمام قوة تنامي الأسطول الليبي، أدركت الدول الأوربية، استحالت مرور مراكبها التجارية بأمان في عرض البحر المتوسط، دون الاتفاق مع حكومة طرابلس. فبادرت بعقد الاتفاقات. ففي عام 1750 م، عقدت الحكومة البريطانية اتفاقية مع حكومة الباشا، كانت تتألف من ثمان وعشرين مادة، من أهمها: إذا صادف القراصنة الطرابلسيون سفينة إنجليزية، يتحققون من جوازات السفر التي تحملها، وإذا كانت صحيحة يعاملونها معاملة الأصدقاء [9].

كما أظهر الباشا، رغبته في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الحكومة الفرنسية، حسب وصية والده، وذلك بحسن استقباله للقنصل الفرنسي (كوليت) الذي وصل إلى طرابلس في شهر يونيو 1745 م، ليتسلم منصبه. كما أوصى الباشا، قراصنته بوجوب احترام السفن التجارية التابعة لكل من فرنسا وانجلترا، وهما الدولتان اللتان كان يخشى انتقامهما.

أمّا الدويلات الصغيرة فقد ضحى محمد باشا بهيبتها، فكانت العلاقة مع مملكة نابلي سيئة للغاية. ففي ابريل 1746 م، توجه أربعة ضباط الايالة لقنصلية نابلي ومزقوا

علمها، ولاحق القراصنة الطرابلسيون سفن هذه المملكة. كما خرقوا المعاهدة السلمية مع النمسا حيث تعرضت سفنها لنهب القراصنة الطرابلسيون، ولم تتوصل الدولتين إلى إقرار السلام إلا في عام 1749 م، وقدمت الحكومة الدانماركية فدية كبيرة عام 1751 م، لخلاص أسراها. كذلك سفن البندقية تعرضت لنهب القراصنة الطرابلسيون في يناير 1749 م.

نستنتج من سياسة عقد تلك المعاهدات إن محمد باشا كان يمارس علاقاته السياسية الخارجية دون الرجوع للسلطان العثماني. مما يوضح لنا مدى القوة البحرية التي وصلت إليها البحرية القره مانلية، بحيث جعلها تملي إرادتها على الدول الأوربية، فعاد عليها مكاسب مادية وتدفقت على خزينتها أموال طائلة. حيث شكلت القرصنة المصدر الوحيد الرئيسي للدولة، وأهملت الزراعة والصناعة.

نهايته:

اعتلت صحة محمد باشا، بسبب إدمانه على شرب الخمر فاضطربت حياته، وتوفى يوم 24 يوليو 1754 م، وله من العمر خمس وأربعون سنة، ودفن إلى جانب والده.

ثانيا: حكم علي باشا 1754-1793

تولى علي باشا الحكم بعد وفاة والده، في 24 يوليو 1754 م، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما. كان شخصية ضعيفة ومتخاذلة مدمنا للمسكرات. تمكنت الجالية اليهودية في عهده، حماية مصالحها والوصول إلى ما تريد من خلال إحدى محظياتة اليهودية ايستر وابنتها ميزلطوب التي كانت عشيقة ابنه يوسف. وكان الناس يعتبرون اليهودية ايستر هي سيدة القصر.

وعلى الرغم من ذلك كله، فقد شهدت ايالة طرابلس خلال العشرة سنوات الأولى من حكمه، نوعا من الاستقرار، وكان يتمتع بحب واحترام غالبية طبقات المجتمع الليبي.

غير إن هذه الصورة سرعان ما تغيرت، بمجرد أن بدأت سلطة علي باشا، تتقلص أمام نفوذ أعوانه، فقد كان عديم الخبرة، كسول، غير ميّال للعمل، وترك الأمر على عاهله لزعماء الانكشارية، يحكمون البلاد باسمه، فتركزت في أيديهم أعلى المنصب في الدولة، وأصبحت لهم السيطرة الكاملة وأصبح الباشا مجردا من كل مقومات السلطان ، بأمر وينهي ولكن لا يسمعه أحد، حتى أولاده، كانوا لا يقيمون له وزنا [10]، فقد كان للباشا

ثلاث أولاد هم: حسن، أحمد، ويوسف من زوجته اللالة حلومة. حفل عهد ه بالاضطرابات والقلاقل والمغامرات، لكن ذلك لم يمنعه من الاستمرار في الحكم لمدة تقارب من الأربعين عاما.

لعل أهم ما كان يميز عهد الباشا الظواهر التاريخية التالية:-

1- التوسع في سياسة عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية.

2- الصراع الدائم على السلطة بين أبنائه.

وتفاصيل أحداث الظاهرتين كما يلي:

1- التوسع في سياسة عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية:

كانت سياسة علي باشا بالنسبة للدول الأجنبية كسابقيه، فقد تابع الأسطول البحري القره مانلي نشاطه في عهده، وانهالت عليه الغنائم من كل صوب. فبالغ في فرض الإتاوات على السفن الأجنبية، وتوسع في عقد الاتفاقيات معها، كما أعاد التصديق على بعض المعاهدات السابقة التي عقدها والده مع الحكومة البريطانية. وفي عام 1756 م عقد مع حكومة البندقية معاهدة كانت تتضمن ثلاث وعشرين مادة منها:

1- إيقاف حالة الحرب بين الطرفين.

2- تبادل التجارة بين الجانبين.

3- منع تعدي السفن الطرابلسية على سفن البنادقة.

وفي عام 1774 م أكد الباشا على اتفاقية الصلح مع الحكومة الفرنسية. كما تم عقد اتفاقية مع الحكومة الاسبانية عام 1784 م، تم من خلالها إعفاء السفن الاسبانية من الرسوم[11].

كانت الدول الأوربية العظمى، تسعى لإرضاء باشا طرابلس، لما كان يتمتع به الأسطول البحري الطرابلسي من قوة رادعة تمكنه من بسط هيمنته على أقوى القوى البحرية في المتوسط.

2- الظاهرة الثانية وتتمثل في الصراع الدائم بين أبناء الباشا على السلطة

كان للباشا، كما سبق القول ثلاثة أبناء أكبرهم حسن بك، بقوة الشخصية والشجاعة وكان يشرف على أعمال القرصنة، حتى أنه كان يسلحهم على حسابه الخاص، ويقود

القوات البرية للقضاء على الحركات الثورية. وكان والده يكلفه بالمهام العظام، التي لم يستطع هو القيام بها. وكان أحمد بك، هو ثاني أبناء الباشا، نسخة عن أبيه فهو يحب الشراب، ضعيف المدارك والفهم. أمّا يوسف فهو الابن الأصغر، كان حاد الطباع، عنيف لا يتردد، كان طامعا في السلطة، ذكيا، يتمتع بحكمة ودراية في الأمور السياسية (12).

وكان لأبناء الباشا أنصار كثر من شيوخ وإقطاعيين وعساكر، الأمر الذي كان له أثر واضح في تأجيج الحقد في قلوب هؤلاء الأشقاء الأعداء ضد بعضهم بعضا.

في عام 1790 م، كان حسن بك، ولي عهد الباشا، يحكم باسمه، ويتصرف بكل ثقة في شؤون الدولة. وكان أحمد بك حاكما لمنطقة مصراتة، فكان يكظم غيظه وحسده لأخيه. أما يوسف بك، فقد كان حاكما لمنطقة جنزور ولم يُخف عدائه لأخيه حسن (13).

لقد زادت ثقة علي باشا في ولده حسن بك وتفضيله على أخويه، الأمر الذي أدى إلى حدوث تقارب وتفاهم بين أحمد ويوسف ضد أخيهما حسن. وبدت مظاهر الصراع بين الإخوة واضحة، تجلت في ذلك العدد الكبير من الحراس، الذين كانوا يحيطون أنفسهم بهم.

حدث أن أقام الباشا، احتفالا بمناسبة إحدى أعياد الفطر، فحضر أولاده الثلاثة هذا الاحتفال بصحبة كبار ضباطهم وحراسهم وعبيدهم المدججين بالأسلحة. بدأ يوسف بك بتحذير أخيه حسن بك أمام والدهما، وطلب منه عدم إثارة غضبه. وكان يوسف بك حريصا على إثارة النزاعات العلنية، وكأنها عادية وعابرة لا جدوى من ورائها، وأخذت النزاعات والخلافات تتجدد وتسوى باستمرار، وكان يوسف بك أحيانا يلجأ إلى وساطة النساء لإنهاء مثل هذه النزاعات. وبذلك استطاع يوسف بك بخبث، اختيار أنسب الأوقات لتنفيذ مخططه الرامي للتخلص من أخيه حسن.

كان الباشا على علم فيما يجري من صراع بين أبنائه، حاول التدخل أكثر من مرة، وقد أشار عليه القنصل الفرنسي بإبعاد كل من أحمد ويوسف عن طرابلس، فأصدر علي باشا أمرا، بإبعاد أحمد بك إلى منطقة زوارة، وإبعاد يوسف بك إلى منطقة مصراتة.

فقام يوسف بك باضطهاد الأهالي في مصراتة مما أثار حفيظة حسن بك، الذي وجه إليه انتقادا شديدا، أثار غضبه فعاد إلى طرابلس كنوع من الاحتجاج، وزيادة في تأجيج رغبته في إزاحة الأب والأخ عن طريقه للوصول هو إلى السلطة.

أمام هذا الواقع المتردي، وتدهور حالة الباشا الصحية، كان يوسف بك ينظر إلى نفسه، وكأنه المنقذ لتلك الحالة التي تمر بها البلاد. فتظاهر أنه يرغب في التوصل إلى صلح بينه وبين أخيه حسن بك أمام والدتهما اللالة حلومة، حدث ذلك يوم الجمعة 20 يوليو 1790 م، وحضر حسن بك تحقيقا لرغبة والدته، وبرغبته في فض المنازعات مع أخيه يوسف.

توجه يوسف إلى القصر مع عدد من عبيده، وعند وصوله للقصر، لم يكن يحمل سلاحا، وتمت المقابلة في جناح الحريم في غرفة والدته، وكانت المقابلة هادئة، وعرض يوسف أن يقسم على المصحف عن صدق نواياه في المسالمة. واثر إشارة منه، كان متفق عليها، ناوله أحد رجاله مسدسا، فأطلق النار على أخيه حسن بك، بحضور والدتهما المسكينة، وزوجة حسن بك، ثم انسحب ومعه عدد من حاشيته الذين ربطوا مصيرهم بمصيره.

ظن أحمد بك أن ما قام به أخيه يوسف سوف يثير غضب أبيه الباشا، وقد يؤدي إلى قتله، فيخلو الجو له ويتولى الحكم. إلا أن الأمر جاء عكس توقعات أحمد بك، فقد دعا الباشا، ولده يوسف بك إلى القصر، واستقبله استقبال المنقذ لأبيه من طمع الأمير حسن بك، حاول يوسف بك إقناع والده، بأن أخيه حسن بك كان يخطط لعزله وتولي السلطة مكانه،وكان على الباشا الرضاء بالأمر الواقع

نتيجة لهذه الصراعات، دخلت البلاد في حالة من الفوضى والاضطرابات والفتن وانتشرت الهبّات الداخلية واجتاح البلاد مرض الطاعون الذي فتك بالسكان في ظل تردي الخدمات الصحية وتدهور الحالة الاقتصادية.

وبعد مقتل الأمير حسن بك، وقف الناس بين مؤيد ومعارض. وفي عام 1791 م، قام يوسف بك بمحاصرة طرابلس، ومحاولة الاستيلاء عليها. مما زاد من تذمر الأهالي وتدهور الأوضاع، فأرسلوا إلى استانبول يلتمسون وضع حد لهذه الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية.

ثالثا: استلاب علي برغل السلطة من القره مانليين 1793-1795

في الوقت الذي كان الصراع على السلطة محتدما بين يوسف بك ووالده الباشا وأخيه أحمد بك، ظهر على مقربة من ميناء طرابلس، سبع سفن، كانت تحمل العلم العثماني،

وكان قائد هذا الأسطول رجل يسمى علي برغل مع مجموعة من المغامرين والمرتزقة.

والسؤال: من هو علي برغل ؟

يعرف بسيدي علي بن آدم أو علي الجزائري وهو مغامرا تركيا من أصل يوناني، شغل منصب رئاسة البحرية الجزائرية. وكان على علم بالأوضاع السيئة لايالة طرابلس وما يدور فيها بين الباشا وأبنائه من الصراع على السلطة. فقصد استانبول واستطاع بواسطة أحد أشقائه الذي كان له نفوذ لذى السلطان، أن يحصل على موافقة تعينه واليا على ايالة طرابلس الغرب، تسانده في ذلك ثروته الخيالية، بالإضافة الى الفوضى الضاربة أطنابها في تلك الايالة، والالتماس الذي قدمه أعيانها.

لم يكد علي برغل يحصل على فرمان السلطان، حتى قام بإعداد كافة التجهيزات على نفقته الخاصة، ونوجه إلى طرابلس بقوة تقدر بحوالي 300 مقاتل، تمكنت باحتلال حصن بيت الرايس، وأبلغ الأهالي بوصوله بفرمان. كان الأهالي، قد سئموا الحكم القره مانلي وصراعهم على السلطة، فأسرعوا الى تسليم المدينة، وفضل علي باشا القره مانلي الهرب ليلا بثروته و نسائه وابنائه، واتجه بحرا الى تونس، واضعا نفسه تحت حماية صديقه، حمودة باشا، (باي تونس) [14].

أمّا يوسف بك، فانه صمم على مقاومة قوات علي برغل، وأخذ بجمع المقاتلين ويرغبهم في المقاومة، وقد وعدهم باستباحة مدينة طرابلس لمدة ثلاثة أيام، يفعلون فيها ما يشاءون، نظير اشتراكهم في طرد علي برغل وقواته، غير أن محاولاته باءت بالفشل، فقرر الالتحاق بوالده واللجوء إلى تونس.

اعتقد علي برغل أن هروب الأسرة القره مانلية الى تونس ستمكنه من حكم ايالة طرابلس الغرب فأعلن أنه سوف يجعل منها أعظم الايالات العثمانية، وطلب من الدول الأوربية معاملته كما تعامل حكومة الجزائر، كما طلب من القناصل الذين جاءوا لتقديم الاعتراف بهم، تجريد سيوفهم ونزع أحذيتهم وتقبيل يده (15). فامتنعوا عن زيارته بحجة أنهم لا يستطيعون ذلك قبل الرجوع إلى حكوماتهم.

لقد مارس علي برغل من ناحية أخرى، ظلما كبيرا للشعب الليبي وأرهقه بالضرائب، وقتل عدد من أعيانه لأسباب تافهة فكان أسوأ في قسوته من نيرون، وصادر أموال الأهالي لمصلحته الخاصة، وساءت علاقته مع باي تونس، لتنكره لعلاقات الجوار، وتحريضه العملاء ضد تونس.

- المبحث الثالث: الأسرة القره مانلية 1795-1835

أولا: عودة القره مانليين لايالة طرابلس وحكم أحمد باشا الثاني

أمام ظلم علي برغل وتصرفاته الرعناء لم تطل مدة حكمه لايالة طرابلس الغرب، فقد عملت الأسرة القره مانلية، وهي في تونس على عرقلة جهوده، وإحباط أعماله، فأثارت أعوانها ضده، وزيّن له هؤلاء، غزو جزيرة جربة، على أساس أنها كانت تابعة لايالة طرابلس الغرب، فأسرع علي برغل بتجهيز حملة، استولت على هذه الجزيرة.

أثار هذا العمل، حمودة باشا، فجهز قوات بقيادة وزيره مصطفى خوجه، وهو من مواليد طرابلس، تلقى تعليمه فيها، كما عرف بالكتابة والتدوين وتحرير الرسائل لذلك عرف بمصطفى الكاتب. وهو من أصل مغربي.

اصطحب مصطفى الخوجه معه الأسرة القره مانلية واتجهوا بقواتهم لملاقاة قوات علي برغل، فتمكنت تلك القوات من استعادة جزيرة جربة، ثم واصلت مسيرتها إلى طرابلس، وحاصرتها، حيث استطاعت ومعها الموالون للآسرة القره مانلية من سكان الدواخل الذين كانوا بقوة قوامها ثلاثين ألف مقاتل، في 16 يناير 1795. لم يستطع علي برغل الصمود طويلا ففر إلى درنة، وغادرها إلى مصر، لدى مراد بك، ثم عينته حكومة استانبول حاكما على مصر. وفي عام 1803 م قتله المماليك [16].

ودخلت القوات التونسية-القره مانلية طرابلس، فبايع الطرابلسيون أحمد باشا الثاني يوم 26 يناير 1795 واليا عليهم. غير أنه لم يبق في الحكم سوى بضعة أشهر، فقد استسلم هذا الوالي لحياة اللهو والمجون، منذ اللحظات الأولى من حكمه. فقام أخوه يوسف بك بانقلاب أبيض يوم 11 يونيو من نفس العام وأعلن نفسه واليا على البلاد وبايعته الناس.

ثانيا: حكم يوسف باشا يونيو 1795-1832

بعد اغتصاب يوسف باشا، عرش أخيه أحمد باشا، سعى الى اضفاء الشرعية على حكمه، فجمع أعيان مدينة طرابلس وطالبهم بكتابة عريضة، يثنون فيها على وصوله للسلطة. ويطالبون السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1807) تثبيته واليا على ايالة طرابلس الغرب. وأمر أن ترفق الرسالة بكثير من الهدايا النفيسة للسلطان وحاشيته، مع رسالة شخصية من يوسف باشا للسلطان، شرح فيها بالتفصيل الأحداث التي وقعت

في ايالة طرابلس من فوضى واضطرابات، انتهت كل هذه المظاهر بمجرد توليته.وختم رسالته بالتأكيد على الوفاء للسلطان وبرجائه تلبية رغبة الأهالي، بتعيينه نائبا له في طرابلس [17]. فوصل فرمان التولية في نفس العام 1795 م، والإنعام عليه برتبة الباشوية، كما تلقى من السلطان فرمانا أخر يمنحه لقب بلير بي عام 1826 م، نظير خدماته للدولة العثمانية في حربها مع اليونان[18].

انصرف يوسف باشا، إلى إقرار الأمن والسلام في الايالة، التي افتقدتها منذ مدة طويلة. فكرس جهوده في إعادة تشكيل الجهاز الإداري، الذي تحول في بداية عهده إلى إدارة قوية تسيطر على كافة الأمور.

وكان الجهاز الإداري ينقسم إلى قسمين إداريين هما:

1- الإدارة السياسية.

2- الإدارة العسكرية.

أما الإدارة السياسية فكانت تنقسم الى:

1- الإدارة المركزية.

2- الإدارة الإقليمية.

1- الإدارة المركزية:

تمثلت الإدارة المركزية في سلطة الباشا، الذي شكلت أعلى سلطة مدنية وعسكرية، فهو القائد العام لجميع قوات الدولة. يأتي بعده الديوان (مجلس الدولة)، الذي يقوم بمساعدة يوسف

باشا، ويتكون من الزعامات العسكرية للانكشارية البحرية والبرية والمدنية والقضائية والإدارية، إلى جانب رجال الدين الرسميين بالدولة وبرئاسة الباشا [19].

ثم يلي ذلك، ولي العهد (محمد) ابن الباشا، الذي يحمل لقب الباي وهو القائد العام لجميع قوات الايالة وهو المسئول عن جميع الضرائب والإتاوات والمسائل الأمنية بوجه عام. وقد تم عزل محمد باي، وعيّن الباشا، مكانه ابنه علي، الذي كان يتولى قيادة القوات العسكرية، ويرأس جلسات الديوان عند غياب الباشا [20].

يأتي بعد الباي مباشرة بالنسبة للعسكريين، الأغا، وهو ضابط رفيع المستوى والقيّم

على مفاتيح بوابات المدينة، وعضو في الديوان. أما نظيره في القوات البحرية فكان يسمى رايس البحرية، وقد شغل هذا المنصب، صهر يوسف باشا، الرايس مراد وهو من أشهر رجاله في هذا الميدان، اسكتلندي الأصل كان يسمى بطرس ليزلي، عمل على إحدى السفن البريطانية التي كانت تتردد على ميناء طرابلس الغرب. فألتحق بخدمة يوسف باشا، وأعتنق الإسلام وتسمى بمراد. فأسند اليه الباشا قيادة إحدى السفن، وسرعان ما ظهرت مواهبه وإخلاصه، ونتيجة لذلك وصل أعلى المراتب.

ويضم الديوان أيضا الكيخيا، نائب الباشا و مستشاره الخاص، يساعده في إدارة أعماله القضائية، ويشرف على تنفيذ جميع القوانين وأوامر الباشا. وللكيخيا كرسي دائم في القلعة، وهو المدرس الخاص لأكبر أبناء الباشا، وقد تولى هذا المنصب طيلة فترة حكم يوسف باشا، رجل يدعى (محمد شبلي بيت المال)، يساعده الكيخيا الصغير، المسئول عن الحرس الخاص بالباشا، وعن تنفيذ الأحكام العامة داخل قلعة طرابلس أمّا كاتب الباشا، فكان يهودي، اسمه ابراهيم سروسي. وكان العضو الأخير المهم في الديوان هو شيخ البلد، مهمته تسيير أمور البلاد الداخلية. وكان المؤرخ أحمد بك النائب الأنصاري، قد شغل هذا المنصب لمدينة طرابلس. وكان القاضي والمفتى ورئيس الدراويش، يمثلون أهم الموظفين الدينيين في الديوان.

كان الديوان يجتمع يوميا باستثناء يوم الجمعة، يناقش في النصف الأول من النهار شكاوي الأهالي ثم يناقش بعد ذلك أمور الايالة التي يطرحها الباشا.

أمّا عن مظاهر الأبهة والتنشئة بالملوك، التي ظهر بها يوسف باشا، فيقال أنه نصب في حجرته بالقلعة، مقعدا مرتفعا كان يجلس عليه، ويلزم الداخلين لمقابلته، بتقبيل الأرض، وأن يبقى الوزير ومأمور الخارجية واقفين عند مقابلته للقناصل.

2- الإدارة الإقليمية

قسمت ايالة طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا بين أبنائه، إلى ثلاثة أقاليم رئيسة هي:

الإقليم الغربي (طرابلس).

الإقليم الشرقي (برقة).

الإقليم الجنوبي (فزان).

وأسند حكم مصرانه إلى ابنه مصطفى، وحكم زليطن الى ابنه ابراهيم، وحكم الخمس إلى ابنه عثمان، وحكم ورفله إلى ابنه عموره، وأسند إلى ابنيه محمد وأحمد حكم المنطقة الشرقية. وكان يوجد إلى جانب هؤلاء الأغا، وهو قائد القوات المحلية النظامية وغير النظامية، ومهمته إخضاع السكان، وجمع الضرائب.

كانت الإدارة الإقليمية تضم أيضا، القادة المسئولون عن المقاطعات أو بعض المدن مثل مدينة درنة، ومسئوليتهم عامة على الإدارة القضائية والمدينة، يساعدهم في تأدية أعمالهم المشايخ المسئولون عن تدبير شؤون قبائلهم وجمع الضرائب، والمحافظة على القانون والنظام بين السكان الواقعين في دائرة سلطتهم، وعليهم القيام بالتجنيد وجمع القوات المحلية وقيادتها مقابل إعفاءهم من دفع الضرائب[21].

وكانت الإدارة العسكرية تنقسم إلى قسمين هما :-

1- الجيش (القوات البرية).

2- الأسطول (القوات البحرية).

1- الجيش (القوات البرية)

كانت القوات البرية في عهد يوسف باشا تتشكل من المرتزقة أثناء العمليات القتالية ضد المناطق الثائرة ولعل سبب الامتناع عن تكوين جيش نظامي كان يعود إلى نقص الأموال اللازمة عليه للإنفاق عليه في أوقات السلم. وكان يتم جمع هذا الجيش بالدرجة الأولى من الكول اوغلية، بمعنى العسكر المحليين ومهمتهم مساندة الدولة في جمع الضرائب، وفض المنازعات القبلية، مقابل الحصول على الإعفاء من الضرائب.

أما الانكشارية، فكانت مهمتهم الأساسية تنحصر في تثبيت أركان القوات من غير الجيش النظامي.

يمكننا أن نتعرف على جيش يوسف باشا من خلال وصف المستكشف الايطالي باولو دلاشيلا (1817-1818)، فقد رافق هذا المستكشف كطبيب، الحملة العسكرية بقيادة أحمد بك (ابن يوسف باشا)، المتوجه إلى برقة لقمع انتفاضة ابنه محمد بك، حيث أشار إلى أن الجنود كانوا مسلحين تسليحا سيئا أردأ أصناف البنادق والمسدسات، و يرتدون أسمالا ممزقة من الصوف، وأحذيتهم من جلود الجمال المجففة تحت الشمس، يشدونها على أقدامهم بحبال (22).

بالإضافة إلى هذا الجيش غير النظامي، كانت هناك فرق نظامية خاصة، أطلق عليها اسم (الشاوشية)، كانت مهمتها حماية القصر الحاكم والمدينة كما تقوم بمهام الشرطة، وكان يخدم فيها الإنكشارية والزنوج الذين تم عتقهم.

لكن منذ عام 1802 م، بدأ يوسف باشا في تشكيل جيشه النظامي الذي ضم ثلاث وحدات أساسية هي:-

1- القوات الانكشارية، وتتركز معظمها داخل بوابات مدينة طرابلس، وتعسكر حامياتها في المراكز الرئيسة للأقاليم والمقاطعات مثل: بنغازي، درنة ومرزق. ... الخ. وكانت كل حامية تحت قيادة أغا، وكان أغا طرابلس هو القائد العام لهذه القوات.

2- الخيالة النظامية (السباهية) وهي من العرب المحليين، تحت إشراف ضباط من المرتزقة للتدريب وتنظيم هذه القوات. وقد بلغ عددها نحو 1500 من الأتراك المرتزقة بالإضافة الى نحو 1،200من السكان العرب المحليين، شكلت هاتان الوحدتان أساس القوة النظامية لجيش طرابلس [23].

3- الجنود غير النظاميين، يتم تجنيدهم من مختلف مناطق الايالة، وكانت هذه القوات تحارب منفصلة بعضها عن بعض، تحت قيادة مشايخها الذين كانوا خاضعين بدورهم لقيادة الأغاوات ثم لقيادة الباي، وينتهي وجودهم في الجيش بمجرد انتهاء العمليات العسكرية المشاركين فيها ثم يعودون الى حياتهم العادية.

2- الأسطول (القوات البحرية)

في أواخر عام 1795 م، بدأ يوسف باشا، بإصلاح ثلاث سفن معطوبة تركها والده، وأضاف إليها سفنا أخرى جديدة، وفي أقل من عام، تضاعفت قوة الأسطول البحري. وكان إنزال سفينة جديدة في عرض البحر يمثل عيدا، تقام فيه المهرجانات بحضور جمع غفير وممثلي القنصليات الأجنبية، وتذبح الذبائح،.

وكيف لا يكون ذلك والأسطول كان يشكل المصدر الأساسي في تحصيل الأموال الطائلة من خلال القرصنة البحرية وهو المصدر الرئيسي في إثراء خزينة الباشا.

أما زيادة عدد سفن الأسطول، فكانت تعتمد بالدرجة الأساسية على ما كان ينتزعه قراصنة الباشا من أيدي الأعداء حيث يتم سحب هذه السفن ثم تدهن ويغير شكلها وتدخل ضمن قوة أسطول الباشا، بالإضافة إلى الهدايا من الدول الصديقة التي كان

الباشا، يشترط على هذه الدول، نوعية معينة من الهدايا تشمل في معظمها، مستلزمات الأسطول البحري، في حين كان يتم شراء بعض السفن.

لقد ترك تنامي أسطول يوسف باشا انطباعا في نفس السلطان سليم الثالث، فأمر بإرسال سفينتين عام 1747 م هدية للباشا، كانت الأولى تحمل أربعة وعشرون مدفعا. والثانية ستة وثلاثون مدفعا، مع قطع من قماش القنب لصناعة الأشرعة والخيام، وحبال ومواد تجهيز عامة للسفن.

وفيما بين عامي 1798-1800 م، بلغ عدد سفن الأسطول الحربي الطرابلسي، أحدى عشرة سفينة في حين بلغت أعداد القوات المسلحة البحرية عام 1819 م : فرقيطة مسلحة، بأربعة وعشرين مدفعا، ست بولاكيان ذات اثنتان وأربعين قطعة مدفعية موزعة عليها، أربعة عشر زورقا مسلحا كل منها بقطعة مدفعية ضخمة، بالإضافة إلى ستة سفن تجارية كبيرة يمكن تسليحها وإعدادها للحرب وقت الحاجة [24].

ومع نشوب الحرب الطرابلسية-الأمريكية عام 1801 م، كثف الباشا برنامج البحرية الطرابلسية فبلغ عدد سفنها عام 1803 م نحو ثلاث عشرة سفينة مسلحة، وارتفع هذا العدد إلى نحو أربعة وعشرين عام 1805 وعدة زوارق حربية [25]. فأصبحت ايالة طرابلس قوة بحرية ضاربة في المتوسط-جزائر جديدة- تثير الرعب في نفوس قادة الأساطيل البحرية والأوربية الكبرى. فكانت دول هذه الأساطيل تبذل قصارى جهدها لتحسين علاقاتها بالباشا.

الانتفاضات الشعبية في عهد يوسف باشا:

نتيجة تبذير يوسف باشا وأسرته وكثرة الإنفاق الجنوني في عدة مجالات ولاقتراض الكثير من الأموال، التجأ، الباشا إلى زيادة فرض الضرائب، وتعددت أنواعها فضّج الأهالي من كثرتها، وقاموا بعدة انتفاضات كان من أهمها:

1- انتفاضة أهل عريان 1803 م

رفض أهالي عريان في يوليو 1803 م، دفع أية ضرائب سنوية، فأرسل إليهم يوسف باشا أحد ممثليه وهو الحاج أحمد أغا الخازندار بصحبة عدد من الحراس لجباية الضرائب. فما كان من السكان إلا أن قاموا بقتل ممثل الباشا، واستولوا على إحدى القوافل كانت تتكون من خمسمائة جمل محملة بالحبوب وبعض الأموال، وسدوا الطريق إلى فزان.

أرسل الباشا قوة كبيرة إلى غريان في ذات الشهر اشتبكت مع الثوار في قتال عنيف لمدة ثلاثة وعشرين يوما. وتم إلقاء القبض على زعيم هذه الانتفاضة الشيخ عبد الوافي، فتم إعدامه، وجرى تغريم الأهالي بدفع مزيد من المال تحت بند المصروفات الحربية [26].

2- إخضاع منطقة درنة 1805

بعد انتهاء الحرب الطرابلسية-الأمريكية 1801-1805 م، قرر يوسف باشا وضع درنة تحت سيطرته المباشرة، فأصدر عفوا سياسيا عن أولئك الذين شاركوا في أحداث هذه الحرب إلى جانب أخيه أحمد (الباشا المعزول) وأرسل إلى والي درنة مصطفى باي، أسطولا من ثماني سفن حربية، على ظهرها ثمانمائة رجل بالأسلحة والمعدات، بهدف حماية هذه المدينة، ضد أي هجوم في المستقبل. ثم قام أهاليها بجمع مبالغ طائلة، أرسلوها للباشا كتعبير عن ولائهم له.

3- انتفاضة أولاد سليمان 1806-1807

خلال عامي 1806-1807، شكّل أولاد سليمان تهديدا خطيرا ومزدوجا لبرنامج يوسف باشا السياسي. وقد تمثل الخطر الأول في اعتراض رجال قبيلة أولاد سليمان، لطريق تجارة القوافل، التي تربط طرابلس بفزان. وهذا يعني كارثة اقتصادية للباشا.

أمّا الخطر الآخر فهو أن تلك المعارضة، مكنت أسرة سيف النصر من تكوين قيادة عتيدة، استمرت في معارضتها للقره مانليين حتى النهاية.

أرسل الباشا قوة عسكرية بقيادة ابنه محمد باي، الذي تمكن من قتل سيف النصر، وأسر بعض أعوانه واقتيدوا كرهائن إلى بلاط الباشا، لضمان عدم قيام انتفاضة جديدة [27].

الا أن الانتفاضة عادة من جديد عام 1830 م، بقيادة عبد الجليل سيف النصر، الذي وسع حركة الانتفاضة، فشملت الجبل الغربي. مما جعل الباشا يأمر بتجهيز حملتين عسكريتين بقيادة ولديه (علي بك و إبراهيم بك)، لكنهما فشلا في القضاء على هذه الانتفاضة، فاضطر الباشا إلى إرسال حملة عسكرية جديدة بقيادة محمد المكني، الذي تمكن من السيطرة على مرزق (عاصمة فزان)، لكنه لم يستطع القضاء على الانتفاضة التي استمرت إلى ما بعد عهد يوسف باشا.

4- ضم منطقة غدامس 1810

منذ عام 1805 م، انفصلت واحة غدامس عن ايالة طرابلس الغرب. وأخذت تدفع الضرائب لحاكم تونس، لذلك قرر الباشا، استعادتها من جديد، طمعا في خيراتها وواراداتها التجارية فأرسل إليها ابنه علي بك، على رأس قوة كبيرة عام 1810 م.

عند وصول تلك القوات الى حدود المدينة خاف الأهالي على أنفسهم، وتحصنوا داخلها وأغلقوا الأبواب عليهم لمدة ثلاث أيام، وفي اليوم الرابع خرج، بعض أعيانهم لمقابلة علي بك، والتفاوض معه على شرط عدم نهب مدينتهم او سفك دماء أهلها.

وافق علي بك على ذلك، وأخذ منهم ابن الباشا، ضعف الضرائب المدفوعة لحاكم تونس، عن خمسة أعوام سابقة، فبلغت نحو عشرين ألف مثقال من الذهب، و مائة وعشرين ألف محسوب ذهبي عن مصاريف الجيش، وقفل عائدا الى طرابلس بعد أن ترك في المدينة المأمورين الإداريين ونائبا عن الباشا [28].

5- ضم منطقة فزان 1813

رفض شيخ فزان محمد الشريف، دفع الضرائب والهدايا السنوية المقررة للباشا. فأرسل إليه قوة مسلحة بقيادة محمد المكني، الذي كان على دراية بوفرة الضرائب التي كان يجمعها شيخ فزان، وضآلة الحصة المرسلة للباشا.

سعى محمد المكني للحصول على منصب نائب الباشا في فزان، وشرح له بأن تعيينه في هذا المنصب سيؤدي إلى زيادة الضريبة من خمسة ألاف قرش الى خمسة عشر ألف قرش في السنة [29].

وافق الباشا على طلب محمد المكني، الذي باشر زحفه على رأس قواته نحو الجنوب، فوصل الى قضاء وران، فأستباح دماء وأموال أهلها، ثم واصل زحفه فأحتل مرزق ومن هناك اتصل بالشيخ محمد الشريف، وأغراه بقتل عمه، ووعده بأن يوليه مكانه (حاكما لفزان)، فقام هذا بقتل عمه، وبعد ذلك أمر محمد المكني بقتل القاتل، ودخل فزان عام 1813 م، وأصبح متصرفا عليها

6- انتفاضة أهالي نالوت 1814-1815

كانت منطقة الجبل الغربي مقسمة إلى أربعة أفضية تحت رئاسة الشيخ بلقاسم بن خليفة (شيخ قبيلة المحاميد) وكان هذا الشيخ يتولى جمع الأتاوات من شيوخ القبائل التابعة له سنويا، ثم يرفعها إلى الباشا في طرابلس.

وفي عام 1814 م، قررت قبائل نالوت الخروج عن طاعة الشيخ بلقاسم، ورفضت دفع الضرائب، حاول هذا الشيخ أن يخمد حركة العصيان هذه بقوته الخاصة، لكنه عجز عن ذلك، فاتجه إلى الباشا، طالبا العون فأرسل إليه حملة عسكرية بقيادة ولديه (أحمد وعلي)، ودارت عدة معارك ضارية لمد خمسة عشر يوما، لكن المدفعية العثمانية حسمت الموقف.

رضخت قبائل نالوت للأمر الواقع،والتزمت بدفع الضرائب المتأخرة عليها، وتعويض الباشا، عن نفقات الحملة العسكرية. إلا أنه لم يكن بالمقدور جمعها، فتم التعويض عن المتبقي بانتزاع العبيد الذين كانوا في قبائل نالوت.

عززت أحداث نالوت من رغبة يوسف باشا بضم غريان تحت سلطته مباشرة، لتحقيق أمرين: الأول، القضاء على الاستقلالية التي كان يتمتع بها حاكم الجبل الغربي. أمّا الأمر الثاني فهو تحصيل أكبر قدر ممكن من الضرائب. لكنه لم يجد فرصة لتحقيق ذلك إلا في عام 1821 م عندما دعا بلقاسم بن خليفة إليه كضيف، ثم دس له السم فقتله.

وأرسل جيوشا كبيرة إلى منطقة الجبل الغربي بقيادة ابنه علي بك، ولما اقتربت تلك القوات من الجبل الغربي، اجتمعت القبائل، واستعدت للتصدي، معتمدة في ذلك على ما يعرف بحرب العصابات، ضد جيش الباشا، الذي أضطر إلى الانسحاب، نحو المناطق الجبلية، فتمت محاصرته من جميع الجهات، خاف الباشا على جيشه وولده، فطلب وساطة أولاد أبو سيف في مقابل اعتراف الباشا بغومة بن خليفة المحمودي حاكما على مناطق الجبل الغربي، وعودة الجيش إلى طرابلس. وتم تسوية النزاع بين الجانبين.

7- انتفاضة سكان برقة بقيادة محمد بك ابن يوسف باشا ضد والده 1816

أولى يوسف باشا اهتماما كبيرا بالقضاء على الحركات الانفصالية في منطقة برقة، التي كثيرا ما كان أهلها يثورون بسبب فداحة الضرائب والظلم في جمعها. وقد تميز ابنه الأكبر (محمد بك) بقسوة خاصة في إخماد تلك الحركات.

وبينما كان محمد بك عائدا من برقة. حدث أن قامت مشاجرة بينه وبين والده يوسف باشا، فما كان من الولد إلا أن هجم على والده محاولا قتله بخنجره لولا تدخل أحد خدم الباشا. وبدلا من معاقبة الابن، عيّنه الباشا، حاكما لبرقة. وحال تسلمه منصبه الجديد، كوّن جيشا من الأهالي، وترأس انتفاضة ضد والده في برقة عام 1816 م. فأمر الباشا بتوجيه حملة عسكرية في فبراير 1817 م بقيادة ابنه أحمد بك.

ونتيجة لهذا الصراع العائلي زادت معاناة أهالي برقة الذين كانوا في وضع اقتصادي خانق. وخاف المجندون مع محمد بك، من مواجهة قوات الباشا، فقرروا الهرب حتى وجد نفسه عاجزا عسكريا عن الدخول في معركة ضد قوات أخيه، فقرر الانسحاب إلى داخل الحدود المصرية. فتابعت قوات أحمد بك زحفها حتى وصلت بنغازي وتم معاقبة قبيلة الجوازي التي وقفت إلى جانب أخيه محمد بك. فدعا رؤسائها إلى حفلة تسليم البرنس الأحمر، فلبوا الدعوة بشيء من الشك، وما أن دخلوا القلعة حتى أخذوا على حين غرة، ومن نجا منهم هرب إلى مصر تاركا أهله وماله (30)

سياسة يوسف باشا القره مانلي الخارجية

كانت الدول الأوربية الكبرى تسعى لتحسين علاقاتها مع الحكومة الطرابلسية، وعقدت معها الاتفاقيات والمعاهدات وتبادلت التمثيل الدبلوماسي.

وسوف نستعرض بعض هذه العلاقات:

1- علاقة يوسف باشا بنابليون بونابرت

بعد تولي يوسف باشا حكم ايالة طرابلس الغرب بنحو ثلاث سنوات، جاءت الحملة الفرنسية على مصر عام 1798 م، بهدف ضرب بريطانيا في مستعمراتها في الشرق، وقطع طرق مواصلاتها المؤدية للهند (درة التاج البريطاني)، بالإضافة إلى رغبة نابليون في تكوين إمبراطورية شرقية تكون مصر قاعدتها، لكن ما كاد نابليون ينزل القاهرة، حتى تمكنت القوات البريطانية من تحطيم الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير في أغسطس

1799 م، فتحرج موقف نابليون، وأصبح محصورا داخل مصر، وفقد كل وسيلة للاتصال ببلاده فرنسا.

فسعى إلى كسب ود وصداقة يوسف باشا، والاستعانة به في الاتصال بفرنسا، وتم التفاهم بين يوسف باشا و بين الجنرال نابليون بونابرت، عندما حاولت الدولة العثمانية، إخراج القوات الفرنسية من مصر، فطلبت من يوسف باشا، مساعدتها بالهجوم على مصر من جهة الغرب، في الوقت الذي تقوم القوات العثمانية بالهجوم على مصر من الناحتين الشرقية والشمالية. غير أن الباشا رفض ذلك، ولم يكتف بهذا الحد، بل سمح لنابليون باستعمال الموانى الليبية للاتصال بفرنسا.

لم ينس نابليون، ليوسف باشا هذا الجميل، فوقف إلى جانبه أثناء النزاع الذي قام بينه وبين بعض الدول الأوربية وخاصة السويد فكيف كان ذلك ؟

2- علاقات يوسف باشا بالسويد والجمهوريات الإيطالية والبابوية

كان للنجاحات الكثيرة التي أحرزتها السفن القره مانلية في حوض البحر المتوسط، ضد الأعداء، أثر في مواصلة نشاط القرصنة البحرية وفرض الإتاوات والغرامات الباهظة على عدد من الدول الأوربية، وكانت من أكثر الدول الأوربية تعرضا لملاحقة الأسطول البحري الطرابلسي هي دولة السويد، بسبب رفض قنصلها دفع الإتاوة التي كانت تدفعها حكومته إلى ثمانمائة ألف فرنك سنويا إلى جانب دفع مائة ألف فرنك غرامة، فقامت السفن الليبية بأسر سبع سفن سويدية.

لجأت حكومة السويد إلى نابليون بونابرت للتوسط لدى صديقه يوسف باشا، الذي استجاب لطلب السويد، وتدخل في هذا الموضوع، وتم الصلح بين الطرفين، على أن تدفع السويد إلى الباشا ثمانين ألف فرنك فورا كغرامة، بالإضافة إلى ثمانية آلاف فرنك سنويا نظير عدم تعرض البحرية الليبية لتجارة السويد في المتوسط.

كذلك دخلت حكومة الباشا في نزاع مع الجمهوريات الإيطالية، ومنها توسكانيا عام 1821م، ونابلي عام 1827 م، ثم سردينيا عام 1828 م، وانتهى هذا النزاع بعقد صلح بين حكومة طرابلس وأولئك الجمهوريات بشروط مرضية للجميع.

ونتيجة عدم تسلم يوسف باشا للهدايا التي وعدت بها دولة البابوية وفق المعاهدة المتفق عليها بينهما في 22 ديسمبر عام 1818 م، احتج الباشا على ذلك، وأمر قراصنته

للعمل ضد سفن الدولة البابوية، وتم الاستيلاء على سفينة لروما عام 1826 م، كانت مشحونة بالقمح، وسحبت إلى ميناء طرابلس. تدخل قنصل فرنسا (روسو) وطالب الباشا بإرجاع السفينة المخطوفة إلى أصحابها، كما طالبه بالاعتذار عن التعدي على حرمة البابا، غير أنه رفض ذلك. فأرسل روسو تقريرا إلى حكومته في باريس، وأعلم الملك شارل العاشر بذلك [31].

وصلت إلى ميناء طرابلس ثلاث مراكب بحرية فرنسية في فبراير من نفس العام بقيادة أرنوس دي سولسيه، الذي طالب الباشا، بإطلاق سراح السفن البابوية، وتحت التهديد بقصف طرابلس اضطر الباشا للموافقة على توقيع معاهدة صلح في 18 فبراير 1826 م، أطلق بمقتضاها سراح السفن البابوية، وأعادت البضائع، وتعهد بأن يحترم السفن التي تمر تحت العلم البابوي ووافق على دفع مبلغ ألفي قرش تعويضا عن الخسائر التي تكبدها أصحاب السفن المحتجزة وطواقمها [32]. وفي عام 1830م، وضع احتلال فرنسا للجزائر، حدا نهائيا لمغامرات دول المغرب في البحر المتوسط.

3- العلاقات الطرابلسية-الأمريكية 1796-1805

كان أول اتصال أمريكي مع حكومة يوسف باشا عام 1796 م، وحيث أن الحكومة الأمريكية لم يكن لها أية معاهدة مع ايالة طرابلس الغرب، فان سفنها في البحر المتوسط، لم تكن محمية من هجمات القراصنة الطرابلسيين. فتم أسر سفينتين تابعتين للحكومة الأمريكية في سبتمبر من نفس العام وهما (صوفيا وبتسي)، كانت صوفيا تحمل جواز سفر من داي الجزائر ومعها الجزية والهبات، فتم إطلاق سراحها في الحال. أمّا السفينة الأخرى، فقد أمر الباشا بتسليحها للقيام بأعمال الغزو وسجن بحارتها.

التجأت الحكومة الأمريكية إلى وساطة حكومة الجزائر، فكاتب داي الجزائر، يوسف باشا، حول قبول عرض الحكومة الأمريكية أثناء المفاوضات إلي بدأت في نوفمبر 1796 على أساس دفع مبلغ 000،40 دولار، غير أن الباشا رفض ذلك، لأن المبلغ المقرر دفعه أقل مما كان يدفع لحكومتي الجزائر وتونس، وانتهى الأمر بتوقيع اتفاقية بين الطرفين في 4 من نفس الشهر.

لكن الحكومة الأمريكية لم تلتزم بشيء، وظلت تماطل. فهاجم البحارة الطرابلسيون أحدى السفن الأمريكية وتم اختطافها عام 1800 وهي السفينة أبريق. فحاول القنصل

الأمريكي تحرير هذه السفينة، فرد عليه الباشا طالبا منه أن تدفع حكومته الإتاوة السنوية وهدده بالحرب إذا لم يتلق ردا ايجابيا.

وفي مارس 1801 م، تسلم الرئيس الجمهوري توماس جيفرسون،الحكم فوقف بشدة ضد دفع الإتاوة لدى دول شمال أفريقيا (الجزائر، تونس وطرابلس الغرب)، ودعا إلى تشكيل تحالف للدول الأوربية البحرية، واقترح ضرب حصار دائم على الموانى الأساسية لهذه الدول، بهدف حماية السفن التجارية الأوربية من غارات القراصنة المغاربة.

عملت السياسة الأمريكية بوجهين مع باشا طرابلس، ففي الوقت الذي كلفت فيه سفيرها في لندن بالاتفاق مع داي الجزائر (حسن باشا)، وقنصل هولندا، بالتفاهم معه، كانت تعد العدة لضرب طرابلس، ولم يتم التوصل إلى اتفاق، مما جعل الباشا يأمر بإنزال العلم الأمريكي المرفوع على القنصلية الأمريكية بطرابلس وحرقه وطرد القنصل (33) وإعلان الحرب على أمريكا.

قررت الحكومة الأمريكية الدخول في حرب ضد الباشا، ففرضت حصارا على الشواطئ الليبية فيما بين عامي 1801-1802، ولم يكن هذا الحصار فعالا، نتيجة نشاط وجهود البحرية الطرابلسية، التي كانت بقيادة الرايس مراد. وفي يونيو 1802 م، نجحت ثلاث سفن طرابلسية في أسر سفينة أمريكية تدعى فرانكلين مع قائدها وطاقم السفينة المكون من ثمانية أشخاص، كما حققت البحرية الطرابلسية نجاحات أخرى عام 1803 م، حيث استمرت في اختراق الحصار الأمريكي، فحافظت على عدم انقطاع الإمدادات الغذائية والذخيرة، بالإضافة إلى أنها أحبطت هجومين للبحرية الأمريكية خلال شهر مايو من نفس العام.

وفي شهر أكتوبر من نفس العام توجهت حملة بحرية إلى ثغر طرابلس كانت تتكون من سبع قطع بحرية حربية بقيادة الكومودور بريبل، الذي قرر إرسال سفينتين من السبع لضرب الميناء الطرابلسي واختار لهذه المهمة أقوى السفن الحربية تسليحا وإعدادا وهي السفينة فيلادلفيا التي كانت مزودة باثنين وأربعين مدفعا وثلاثمائة وسبعة بحارة منهم تسعة وعشرون ضابطا، فاندفعت بكل وحشية تجاه ميناء طرابلس.

فوضع البحارة الطرابلسيون بقيادة زريق أغا خطة بارعة حيث تم استدراج هذه السفينة من حيث لا تدري إلى المياه الضحلة التي لا تتناسب وحجمها وحمولتها، فجنحت

وتوقفت عن العمل في شرقي ثغر طرابلس، مما أنزل بأمريكا أعظم إذلال. وتم أسر بحارتها وكان فرح الطرابلسيين عظيما، فسهروا طيلة الليل وبأيديهم المشاعل يتنقلون في الحواري والشوارع، وتجمع بعضهم عند رصيف الميناء، ابتهاجا للنصر.

جاء بريبل مرة أخرى في ديسمبر من نفس العام، من أجل إطلاق سراح الأسرى، لكنه لم يفلح، لأن الباشا طلب مبلغا كبيرا لافتدائهم. وفي يوم 17 فبراير 1804 م،تمكن الضابط البحري الأمريكي ديكاتور من التسلل بمركب سريع مملوء بالمتفجرات، وأشعل النار في فيلادلفيا، واكتفى الأمريكيون بذلك واعتبروه نصرا كبيرا !

لجأت الحكومة الأمريكية بعد ذلك إلى بث الدسائس وإثارة الفتن والاضطرابات، داخل ايالة طرابلس، فاتصلت بأحمد باشا الثاني (الوالي المخلوع) واستغلت حقده وكراهيته لأخيه يوسف باشا، بسبب اغتصابه الولاية منه، وأقنعوه بالعمل معهم لإعادته إلى منصبه، وأحضروه من مالطا إلى درنة، وشكلوا قوة متنوعة من مرتزقة نحو اثنتا عشرة دولة أوربية وآسيوية، وحشد عدد من الأهالي، وبلغت مجموعاتهم نحو 1،200 رجل، ومائتين دابة [34]، بالإضافة إلى العمليات البحرية الأمريكية. وتم الزحف من الإسكندرية نحو درنة فاستغرق نحو ستة أسابيع بعد ذلك في 27 أبريل 1805 م تم احتلال درنة، ورفع العلم الأمريكي عليها.

وفي هذه الآونة وصلت قوات الباشا إلى مشارف درنة وكان قوامها 3،045 جندي، وتوقف القتال، وفتح باب المفاوضات يوم 4 يونيو من نفس العام، انتهت إلى توقيع صلح بين الطرفين وكان أهم نصوصه ما يلي:-

1- جلاء القوات الأمريكية عن أرض الوطن.

2- إطلاق سراح الأسرى الأمريكان.

3- عدم تعرض الأسطول الليبي للسفن الأمريكية.

4- دفع الحكومة الأمريكية غرامة قدرها 60 ألف دولار.

5- إبعاد أحمد القره مانلي من البلاد.

6- إعادة الأوراق التي كان الأسطول الأمريكي قد استولى عليها خلال هذه الحرب.

نهاية يوسف باشا:

أستمر يوسف باشا في حكم ايالة طرابلس الغرب مدة طويلة نحو سبعة وثلاثون عاما

(1795-1832)، بلغت الدولة في عهده خاصة في النصف الأول، مبلغا كبيرا من القوة، غير أنه سرعان ما استهان بالحكم في أواخر عهده، وانصرف إلى ملذاته وشهواته، تاركا العنان لأبنائه وأصهاره.

فقسّم الايالة بينهم، حيث أعطى غريان لأكبر أبنائه علي، ومصراتة لابنه مصطفى، والخمس لابنه عثمان، وورفلة لابنه عمر (عموره) وزليتن لابنه إبراهيم. كما أعطى منطقة درنة لصهره مصطفى.

استخف هؤلاء بالحكم، ولم يحكموا مناطقهم حكما مباشرا، بل أرسلوا عنهم نوابهم، حملوا السكان ما لا طاقة لهم به، فاشتد الضيق وبدأت تظهر الشكوى حتى من هؤلاء النواب. حين قال مصطفى للباشا بأن سيرته تؤدي إلى الإخلال فكان رد الباشا، لقد طاب زرعك يا مصطفى، فرد الأخير قائلا: والله أرضى أن تقتلني ونستقيم.

وبلغ بالباشا أمام تدهور الأوضاع المالية، وتعوده الإسراف والبذخ بالإضافة إلى إنفاق مصاريف باهظة على أجنحة زوجاته وأولاده الراشدين وزوجاتهم وبيوتهم الخاصة كذلك تدبير نفقات وزرائه وحراسه وفرسانه، وما كان يتكرم به على عدد لا يحصى من المرابطين والأولياء الذين رأى أنه من المفيد الاحتفاظ بتأييدهم.

ومن الثابت أن ثلثي عوائده كانت تنفق على متطلبات قصره والثلث الباقي لم يكف تغطية رواتب الجند وغيرها من النفقات الحكومية، وهذا وحده يفسر لنا سبب المآزق المالية التي وقع فيها يوسف القره مانلي قبل زوال حكمه.

فالتجأ إلى زيادة فرض الضرائب والاستدانة من الأجانب وغيّر العملة ست مرات في مدة قصيرة، وباع بعض قطع البحرية بعد أن حول أسلحتها إلى عملات ونقود. لو يؤد كل هذا سوى إفلاسه أكثر، وساء وضع الباشا المسكين الذي أخذ دائنوه الانجليز بتلابيبه.

ووجد قناصل الدول الأجنبية فرصتهم للتخلص من الباشا وكان قنصل بريطانيا (وارنجتون) وقنصل فرنس (شوبيبل) دائمو التضييق عليه.

أصبح الباشا في ورطة حقيقية، تخلى الجميع عنه حتى أقرب أنصاره، ولم يجد بدا من الخروج من هذه الورطة إلا التخلي عن الحكم، فعقد اجتماعا يوم 12 أغسطس 1832 م في بهو الاجتماعات الكبير، حضر هذا الاجتماع أولاده ووزرائه وأعيان البلاد وعلماؤها. فقرر تنازله عن العرش لابنه البكر علي، وعيّن واليا للعهد ابنه إبراهيم [35].

ثالثا: ولاية علي باشا الثاني القره مانلي ونهاية حكم الأسرة القره مانلية

تولى على باشا الثاني الحكم بعد تنازل أبيه يوسف باشا في أغسطس 1832 م، وكانت انتفاضة عبد الجليل سيف النصر لم تتوقف، وكان الثوار على أبواب مدينة طرابلس، ينتشرون في منطقة الساحل والمنشية وشارع الشط، وحول العوينة والشعاب وأنظم إليهم عثمان أغا رئيس كول اوغلية مصراتة وغومه بن خليفة المحمودي، واتسعت هذه الانتفاضة وزاد خطرها، وبعد لأي تمكن علي باشا من استمالة غومه شيخ المحاميد إلى جانبه (36).

في ظل هذه الظروف، كان أيضا الصراع محتدما بين قناصل الدول الأوربية من أجل السيطرة على طرابلس الغرب. حاول الباشا الاستفادة من هذا الصراع لتثبيت قدمه في الحكم بمساعدتهم.

فكان أول عمل قام به هو إرسال عدة رسائل لهؤلاء القناصل، أخبرهم فيها، أنه تسلّم السلطة من والده، وأكد لهم على احترام جميع المعاهدات والاتفاقيات، التي كانت زمن والده.

بادر القنصل الفرنسي (شوبيبل) بالاستجابة لتلك الرسائل ووقف علنا إلى جانب الأسرة القره مانلية، وأبدى بعض الضباط الفرنسيين رغبتهم في الدفاع على النظام الجديد في طرابلس، ضد الانتفاضات في الدواخل. غير أن قنصل بريطانيا (وارنجتون) أعلن تأييده للثوار حيث كانت سياسة بلاده من أنصار التوتر في ايالة طرابلس الغرب.

لقد بذل علي باشا أقصى ما يستطيع من أجل استتباب الأمن والاستقرار، فأصدر عفوا عن الثوار، ووعد بتطبيق العدالة، ودعا المنشقين للصلح، غير أن الثوار استمروا في التعبير عن عدم اعترافهم بالباشاوية إلا لمحمد بك، حفيد يوسف باشا، وقد وجد الأخير الفرصة مواتية لتحقيق أطماعة في الوصول إلى السلطة.

فالنزاع الأسري متأصل في هذه الأسرة، واستمر الصراع بينهما طيلة حكم الباشا، واستغل عرب الدواخل تلك الأحداث للتحرر من أي التزام نحو الحكومة المركزية في طرابلس الغرب.

لم تهدأ الاضطرابات طيلة حكم علي باشا الثاني القرمانلي. وفي 26 مايو 1835 م، رسا الأسطول العثماني الذي كان يتكون من اثنين وعشرين سفينة كبيرة وصغيرة برئاسة الفريق مصطفى نجيب باشا، وفي يوم 28 منه، دعا إليه علي باشا القره مانلي، على

أساس أنه سوف ينزل مع قائد الأسطول في احتفال رسمي، وبعد أن صعد الباشا على ظهر السفينة القائدة، أبلغه مصطفى نجيب بأنه معزول، وتم اعتقاله، وأنه يجب أن يذهب الى استانبول بصحبة أسرته ومن يريد اصطحابهم معه. ونزل مصطفى نجيب باشا، قائد الأسطول العثماني ومعه أمر من السلطان بتوليته ايالة طرابلس الغرب [37].

هوامش الفصل الثالث

● الكول اوغليه هم من أباء أتراك وأمهات عربيات ليبيات.

1- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 209.

2- كان أحمد القرمانلي بك-باشا من حيث البكوية لأنه كان قائدا للجيش وأمّا من حيث الباشوية فهو والي ايالة طرابلس. للمزيد راجع شارل فبرو، مرجع سابق، حاشية ص 353. وأنظر أيضا الملحق رقم (1) بخصوص الأسرة القرمانلية والملحق رقم (3).

3- رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ترجمة طه فوزي، طرابلس: دار الفرجاني، 1961، ص 11.

4- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 111.

5- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 255.

6- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 384-408. وهي عبارة عن بعض المراسلات والاتفاقات مع الدول الأوربية.

7- شارل فبرو، مرجع نفسه، ص 413.

8- رودلفو ميكاكي، مرجع سابق، ص 84.

9- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 147.

10- رودلفو ميكاكي، مرجع سابق، ص 110-111.

11- المرجع نفسه، ص 97.

12- جان كلود زليتنر، مرجع سابق، ص 400-401.

13- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 343.

14- خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة، ليبيا-تونس: ادار العربية للكتاب، ط 2،

1985، ص 145.

15- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 274.

16- المرجع نفسه، ص 298.

17- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 161.

18- أحمد النائب الأنصاري، مرجع سابق، ص 335.

19- كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيش، طرابلس، مركز دراسة الجهاد الليبيين، ط 1، 1988، ص 83.

20- ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث منذ منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، مرجع سابق، ص 158.

●● كان يوسف باشا متزوجا بعدد من النساء بيض وزنجيات، وكان له عام 1812 ثلاث زوجات واحدة بيضاء وتعرف بالسيدة الكبيرة واثنتان سوداتيان، أنجب من الأولى خمسة أولاد، ثلاثة ذكور وبنتين وهم: محمد، أحمد، علي، خدوجة، وفاطمة. كما كان له من الزنجيات، خمسة ذكور وأربعة بنات منهم: محمد، توفي 1820، مصطفى، إبراهيم، عثمان، عمر (عمورة). راجع شارل فيرو، مرجع سابق، ص 573. وكانت العلاقة بين يوسف باشا وأبنائه متوترة للغاية، فلا يثق بأي منهم، ولا يجرؤ على مقابلة أحد من أبنائه، دون أن يكون محاطا بحراسه، كذلك الأشقاء، لا يتحدث أحدهم للأخر، دون أن يكون خلف كل واحد منهم عدد من المسلحين، للمزيد أنظر، رودلفو ميكاكي، مرجع سابق، ص 208.

21- عقيل محمد البربار، مرجع سابق، ص 87.

22- رضوان ابوشويشة، عند باب البحر، هوامش مجهولة من تاريخ طرابلس، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1987، ص 85، 86.

23- كولا فولايان، مرجع سابق، ص 67.

24- رضوان ابوشويشة، مرجع سابق، ص 83، 84.

25- كولا فولايان، مرجع سابق، ص 44-45.

26- اتوري روسي، مرجع سابق، ص 322.

27- رودلفو ميكاكي، مرجع سابق، ص 232.

28- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 169.

29- أحمد النائب الأنصاري، مرجع سابق، ص 318، 319.

30- محمد بازامه، بنغازي عبر التاريخ، جـ1، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع د.ت، ص 270، 279.

31- شارل فيرو، مرجع نفسه، ص 568.

32- ن.إ. بروشين، مرجع سابق، ص 222.

33- فتحي حسن نصّار، أصول الصراع الأمريكي-الليبي، طرابلس: مجلة الثقافة العربية، العدد 1، 1987، ص 18.

34- كولا فولايان، مرجع سابق، ص 61.

35- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 285.

36- المصدر نفسه، ص 285.

37- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 188، وأنظر أيضا، ابن غلبون، مرجع سابق، ص 286.

الفصل الرابع :

أوضاع ليبيا السياسية إبان الحكم العثماني الثاني 1835-1911

- المبحث الأول:عودة العثمانيين لحكم ليبيا.

- المطلب الأول : الفترة الأولى من الحكم العثماني الثاني

المطلب الثاني :الفترة الثانية من الحكم العثماني الثاني-

- المبحث الثاني: مظاهر الحكم العثماني الثاني في ليبيا.

المطلب الأول : تعدد الولاة

المطلب الثاني : فصل متصرفية برقة عن ايالة طرابلس

المطلب الثالث : الانتفاضات الليبية ضد الحكم العثماني الثاني

- المبحث الثالث: التقسيم الإداري وأهم ولاة طرابلس إبان الحكم العثماني الثاني.

المبحث الأول:عودة العثمانيين لحكم ليبيا

المطلب الأول : الفترة الأولى من الحكم العثماني الثاني

بعد أن تم إلقاء القبض على أخر حكام الأسرة القره مانلية (علي باشا الثاني) يوم 27 مايو 1835 م، واتخذت الإجراءات اللازمة لإنزال الجنود العثمانيين في حامية طرابلس الغرب، نزل مصطفى نجيب، باعتباره الوالي الجديد، تحييه مدفعية الأسطول وأبراج قلعة المدينة.

بذلك بدأ العهد العثماني الثاني في ليبيا، وقد وجه معظم الولاة الأتراك في هذا العهد، عنايتهم إلى الاهتمام بالأعمال العسكرية، وقليلا ما اهتموا بالحياة المدنية، خاصة أن هؤلاء الولاة كان يجري استبدالهم وتغييرهم يشكل مستمر.

وقد تميزت الفترة الأولى، التي حكم فيها نحو أربعة وعشرون واليا، باستمرار الانتفاضات المحلية في كافة أنحاء البلاد، وركّز هؤلاء الولاة على الأعمال العسكرية وكان يتم تغييرهم تبعا للاتجاهات السياسية التي كان السلطان العثماني يقرر سلوكها، تجاه الأهالي.

وبالرغم من ذلك، فقد شهدت هذه الفترة بعض الإنجازات التي كانت ثمار حركة الإصلاح والتجديد في الدولة العثمانية بدءا من 1789 حتى 1807 م، كمرحلة أولى، قام بها السلطان سليم الثالث. والأخرى كانت من 1808 حتى 1839 م، وتعرف بالتنظيمات الخيرية في عهد السلطان محمود الثاني، الذي أنشأ إدارة مركزية قوية سيطرت على الولايات العثمانية، فنالت برقة اهتماما خاصا، وتم ربطها باستانبول مباشرة، وجرى ترميم قصور الحكومة في عدة مناطق منها: ابونجيم، ورفلة، غريان ومرزق وغيرها.

وبدأت تظهر بعض الخدمات البريدية والتلغرافية وجرى ربط ايالة طرابلس بالخارج. كما كانت طرابلس تمثل مركزا تجاريا مهما في حوض البحر المتوسط فغدت مكانا لتجمع العديد من الجنسيات المختلفة سواء كانت عربية أو تركية أو أوربية، وهي بالتالي مكان لتجمع تيارات فكرية مختلفة، فالحياة اليومية فيها تشكل صورة حيّة لقوميات عدة: إيطالية، فرنسية، بريطانية، مالطية، أقلية يهودية بالإضافة للعرب والأتراك.

وكان المسيحيون يتمتعون بحرية تامة، ويمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية، فكانوا يحتفلون بيوم عيد الفصح بتفجير الألعاب النارية، ولهم نادي يعرف بالنادي الأوربي.

المطلب الثاني :الفترة الثانية من الحكم العثماني الثاني-

تعد هذه الفترة من الفترات الحاسمة في تاريخ ليبيا، لأنها سبقت الغزو الإيطالي، وشهدت

مقدمات الغزو وإرهاصاته، فكانت ايالة طرابلس الغرب هي الايالة الوحيدة التي ظلت باقية تحت الحكم العثماني في منطقة شمال الأفريقي. فقد حاصرها الاستعمار الأوربي من عدة جهات، بعد أن احتلت الحكومة الفرنسية الجزائر عام 1830 م، وتونس عام 1881م، كما احتلت الحكومة البريطانية مصر عام 1882 م، وأمتد نفوذ هذه الدولة جنوبا إلى السودان 1896 م، واحتلت فرنسا السودان الأوسط عام 1902 م.

وكان واضحا أن الدول الأوربية، تسعى لاستكمال احتلال الوطن العربي كله. لأن الدولة العثمانية كانت في النزع الأخير، وتحاول التشبث بالحياة، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، سواء في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) أو العهد الدستوري الذي تلاه.

أخذت عوامل اليقظة القومية العربية في هذا الوقت، في التفتح واشتدت خلالها حركة النضال الفكري العربي. فكانت ايالة طرابلس كغيرها من الأقطار العربية الأخرى، تعيش صراعا عنيفا بين ثلاث قوى هي:

1- قوى الاستعمار الأوربي

2- قوى الدولة العثمانية

3- قوى اليقظة القومية العربية

كانت سياسة ولاة الدولة العثمانية مطبوعة بطابع السياسة الاستبدادية الحميدية، وقوّي هذا الاتجاه، اشتداد الأخطار التي أحاطت بايالة طرابلس الغرب، بعد احتلال فرنسا للجزائر وتونس وبريطانيا لمصر، كما سبق القول.

لكن هذه السياسة للولاة الأتراك العثمانيين كانت دوما تصطدم بعدة عقبات منها:

الموقع الجغرافي لايالة طرابلس، فقد كانت بعيدة عن الحكومة المركزية في استانبول في وقت كانت فيه وسائل المواصلات متخلفة وسيئة داخل ايالة طرابلس، بالإضافة إلى اتساع مساحتها وقلة عدد سكانها.

- المبحث الثاني: مظاهر الحكم العثماني في ليبيا

المطلب الأول: تعدد الولاة

تميز هذا العهد بعدة مظاهر أهمها:

1-: بلغ عدد الولاة العثمانيين على حكم ليبيا في فترة لا تتجاوز ستة وسبعين عاما،

نحو ثلاثة وثلاثون واليا، فكان أحيانا يتولى عدة ولاة في عام واحد، وبعضهم لم يكن يمتد حكمه أكثر من بضعة أشهر.

لعل السبب الرئيسي في ذلك هو محاولة الدولة العثمانية تقوية سيطرتها، وإحكام قبضتها على هذه البلاد وخوفها من استقلال هؤلاء الولاة مرة أخرى، كما حدث في عهد الأسرة القره مانلية.

2- عدم استقرار الدولة العثمانية على نظام واحد في حكم ايالة طرابلس ثم فصل برقة عن طرابلس الغرب عام 1863 م، وأصبحت بذلك متصرفية تابعة رأسا إلى استانبول، ثم عادت مرة أخرى لتصبح تابعة لطرابلس عام 1871 م، وانفصلت ثانية عام 1872 م، لتصبح ولاية قائمة بذاتها حتى عام 1888 م، حيث عادت متصرفية من جديد، مع استمرار تبعيتها لحكومة استانبول، وظلت كذلك حتى نهاية الحكم العثماني رسميا بتوقيع معاهدة اوشي لوزان 1912.

المطلب الثاني : فصل متصرفية برقة عن ايالة

يعود هذا التحول المستمر في سياسة الدولة العثمانية، بفصل ولايو برقة عن ولاية طرابلس لعدة أسباب منها:

1- تسهيل الأمور الإدارية وتخفيف تصريف شؤونها في استانبول.

2- كثرة عدد سكان متصرفية برقة عم مثيلاتها في المدن الليبية الأخرى.

2- الحركات الوطنية ونمو الشعور القومي: خضع سكان الشمال الأفريقي عدا مراكش التي كانت تحت حكم الأشراف السعديين، للحكومة العثمانية وقامت في هذه المنطقة كيانات تدين بالولاء للسلطان العثماني كخليفة للمسلمين، حيث كان الصراع قائما بين القوى المسيحية والأوربية من ناحية والقوى الإسلامية بزعامة الدولة العثمانية من ناحية أخرى. إلا أن العاطفة الدينية، لم تقف حائلا دون قيام الأهالي بالهبّات والانتفاضات ضد الوجود العثماني، وضد فساد وظلم الولاة العثمانيين.

المطلب الثالث : الانتفاضات الليبية ضد الحكم العثماني الثاني

وكان من أبرز هذه الانتفاضات إبان تلك المرحلة ما يلي:

وكان من أبرز هذه الانتفاضات إبان تلك المرحلة ما يلي:

أ- انتفاضة عبد الجليل سيف النصر 1830-1842

ب- غومة المحمودي والظروف التي مر بها بعد مقتل عبد الجليل 1842-1858

وتفصيل ذلك كما يلي :

أ- انتفاضة عبد الجليل سيف النصر 1830-1842

نتيجة مسيرة التاريخ العربي الليبي، منذ أن ابتلي بالاحتلال الأجنبي مرورا بالعهد العثماني وحتى بعد ذلك مرحلة الاحتلال الفاشي الإيطالي، نحو مسار واحد هو التضحية بالروح والطموح الدائم نحو التحرر من الاحتلال وقهر الظلم. وما انتفاضة عبد الجليل سيف النصر، إلا صورة جلية توضح المأساة التي عاشها الشعب العربي الليبي إبان فترة الاحتلال العثماني.

فمن هو عبد الجليل سيف النصر؟

هو عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر، ينتمي نسبه إلى قبيلة أولاد سليمان، كان لا يزال وليدا عندما توفى والده شيخ القبيلة. وقد جرت العادة على أن أولاد شيوخ القبائل يتربون ويخدمون في البلاط القره مانلي.

فنشأ عبد الجليل في قصر يوسف باشا وتربى بين أولاده فتعرف على أفراد الأسرة، عرف ما فيها وأطلع على كثير من أسرارها [1].

البوادر الأولى لانتفاضة عبد الجليل سيف النصر

لعل البوادر الأولى لهذه الانتفاضة تعود إلى عام 1826 م، بعد عودة عبد الجليل سيف النصر من قيادته لحملة عسكرية، عهد بها إليه يوسف باشا، لمساعدة حاكم برنو(الشيخ محمد عبد الكافي) لإخماد هبّة شعبية هناك [2].

منذ ذلك الحين، أخذ يعمل على انتهاز الفرصة لإعلان انتفاضة ضد حكم يوسف باشا فكانت الفرصة مواتية مع نهايات حكم الباشا لما كان يمر به من أزمة مالية خانقة وتدخلات القناصل الأجنبية، وهبوط شعبيته وما إلى ذلك كما سبق قوله.

أعلن عبد الجليل سيف النصر عن بداية هذه الانتفاضة في منطقة ورفلة عام 1830 م، عندما رفض دفع الضرائب للباشا، وأرسل في ذات الوقت أتباعه تحت قيادة أخوته للإعلان عن الانتفاضة في فزان.

فأرسل يوسف باشا في طلب عبد الجليل سيف النصر للتفاهم معه، إلا أن الأخير كان على معرفة تامة بطبيعة يوسف باشا وغدره، فرفض الذهاب، وأرسل مندوب عنه، فاغتاظ الباشا، وأمر بقتل هذا المندوب. مما جعل عبد الجليل سيف النصر، يوسع دائرة نشاطه ضد نفوذ الباشا.

وجه يوسف باشا حملة عسكرية عام 1832 بقيادة ولديه (علي بك وإبراهيم بك) ومعهم كول أوغلية الساحل والمنشية، وبعض رجال الحامية الدائمة في طرابلس، إلى جانب قوات من مصراتة وزليطن والخمس.

تمكنت قوات عبد الجليل من رد هجمات تلك القوات الحكومية واستمر في مناوشتها لتأكده بأن تلك القوات لن تصمد طويلا لصعوبة الإمدادات ونقص المؤن وهروب بعض الجند. أخيرا دارت معركة بين الطرفين في وادي فدراج قرب المردوم. ببني وليد. انتهت هذه المعركة بوقوع خسائر كبيرة في الطرفين ولم يتحقق النصر لأي منهما.

توسط القنصل البريطاني (وارنجتون) للصلح، بين الطرفين، لكنه فشل في مسعاه، واستمر القتال بينهما، ولم يتوقف إلا بعد تدخل أولاد أبو سيف، وأولاد أبو مريم، وأهل زوايا غريان. حيث طلبوا من الباشا وقف القتال، واستجاب لوساطتهم كل من الباشا وعبد الجليل سيف النصر، الذي تعهد بإخلاء فزان وإرجاع ما أخذه منها، وبتقديم 1550 عبدا. ولضمان تنفيذ هذا الصلح قدّم عبد الجليل سيف النصر عشرين رهينة من خيار أبناء المشايخ، وكان من بينهم أحد أولاده. واكتفى عبد الجليل بالزعامة على منطقة ورفلة.

عبد الجليل سيف النصر والعودة للثورة 1835

عندما عادت الدولة العثمانية لحكم طرابلس الغرب مرة أخرى بطريقة مباشرة عام 1835 م، لم يتمكنوا من السيطرة إلا على طرابلس والمنشية، ولم يستجب عبد الجليل سيف النصر، لنداء الوالي مصطفى نجيب باشا، من أجل تقديم الولاء له، في حين استجاب غومه المحمودي، وتوجه إلى طرابلس على رأس وفد للتعبير عن ولائه للباشا الجديد، الذي رحّب بقدومهم، ثم استبقى غومه المحمودي في طرابلس، بحجة التشاور معه في بعض الأمور، لكنه سرعان ما ألقى القبض عليه، لأنه كان يشك في ولائه فهو صديق القره مانليين. وقد يفكر في القيام بانتفاضة لإرجاع حكمهم.

أمام حجز غومه المحمودي، هدد زعماء قبيلة المحاميد بالقيام بثورة إذا لم يطلق سراح

زعيمهم، وفي هذه الأثناء جرى استبدال مصطفى نجيب باشا بعد مضي ثلاث أشهر من حكمه، وتولى محمد رائف باشا، الذي كان حاكما لمنطقة الدردنيل في 7 سبتمبر 1835 م، وكان أول أمر أصدره إليه السلطان العثماني ونفذه هو إرسال جميع القره مانليين إلى استانبول فيما عدا العجوز يوسف باشا والخلاسيون من ذريته أي الذين أنجبتهم منه الزنجيات [3]. كما أمر بإطلاق سراح غومه المحمودي، لكنه قام بضرب مدينة تاجوراء فكان ذلك سببا في استنفار قادة القبائل وشيوخها وفي العام التالي 1836 م، كانت طرابلس تمر بأوضاع صحية سيئة بسبب انتشار مرض الطاعون، فبلغت الوفيات نحو ثمانين ألف نسمة [4].

وفي يونيو من العام نفسه، أرسل السلطان العثماني إلى طرابلس الأدميرال الأكبر طاهر باشا وكانت البلاد برمتها في حالة من العصيان الشامل. فعبد الجليل سيف النصر كان منفردا بحكم منطقة تمتد من شواطئ سرت حتى أقاصي جنوب فزان، وكان عثمان أغا، مستقلا بمصراتة، في حين ظل موقف غومه المحمودي غامضا فقد ترك عند مغادرته طرابلس زوجته وأطفاله كرهائن لضمان عدم قيامه بحركة ضد الباشا. وبعد أن أطلع طاهر باشا على شؤون طرابلس وتفهم الوضع القائم، لم يمكث بها سوى بضعة أيام ثم أبحر متجها إلى مصراتة، فأنزل قواته على مقربة من المدينة فهاجمتها الأهالي والأعراب، غير أنه لجأ إلى حيلة استمالة الكثير من الناس داخل مصراتة إلى صف الأتراك فاستولى على المدينة في 9 أغسطس من نفس العام عاد إلى طرابلس وقبض على مقاليد الإدارة بالرغم من أن محمد رائف باشا، كان مازال هو الحاكم الرسمي. وفي عام 1837 م ثبت طاهر باشا واليا على طرابلس لكنه طبق سياسة طائشة وفشل في حملته ضد غريان، مما أدى إلى عزله من منصبه، وتعيين حسن باشا الجشمهلي في نفس العام. حاول حسن باشا، إقامة علاقات ودية مع زعماء القبائل، ليستحوذ على قلوب الأهالي، بنشر الإشاعة التي تقول أنه جاء لمساعدة الأشقاء الجزائريين والجهاد معهم ضد الاستعمار الفرنسي. في هذه الأثناء تمكن عبد الجليل سيف النصر، وغومه المحمودي من توحيد جهودهما لمقاومة الحكم العثماني، عقب عمليات العنف التي قامت بها القوات العثمانية ضد الأهالي. حاول حسن باشا، كسب الوقت، فعرض صلحا بينه وبين الزعيمين، عبد الجليل وغومه المحمودي [5]. وتم الاتفاق بين هذين الزعيمين وحسن باشا على صلح بالشروط الآتية:

1-الاعتراف بنفوذ عبد الجليل على المناطق الواقعة تحت سيطرته وكذلك بالنسبة إلى غومه ومناطق نفوذه في الجبل الغربي.

2- التزام كل من عبد الجليل وغومه، بدفع الضرائب السنوية.

لكن كانت هذه المصلحة فقط لكسب الوقت من طرف الباشا ففي عام 1838 م قامت قواته بانتهاك شروط هذا الصلح، وأخذت في مطاردة الثائرين في منطقة الجبل الغربي التي كانت تحت قيادة غومه المحمودي.

في هذه الأثناء انضم إلى حركة عبد الجليل سيف النصر، كل من أحمد المريض زعيم ترهونة، وعنان الأدهم زعيم مصراتة، اللذان كانا يتطلعان إلى الحفاظ على استقلالهما التام[6]. فقام عبد الجليل سيف النصر على رأس قواته عام 1838 م باحتلال بلدة تاورغاء الواقعة في مقاطعة مصراتة، وطرد الحامية العثمانية منها. وكان قوام تلك الحامية نحو خمسين جنديا، كما وصلت طلائع قواته مناطق الخمس ومصراتة وزليطن. ولم يطل الوقت حتى أصبحت هذه المدن في أيدي الثوار.

كما نجح غومه المحمودي في مهاجمة الزاوية وجنزور، وظلت هذه المدن في حمايته. ومع بداية عام 1839 م، كانت معظم أراضي الايالة الطرابلسية في أيدي الثوار، باستثناء طرابلس الغرب فقد انحسر الحكم التركي فيها.

وبعد وصول الإمدادات العسكرية من استانبول جهّز الوالي على عشقر باشا (1838-1842) حملة عسكرية بقيادة أحمد الجزار الذي تمكنت قواته النظامية من هزيمة قوات عبد الجليل سيف النصر في منطقة الخمس، ولم تكن القوى متكافئة، فاضطرت قوات عبد الجليل إلى الانسحاب للدواخل [7]. وكان عبد الجليل قد أصيب بجروح في قدمه.

لقد هدفت القوات العثمانية من استعادة احتلال الخمس، عزل قوات عبد الجليل عن قوات الجبل الغربي لمنعهم من التلاحم والوحدة حتى يسهل القضاء عليها منفردة فيما بعد. خاصة إن قوات غومه كانت قد تمكنت من هزيمة قوة عثمانية في وادي الخير بغريان، وأجبرتها على الانسحاب إلى طرابلس.

أمام توالي الأحداث، تدخل القنصل البريطاني (ورانجتون) وكان هذه المرة إلى جانب الباشا، فقد عرض عليه وساطته، ووجه إلى عبد الجليل سيف النصر خطابا يدعوه إلى الخضوع للسلطان، الذي أصبح حليفا لبريطانيا. فرد عليه عبد الجليل بأنه يعتبر نفسه

خادما مخلصا للسلطان، لكن ما دام علي عشقر في الحكم فان العرب لن يلقوا سلاحهم.

واصلت قوات الباشا علي عشقر هجماتها على مواقع الثوار الذين كانوا يوجهون إلى تلك القوات ضربات موجعة. فأدرك هذا الباشا أن القضاء على حركة عبد الجليل، تتمثل في القضاء على قائدها. فدبرت له مكيدة، بمساعدة القنصل البريطاني (وارنجتون)، الذي نجح في إقناع عبد الجليل بالتفاوض، وضرب له موعدا للقاء.

توجه عبد الجليل للقياه في باخرة بمصراتة، وكان علي عشقر باشا على علم بالأمر، فنصب له كمينا، حيث فاجأه ليلا بقوات تحت قيادة البلعزي (حاكم مصراتة) ودارت معركة حاسمة، وبدأ رفاقه يتساقطون من حوله صرعى، وأصبحت المقاومة مستحيلة فأراد عبد الجليل النجاة، غير أن رصاصة عاجلته فمزقت كتفه، وتم قتله في 29 مارس 1942 م، وأرسل رأسه إلى والي طرابلس حيث عرض على باب القلعة. بهدف تخويف الأهالي من التفكير في القيام بحركات ثورية ضد السلطة العثمانية.

ب- الظروف التي مر بها غومه المحمودي بعد مقتل عبد الجليل 1842-1858

أعلن غومه المحمودي بعد مقتل عبد الجليل سيف النصر ولائه للدولة العثمانية، ووقع قرارا على نفسه، فقبل الوالي محمد أمين باشا (1842-1847) ذلك، وعفا الله عما سلف. وقد برر غومه المحمودي أن سبب انتفاضته السابقة، كانت تعود إلى ظلم الولاة الذين تولوا الحكم السابق قبل مجيء هذا الوالي الجديد، وتعديهم على حرمات الدين والناس والأموال.

وأرجع الأسباب التي دعته إلى خضوعه من جديد للدولة العثمانية، الثقة في عدالة واليها الجديد وتمشيه حسب الشرع والقانون. لم تمض سوى بضعة شهور، حتى ساورت الشكوك الوالي محمد أمين باشا في صدق ولاء غومه المحمودي، فأمر بإلقاء القبض عليه، ونفاه إلى استانبول، مما كان له صداه العميق في نفوس السكان، فاشتعلت نار الثورة خاصة في قبيلة المحاميد.

أرسل غومه المحمودي، من سجنه في استانبول، رسالة للسلطان عبد المجيد عام 1852 م، استعرض فيها حالة ايالة طرابلس السياسية والاقتصادية طيلة السنوات السبعة عشر التي سبقت سقوط الأسرة القره مانلية.

وبالرغم مما جاء في تلك الرسالة من مدح السلطان العثماني وظلم ولاته، وتعديهم

الحدود الشرعية، غير أنه لم يهتم بها. فقرر غومه الهروب من سجنه عام 1855 م، وتمكن من الوصول إلى منطقة الجبل الغربي. فكان لذلك أكبر الأثر في رفع معنويات الثوار.

إلا أن غومه المحمودي على ما يبدو وقد مل حياة القتال، ورغب في حياة الاستقرار، لذلك بعد وصوله لبلاده، أرسل للوالي العثماني مصطفى نوري باشا (1852-1855) طالبا منه العفو، غير أن هذا الوالي لم يقبل بذلك، مما دفع بغومه إلى الاستمرار في الانتفاضة، وتولى قيادتها بنفسه.

جرت عدة مناوشات بين الطرفين، إلا أن القوات العثمانية ألحقت بقوات غومه المحمودي هزيمة عام 1856 م في عهد الوالي عثمان باشا (1855-1858)، فطلب هذا الوالي من غومه مغادرة البلاد إلى تونس، فاستجاب غومه لطلبه، لكنه سرعان ما عاد عام 1858 م، وما كاد يصل مدينة غدامس، حتى علم الوالي بعودته، فأرسل إليه قوة كبيرة بقيادة اللواء مصطفى باشا، ودارت معركة غير متكافئة في مكان يعرف بوادي يوان قرب غدامس، قتل فيها غومه المحمودي.

المبحث الثالث: التقسيم الإداري وأهم ولاة طرابلس إبان هذا العهد

المطلب الأول :التقسيم الإداري

بلغ عدد الولاة العثمانيين إبان العهد العثماني الثاني على الرغم من قصر المدة الزمنية من 1835 حتى 1911 ما بين ثلاثة وثلاثين وتسعة وعشرين واليا [9]. كان أولهم مصطفى نجيب وأخرهم هو الوالي إبراهيم أدهم باشا الذي تولى الحكم من 1910 حتى الاحتلال الإيطالي 1911 م.

وفي هذا العهد كانت ليبيا تتكون من قسمين إداريين مستقلين حينا ومتحدين في بعض الأحيان، وهذان القسمان هما: ولاية طرابلس، ومتصرفية بنغازي. كانت ولاية طرابلس كما في العهد العثماني الأول، تحكم من قبل وال يقوم بتعيينه السلطان، ويلقب بالباشا، يعاونه مجلس استشاري يعرف بالديوان، ويتكون من قاض القضاة والمفتي والسكرتير ورئيس المالية (الخازندار) وستة أعضاء من الأهالي، يعينون بالانتخاب لمدة عامين.

وجرى تقسيم هذه الولاية إلى عدد من السناجق أو المتصرفيات على رأس كل منها متصرف، يعاونه مجلس إدارة. وكل متصرفية كانت تقسم إلى عدد من القائمقاميات ويتبع

كل منها عدد من النواحي والمديريات.

أمّا متصرفية بنغازي فكان يحكمها حاكم برتبة بك، يعرف بالمتصرف أو الوالي، ويلقب بالباشا ويعاونه الديوان وأربعة أعضاء منتخبين وله نفس الاختصاصات التي لمجلس ولاية طرابلس.

أمّا من حيث التقسيم الإداري فكانت ولاية طرابلس مقسمة إلى أربعة متصرفيات أو سنجقيات وهي كما يلي:

1- طرابلس، وقسمت إلى قائمقاميات وهي: طرابلس المدينة، الزاوية، العجيلات، زوارة، ترهونة، ورفلة وغريان.

2- الخمس، جرى تقسيمها إلى القائمقاميات التالية: الخمس، مسلاته (القصبات)، زليتن، مصراتة وسرت.

3- يفرن (الجبل)، وقسمت إلى قائمقاميات هي: يفرن، فساطو، هود، الجوش، نالوت وغدامس.

4- فزان (مرزق)، وقسمت إلى: الشاطئ، سوكنة وغات.

أمّا متصرفية برقة فكانت مقسمة إلى:

1- متصرفية بنغازي.

2- قائمقامية درنة.

3- قائمقامية المرج.

4- قائمقامية اجدابيا.

5- قائمقامية جالو وأجله.

6- قائمقامية الكفرة.

وقد طبقت الدولة العثمانية على ليبيا الأساليب التي طبقتها في ولاياتها الأخرى، وسعت إلى القيام لبعض الإصلاحات في ميادين التعليم والقضاء والميزانية وغيرها. ورغم ذلك ظل الشعب الليبي في اضطرابات وتعددت انتفاضاته خلال هذا العهد. فقد ارتبطت ظاهرة حركة الإصلاح في الدولة العثمانية بمحاولة تقوية قبضتها عليها والقضاء على العصبيات فيها وربطها مباشرة باستانبول.

المطلب الثاني أهم ولاة هذا العهد:

1- **علي رضا باشا:**

تولى حكم ايالة طرابلس مرتين كانت الأولى فيما بين عامي 1866-1870 م، وكانت الثانية فيما بين عامي 1872-1874 م، وقد صرف هذا الوالي همّه لإدخال النظم والتشريعات الغربية في ليبيا، كان دائم الإلحاح على حكومة استانبول من أجل ذلك.

2- أحمد راسم 1882-1896:

من مواليد استانبول عام 1825 م، مارس عدة أعمال قبل توليه ولاية طرابلس عام 1882 م، تصدى الوالي أحمد راسم لمجموعة من المشاكل التي جابهته خلال مدة حكمه الطويلة نسبيا فكانت من هذه المشاكل مجابهة الخطر الأوربي أما المشاكل الأخرى فكانت تتصل بالمشاكل الداخلية.

ومن أهم المواضيع التي تصدى أحمد راسم لها، موضوع الحماية الأجنبية والامتيازات الخاصة بالأجانب، ووقف ضد محاولات بيع الأراضي للأجانب.

وبذل جهودا كبيرة في تحصين الولاية ضد الخطر الأجنبي واتجهت جهوده لتدريب الأهالي على السلاح وإنشاء الاستحكامات للدفاع، كما عمل على تعزيز الوجود العسكري في الولاية فزاد عدد القوات العثمانية وفرضت الدولة الخدمة العسكرية على أهالي طرابلس واليه يرجع الفضل في تأسيس المدرسة الحربية في باب البحر.

كما اهتم بتحسين الطرق ووسائل المواصلات فتم في عهده تمديد خطوط البرق لأول مرة داخل ولاية طرابلس، وتحسنت المعاملات البريدية داخل الولاية ومع الخارج.

ومن الإجراءات المالية التي اتخذها هذا الوالي تحديد أسعار العملة المتداولة، وأنشأ قلما لتحير المقالات بين الأهالي بمركز الولاية كما أنشأ غرفة التجارة وكانت الضرائب تجبر سنويا.

انتهت ولاية أحمد راسم عام 1896 م، بعد أن جاوز السبعين من عمره، وكان انتقاله من ولاية طرابلس بسبب تدهور حالته الصحية وتبقى ولايته ظاهرة فريدة في تاريخ العهد العثماني الثاني من حيث طول مدتها. فكان عهده حافلا بالأعمال المجيدة.

2 -**نامق باشا** 1898-1899

قام هذا الولي ببعض الإصلاحات، إذ مد طرابلس بالمياه من عين زارة وأسس مدرسة الفنون والصناعة، كما أمر بإصدار جريد الترقي.

3- المشير رجب باشا 1906-1908

اندلعت الثورة للاتحاديين في 24 يوليو 1908 م حيث وضعت حدا لحكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وأدت إلى تسلم السلطة في أيدي جمعية الاتحاد والترقي، فكان لإحياء دستور 1876 صداه في طرابلس الغرب، وكان الوالي آنذاك هو المشير رجب باشا، وهو رجل متنور وشجاع.

حاول إدخال بعض الإصلاحات في هذه الولاية. فلقد استقبلت هذه الثورة التركية في البداية بحماس عارم سواء في طرابلس الغرب أو باقي أجزاء الإمبراطورية العثمانية، وأعتبرها الناس بشيرا بزوال المآسي التي تكالبت عليهم إبان الحكم العثماني السابق، ولكن سرعان ما تكشفت الأمور وأظهر ثوار تركيا الفتاة عن عزمهم على الانتقام من أنصار النظام السياسي القديم ومن المشايخ العرب والزعماء الدينيين، فوقعت في طرابلس الاضطرابات والفتن.

لقد أرسل هذا الوالي خصيصا لمعالجة وتحسين الحالة العسكرية في ليبيا ن الحكومة الإيطالية بدأت تظهر اهتماماتها بليبيا والى جانب هذه المهمة قام ببعض الإصلاحات، وقاوم التدخل الإيطالي بإثارة العقبات في طريقه والوقوف إمام بعثات ايطاليا مصرف روما والعلمية والدينية. مما دعا الحكومة الإيطالية إلى السعي لدى السلطان العثماني للتخلص منه. وانتهى حكمه في أغسطس 1908 م. حيث أسندت إليه وزارة الحربية في الدولة العثمانية.

4- إبراهيم أدهم 1910-1911

عين المشير إبراهيم أدهم واليا على طرابلس عام 1910 م وكانت طرابلس في اضطرابات عامة وفوضى سياسية وتغلغل ونفوذ إيطالي وفساد إداري.

حاول إبراهيم أدهم إصلاح ما يمكن إصلاحه، وقبض على زمام الأمور بشدة، وشرع في جمع أكبر عدد ممكن من المتطوعين للدفاع عن البلاد.

تركزت سياسته على أساس الوقوف في وجه الخطر الإيطالي والعمل للنهوض بالبلاد. واتخذ عدة إجراءات في مواجهة النشاط الإيطالي داخل ليبيا. فمنع مصرف روما من

إخراج الحجارة الأثرية من قرقارش وجنزور بحجة أنه لا يجوز إخراج ذلك بدون ترخيص.

لقد ضاقت الحكومة الإيطالية من سياسته العدائية لها فكانت لا تدع مناسبة إلا وتحتج على إجراءاته وأعماله. واستطاع النفوذ الإيطالي على الرغم من وقفه هذا الوالي من متابعة نفوذه داخل الولاية عن طريق الآستانة، وحصل مصرف روما على إذن بالتنقيب عن الآثار في مواقع جديدة.

واهتم بتحصين الحدود الجنوبية والغربية للولاية لمجابهة النشاط الاستعماري الفرنسي، حيث كان الخطر آنذاك يحيط بولاية طرابلس من كافة النواحي [12].

ولم يكن إبراهيم أدهم باشا قد أمضى عاما في طرابلس، حتى استدعاه رئيس وزراء حقي باشا، المعروف بموالاته للسياسة الإيطالية. باستانبول وأصدر أمرا بنقله في سبتمبر 1911 م، وبعد عدة أيام، حوصرت مدينة طرابلس من خلال الأسطول الايطالي في 5 أكتوبر من نفس العام وبدأ تاريخ البلاد صفحة جديدة من الجهاد والنضال ضد المحتل الإيطالي الفاشي.

وكان من أهم المتصرفين في ولاية برقة إبان العهد العثماني الثاني:

1- خليل باشا: هو أول متصرف لبرقة بعد فصلها عن ايالة طرابلس عام 1868 م، نظم فيها جباية الضرائب، وحدد المناطق الإدارية ورتب موظفيها.

2- طاهر باشا: تولى حكم برقة عام 1893 م، وامتد عهده حتى 1903 م. فكان بذلك أطول الحكام فيها عهدا. كان محبا للعمل والإصلاح، فأتم بناء قصر البركة وأعاد بناء المسجد العتيق المسمى جامع القاضي.

هوامش الفصل الرابع

1- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 587-588.

2- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 238-239.

3- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 360.

4- اتوري روسي، مرجع سابق، ص 428.

5- محمد امحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومه المحمودي، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين، ط 1، 1988، ص 97.

6- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 268.

7- اتوري روسي، مرجع سابق، ص 431.

8- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 641، 642.

9- المرجع نفسه، ص 753، 754.

10- المرجع نفسه، راجع حاشية ص 661.

11- المرجع نفسه، ص 741.

12- علي مصطفى المصراتي، أعلام طرابلس، طرابلس، مطبعة ماجي 1995، ص 91.

الباب الثاني : ليبيا من 1911-1951

الفصل الخامس :

التمهيد الإيطالي لاحتلال ليبيا (التوغل السلمي)

الفصل السادس :

الغزو العسكري الإيطالي لليبيا و بداية حركة الجهاد 1911 – 1915

الفصل السابع :

الحرب العالمية الأولى وأثرها على حركة الجهاد الليبي

الفصل الثامن :

تنامي حركة الجهاد الليبي وموقف الفاشية الإيطالية منها 1923 – 1931 م

الفصل التاسع :

ليبيا منذ قيام الحرب العلمية الثانية 1939 – 1969

الفصل الخامس :

التمهيد الإيطالي لاحتلال ليبيا

(التوغل السلمي)

- المبحث الأول: التمهيد السياسي
- المبحث الثاني: التمهيد الاقتصادي
- المبحث الثالث: التمهيد الثقافي
- المبحث الرابع: النشاط الكشفي الإيطالي

- المبحث الأول: التمهيد السياسي

سعت الحكومة الإيطالية للتفاهم السياسي مع عدة دول أوروبية مثل:- بريطانيا، فرنسا، روسيا القيصرية وألمانيا، من أجل احتلال ليبيا. وفي ظل تبادل المصالح جرى التفاهم مع هذه الدول على الشكل التالي:-

أولا: التفاهم السياسي الإيطالي – البريطاني

توصلت الدولتان الإيطالية والبريطانية في 12 فبراير 1883 م إلى عقد اتفاقية سرية، اتفقتا بمقتضاها على المحافظة على الوضع القائم في البحر المتوسط والادرياتيك، وتأييد كل منها للأخرى فيما يتعلق بمصالحهما في مصر وطرابلس الغرب [11].

وفي عام 1887 م، قررت الحكومة البريطانية حسم القضية المصرية لصالحها وتأييد الموقف الفرنسي في مراكش. فاحتاجت إلى التأييد المعنوي من الحكومة الإيطالية لهذا قامت وزارة الخارجية البريطانية باستدعاء السفير الإيطالي في لندن وناقشت معه أمر تقوية العلاقات الأنجلو- إيطالية. فاستجابت الحكومة الإيطالية لذلك بطريقة مدهشة، وتقدمت بمشروع معاهدة للحكومة البريطانية اشتمل على عدة نقاط منها [2]:-

1- المحافظة على الأمر الواقع في البحار التالية: المتوسط، الأسود، الأدرياتيكي وإيجة.

2- معارضة أي تغيير في وضع هذه البحار بدون موافقة الدولتين مقدماً.

3- تأييد الحكومة الإيطالية للحكومة البريطانية في مصر وتأييد الأخيرة لإيطاليا في الاستيلاء على طرابلس الغرب وبرقة ضد أي اعتداء قد يقع من قبل طرف ثالث يعني فرنسا.

ومن الجدير بالذكر أن الدبلوماسية البريطانية قامت على أساس منح الموافقة للحكومة الفرنسية باحتلال تونس مقابل احتلالها لقبرص ومصر فإذا غضبت الحكومة الإيطالية من هذا التصرف تمنح الموافقة على احتلالها طرابلس الغرب [3].

وفي مارس 1902 م، أعلن وزير خارجية بريطانيا (لانسداون) عن مواقف حكومته الإيجابية تجاه أطماع الحكومة الإيطالية فقال أن بريطانيا ليست لديها أية خطط تتعلق بليبيا، وأنه في حالة حتمية تغير الوضع القائم فأن بريطانيا ستعمل من أجل ألا يلحق المصالح الإيطالية أذى من جرّاء هذا التغيير [4].

وعند توقيع الاتفاق الودي (الانجلو- فرنسي) عام 1904 م وافقت هاتين الدولتين على إطلاق يد الحكومة الإيطالية في طرابلس الغرب وحققت في ذات الوقت مصالحها الاستعمارية "بريطانيا في مصر وفرنسا في مراكش ".

ثانيا- التفاهم السياسي الإيطالي - الفرنسي

عندما احتلت الحكومة الفرنسية تونس عام 1881 م قطعت الحكومة الإيطالية علاقتها الدبلوماسية مع فرنسا لان إيطاليا كانت تطمح في احتلال تونس غير أن رجال السياسة الإيطاليين وجدوا انه لا جدوى من هذه المقاطعة لذلك عقد وزير الخارجية الإيطالية (فيكونتي) اتفاقاً مع الحكومة الفرنسية عام 1896 م، للحصول على ضمان حسن معاملة الجالية الإيطالية المتواجدة في تونس من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، أخذت العلاقات في التحسن فاعترفت الحكومة الإيطالية باحتلال الحكومة الفرنسية لتونس وتعهدت بأن تكون الحدود الألمانية - الفرنسية آمنة.

كما بدأت هاتين الدولتين مند عام 1900 م، بسلسة من المحادثات بخصوص احتلال الحكومة الإيطالية لليبيا وتم التأكيد مجدداً بالخصوص في مايو 1902 م، حيث عقدت الدولتان بروتوكولاً نص على عدم تدخل متبادل في أي نشاط قد يلحق الضرر بمصالح فرنسا في مراكش مقابل تنازل الحكومة الفرنسية عن أي أطماع في طرابلس الغرب (5).

وكدلالة على الصداقة بين هاتين الدولتين قام ملك ايطاليا عام 1930 م بزيارة لفرنسا تحصل أثناءها على موافقة الحكومة الفرنسية بالتوجه لاحتلال ليبيا في أي وقت شاء (6).

في عام 1907 م أبرمت هاتين الدولتين اتفاقية سرية حول تحديد مناطق النفوذ في البحر التوسط فامتنعت الحكومة الفرنسية بموجب ذلك عن أية أطماع في طرابلس الغرب لصالح ايطاليا، وبالمقابل تركت الأخيرة للحكومة الفرنسية حرية التصرف في احتلال مراكش كما تعهدت ايطاليا بالوقوف على الحياد في حالة هجوم قوات ألمانية علي فرنسا (7).

ثالثا- التفاهم السياسي الإيطالي النمساوي الألماني

حاولت الحكومة الألمانية إثارة الوقيعة بين الحكومتين الفرنسية والإيطالية بعد احتلال الأولى لتونس عام 1881 م فقد كانت الحكومة الألمانية على علم تام بمدى الأطماع الإيطالية في تونس، لان لها جالية كبيرة بلغ تعدادها نحو (10،000) نسمة بالإضافة إلى أنها كانت تمتلك عدة استثمارات وامتيازات ضخمة.

اتجهت الحكومة الإيطالية للحصول على موافقة الحكومتين الألمانية والنمساوية واللتين كانتا في حلف ثنائي منذ عام 1881 م من اجل اخذ موافقتها لاحتلال ليبيا وانضمت ايطاليا عام 1882 م، لهذا الحلف فأعلنت الحكومة الألمانية أنها لن تقف في وجه ايطاليا إذا رغبت في احتلال طرابلس الغرب [9].

وهذا التحالف الثلاثي جعل ألمانيا تحجم عن تطوير رغبتها الاستعمارية في ليبيا.

أما بالنسبة للحكومة النمساوية فلم يكن لها أطماع استعمارية في ليبيا، ومع ذلك، سعت الحكومة الإيطالية للتفاهم معها واستمالتها إلى جانبها، وذلك بالإعلان عن عدم معارضتها في توسع الحكومة النمساوية نحو البوسنة والهرسك، ولم تكن هذه الحكومة مرتاحة للأطماع التوسعية الإيطالية في ليبيا لأن النمسا كانت تخشى أن يسبب ذلك في قيام حرب إيطالية – عثمانية يضعف موقفها في البلقان.

بالإضافة إلى أن دخول إيطاليا في التحالف الثلاثي السابق جعلها تتناسى مشاكلها مع الحكومة النمساوية في قضية المدن الإيطالية: البندقية ولمبارديا في الشمال الإيطالي. وفي عام 1902 م. تجدد هذا التحالف الثلاثي ووعدت الحكومة النمساوية رسمياً الحكومة الإيطالية بموافقها على حرية التصرف تجاه احتلال ليبيا [10].

رابعا: التفاهم السياسي الإيطالي – الروسي

سعت الحكومة الإيطالية لكسب ود وصداقة الحكومة الروسية القيصرية لضمان وقوفها إلى جانبها في حملتها المقبلة لغزو ليبيا. فأنتهز رئيس الحكومة الإيطالية (جيوليتي) زيارة قيصر روسيا (نيقولا الثاني) إلى إيطاليا عام 1907 م. وتناقش معه في موضوع الأطماع الإيطالية في ليبيا. وتوصلا الطرفان إلى اتفاق نصت المادة الأخيرة منه على أن تتعهد الحكومتين رعاية المصالح المتبادلة: روسيا في منطقة المضايق الدردنيل والبفسور وإيطاليا في ليبيا[11] وتجدد هذا الاتفاق في أكتوبر 1909 م.

أعقب ذلك مفاوضات رسمية بين رئيس الحكومة الإيطالية (جوليتي) ووزير خارجيتها من جهة وبين وزير خارجية روسيا وبعض مساعديه من جهة أخرى. تم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين تعهدت فيه الحكومة الإيطالية بأن تنظر بعين العطف إلى مصالح روسيا القيصرية في المضايق وأن يعمل الطرفان على حل مشاكل البلقان وفق مبدأ القوميات.

هكذا كسبت الحكومة الإيطالية الموقف الروسي إلى جانبها في حالة قيامها بغزو ليبيا.

- المبحث الثاني :التمهيد الاقتصادي

بدأت تتسرب رؤوس الأموال الإيطالية إلى ليبيا منذ سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، ففي عام 1873 م. تحصلت الحكومة الإيطالية على بعض الامتيازات الاقتصادية في ليبيا بفعل الاتفاق الموقّع بين هذه الدولة والدولة العثمانية فأصبحت إيطاليا أكثر الدول الأوروبية حظوة في مجال الاستثمار في ليبيا. فتم إنشاء أول مكتب تجاري إيطالي في مدينة بنغازي عام 1880 م. وبعد عام أرسلت الحكومة الإيطالية بعثة تجارية خاصة من أجل دعم العلاقات التجارية في مدينة برقة (12).

وقد لعب مصرف روما دوراً رئيساً في التمهيد الاقتصادي الذي سبق الغزو العسكري الإيطالي لليبيا **فكيف كان ذلك؟**

تأسس مصرف روما في مدينة لازيو بإيطاليا عام 1880 م بأموال كاثوليكية من الفاتيكان وسرعان ما أضحى أكثر المصارف الإيطالية نشاطاً في المجالات السياسية، الاقتصادية، والدينية.

كان هذا المصرف من الوجهة النظرية مملوكاً يدار من قبل القطاع الخاص، غير أنه في واقع الأمر كان مرتبطاً ارتباطا عضوياً مع الحكومة الإيطالية (13).

بدأ نشاط هذا المصرف الفعلي في مدينة طرابلس الغرب وبشكل رسمي في أبريل 1907م، ترأسه رجل يدعى برشياني (Bersciain)الذي كان قد عمل في أمور مماثلة في الصومال. وقد وسع هذا المصرف نشاطه بتشجيع الحكومة الإيطالية وموافقتها، فأنشأ له عدة وكالات تجارية في كل من:- بنغازي، سرت، زليطن، مصراته، الخمس، زواره، طبرق، غريان، وغيرها من المدن الليبية. فغدا أهم وسيلة للتغلغل الاقتصادي، حيث عهد إليه إقامة جسر اقتصادي بين روما وطرابلس الغرب.

ومنذ عام 1907 – 1908 م أصبح هذا المصرف الوسيلة الفعّالة لمختلف أشكال النشاط التخريبي، الإيطالي بهدف الاستيلاء على ليبيا، تحت شعار حماية مصالحها المتمثلة في أعمال هذا المصرف (14). لقد عملت الدبلوماسية الإيطالية بكل همّة لتوريط الكثير من الأسر الليبية للتعامل مالياً مع هذا المصرف مما أدى في النهاية إلى الاستيلاء على ممتلكاتهم عن طريق رهن العقارات والأراضي.

فكانت من أولويات مهمة هذا المصرف إقراض الأهالي بضمان أصحاب الأملاك فإذا لم يتمكن المستدين السداد في الأجل المعيّن يقوم مصرف روما بالاستيلاء على العقار أو الأرض وهذا ما أكدته رسالة بعض الأهالي المرسلة إلى الديوان العثماني والمؤرخة في 20 ديسمبر 1905 م والذي جاء فيها «أن الإيطاليين فتحوا بنكاً، ويبذلون مساعيهم البالغة لاستملاك العقارات والأراضي»(15).

وبفعل أموال هذا المصرف لعب قناصل إيطاليا الموزعون في كل مكان من ليبيا دوراً مهماً في انتقال ملكية الأراضي من أهالي البلاد إلى أيدي المستوطنين الإيطاليين، كما أشرف هذا المصرف على عملية تنظيم خطوط ملاحية بحرية ربطت الموانئ الجنوبية الإيطالية بالموانئ البحرية الليبية، فأقامت شركة روباتينو ((Rubattino عام 1900 م خطاً بحرياً منتظماً مع مدينة طرابلس الغرب (16).

قدرت استثمارات هذا المصرف في عام 1910 م. بنحو مليون ليرة إيطالية، وفيما بين عامي 1908 – 1911 م، كانت عملياته الاستثمارية الخاصة بطرابلس وبرقة بحوالي 245 مليون ليرة أي حوالي خمسة ملايين دولار (17). وفرض الكثير من السلع والبضائع المصنعة والأقمشة والخمور والسكر والجبن والأرز والورق والمرمر على الأسواق الليبية.

أما المهمة الأساسية لهذا المصرف فتمثلت في القيام بأعمال الجوسسة داخل ليبيا حيث مارس موظفوه هذا العمل فكانوا جواسيس ينشطون عن طريق تمويل العملاء الإيطاليين بكل ما يلزمهم من أموال وخلافه (18).

الخلاصة أن مصرف روما لم يكن له أية مبررات اقتصادية داخل ليبيا فقد كانت استثماراته بدون أرباح، مما يؤكد على أن هدفه كان استعماريا. فموظفوه كانوا دبلوماسيين أكثر منهم مصرفيين. فإذا توجهت إلى صرف صك نقود أو تغيير عُملة في أي فرع من فروع هذا المصرف فإنك تجد نفسك أمام دبلوماسيين لا في حضور موظفين (19).

أعتمد هذا المصرف وبشكل أساسي على بعض العناصر أو الأفراد الليبيين ممن كان لهم نفوذ محلي من الأعيان وقد حقق نجاحاً كبيراً لأنه كان يشكل بديلاً أحسن من المرابين اليهود والمحليين أصحاب النفوذ اللذين كانوا يأخذون أرباحاً تتراوح ما بين 20 إلى 60 ٪ على القروض التي يمنحونها للأهالي. ففي عام 1908 م أفاد قنصل بريطانيا في بنغازي أن المرابين كانوا يقرضون بفائدة تصل نحو 60 ٪ في حين كانت الأرباح التي

يأخذها مصرف روما عن قروضه نحو 9٪.

ومع بداية العقد الأول من القرن العشرين بلغ عدد أفراد الجالية الإيطالية المقيمين في ليبيا نحو 1،100 نسمة، منهم 930 نسمة في طرابلس الغرب، 120 نسمة في بنغازي، 20 نسمة في الخمس، 20 نسمة في درنة وعشرة في مصراتة.

عبّر أهالي طرابلس عن تذمرهم من الوجود الإيطالي وتغلغلهم الاقتصادي من خلال عريضة موقّعة بختم 220 شخصاً ليبياً كانت مرفوعة للوالي رجب باشا الذي شاركهم في هذا التذمر عام 1904 م وحاول الوقوف ضد التغلغل الاقتصادي ونفوذ مصرف روما في ليبيا، غير أن تدخل الحكومة الإيطالية لدى الحكومة العثمانية أعطى للمصرف فرصة تحقيق أهدافه رغم إرادة الوالي رجب باشا والمواطنين الليبيين.

كذلك اجتمع عدد من أهالي مدينة الخمس عام 1915 م وعقدوا مؤتمراً بحضور مندوبون عن طرابلس ومصراتة وسرت وزليطن ومسلاته، اتخذ هؤلاء المؤتمرون قراراً بقطع أية علاقة مع مصرف روما وحظر بيع الأراضي لهذا المصرف وعدم أخذ القروض منه ومقاطعة السفن التابعة له. وناشدوا السلطان العثماني بوقف شحن البريد العثماني على البواخر الإيطالية ومقاطعة المدارس الإيطالية العاملة في طرابلس والخمس كما توصلوا إلى اتفاق حول التجنيد الفوري للطرابلسيين وتوزيع السلاح على الأهالي للدفاع عن وطنهم، وقدمت قرارات هذا الاجتماع إلى المتصرف العثماني بالخمس [20].

- المبحث الثالث: التمهيد الثقافي

اهتمت الحكومة الإيطالية منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ببناء المدارس التبشيرية في ليبيا. فكانت أول مدرسة تبشيرية للبنين في مدينة طرابلس الغرب عام 1816 م، أقامتها جمعية الفرنسيسكان، وكان التدريس فيها باللغة الإيطالية، وفي عام 1864 م تم افتتاح أول مدرسة مماثلة للبنات، وفي عام 1880 م افتتحت مدرسة تجارية إيطالية في مدينة بنغازي، وفي عام 1884 م استأجر قنصل إيطاليا بطرابلس منزلاً، اتخذه مقراً كمدرسة لتدريس اللغة الإيطالية لمنافسة مدرسة البنات التي فتحها الفرنسيون في مدينة طرابلس.

ومع بداية عام 1887 م وضع رئيس الوزراء الإيطالي فرانشيسكو كريسبي (Francesco Crispi) فكرة تعميم النشاط الاستعماري لبث اللغة الإيطالية والثقافة

الإيطالية في أقطار الشمال الإفريقي وخاصة ليبيا. فجاءت إلى طرابلس عام 1898 م هيئة مؤلفة من أثنين بريطانيين وأثنين إيطاليين وقامت هذه الهيئة بفتح مدرسة أجنبية سجل فيها ثلاثة أو أربعة طلاب بهدف فتح المجال لأعداد طلابية والسعي لبلوغ مآربهم الخبيثة [21]. كما طالب المستشرق الإيطالي كارلو بوضع برامج للتعليم في ليبيا، فأنشأت الحكومة الإيطالية عدداً من المدارس الإيطالية منها:-

معهد إسلامي في مدينة طرابلس بهدف عزل ليبيا عن محيطها (العربي – الإسلامي) بمنع الطلبة الليبيين الراغبين في التزود بالثقافة الدينية من التوجه إلى الأزهر الشريف في مصر أو جامع الزيتونة في تونس [22]. وتولت الحكومة الإيطالية الإنفاق على هذه المدارس وإعداد المناهج الخاصة لها. فكانت تزرع من الأفكار والمبادئ في نفوس الطلاب ما يقربهم من السلطة الإيطالية، وبذلك يهون الأمر بعد ذلك الانتقال من السلطة العثمانية إلى الاحتلال الإيطالي ويرغبهم فيه.

سارت البعثات التبشيرية المسيحية وفق تعليمات الحكومة الإيطالية فأنشأت المستشفيات وملاجئ الأيتام في المدن الليبية الكبرى كطرابلس وبنغازي لتنفيذ مخططات إيطاليا الاستعمارية. وهناك من يرى أن تلك الجهود قد أصابت بعض النجاح حتى أشيع أن اللغة الإيطالية كانت منتشرة بين الليبيين، وأن الأجنبي إذا حل بليبيا يشعر بضرورة تعلمه لها [23].

غير أن قصة انتشار اللغة الإيطالية داخل ليبيا، قصة مبالغ فيها، حتى يبرر الساسة الإيطاليون مدى تغلغل النفوذ الإيطالي في ليبيا كمقدمة لاحتلالها كذلك قامت الحكومة الإيطالية في ليبيا بإنشاء صحيفة طرابلس ((Giornale di Tripoli صدر منها العدد الأول في 8 يناير 1909 م باللغة الإيطالية. كانت تصدر يومي السبت والأربعاء من كل أسبوع وتوقفت عن الصدور عام 1911. كما صدرت صحيفة أخرى تدعى صحيفة صدى طرابلس (Lecodi Tripoli) بتاريخ 22 ديسمبر 1909 م كانت أيضاً باللغة الإيطالية، وهي صحيفة سياسية، إخبارية لرعاية المصالح الإيطالية في ظل الحكم العثماني.

- المبحث الرابع: النشاط الكشفي الإيطالي

أرسلت الحكومة الإيطالية العديد من البعثات الكشفية إلى ليبيا بهدف إعداد دراسات علمية عنها لاستعمارها. وكان من هذه البعثات، بعثة المستكشف الإيطالي مانفريدو

كامبريو (Manfredo Camperio) الذي كرّس جهوده لتشجيع العلماء بالذهاب إلى طرابلس لخدمة الكشف الاستعماري. فأسس هذا المستكشف جمعية الاستكشاف عام 1877 م، فتولت إصدار مجلة المستكشف وأولت اهتماما خاصاً بالقارة الإفريقية، وأصبح أعضاؤها من أهم العناصر الذين تحولوا إلى مدارس للدعوة والفكر الاستعماري الإيطالي وتوجيه الأنظار لإستعمار ليبيا، وفي عام 1880 م قام مانفريدو كامبريو بزيارة إلى عدة مدن ليبية مثل:- طرابلس، الخمس، مسلاته، وغيرها وجمع الكثير من المعلومات عن هذه المدن، خدمة للأغراض الاستعمارية.

كما أوفدت الجمعية الميلانية عدداً من الرحالة والرحلات الكشفية إلى ليبيا عام 1879م، وقد حاول رئيس هذه الجمعية كسب ود زعماء القبائل والطرق الصوفية، لكنه فشل في ذلك (24).

وحتى تحقق هذه البعثات الكشفية أهدافها المشبوهة قامت بزيارات لعدة مدن وقرى ليبية مثل بنغازي، توكرة، المرج، سلطنة، درنة، شحات، طلميثة و طبرق بالإضافة إلى طرابلس، الخمس، مصراتة و غيرها. فتمكن رجال هذه البعثات من الإطلاع عن قرب على أحوال ليبيا الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية و الصحية، و عادوا إلى بلادهم، رافعين معهم التقارير المفصلة لحكومتهم. كما ألقوا المحاضرات و أقاموا الندوات،لحث حكومتهم و شعبهم الإيطالي، على استعمار ليبيا.

و كان من البعثات المشبوهة أيضاً، بعثه الكونت سفورزا (Conte SFORZA) التي أرسلتها الحكومة الإيطالية عام 1915 م، بمهمة علنية هي التنقيب عن معدن الفوسفات، وإجراء حفريات أثرية، لكنها في الحقيقية، اشتغلت بوضع الخرائط الجغرافية و المصورات الأخرى، التي كانت لازمة للعمليات العسكرية التي نفذتها الحكومة الإيطالية بعد ذلك.

لفت وجود هذه البعثة المشبوهة، نظر بعض زعماء البلاد، و منهم بشير السعدواي، الذي قابل رئيسها (الكونت سفورزا)، و نبهه إلى أن أهالي هذه البلاد يعرفون البواعث الحقيقية لبعثته، و إن الأهالي لن يفرطوا في تراث ورثوه عن آبائهم و أجدادهم من ألاف السنين.

هوامش الفصل الخامس

1- مجموعة من الأساتذة والباحثين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ج 2، طرابلس : مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1974، ص 27.

2- منصور عمر الشتيوى، الغزو الايطالي لليبيا، تونس : مؤسسة الفرجانى، ط 2، 1970، ص 58، 59.

3- هنرى أنيس ميخائيل، العلاقات الليبية — الانجليزية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للنشر، 1970، ص 15.

4- وليم س. أسيكو، أوربا والغزو الايطالي لليبيا 1911- 1912، ترجمة ميلاد المقرحى، طرابلس : مركز جهاد الليبيين، 1988، ص 31.

5- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي، حتى الغزو الايطالي، ترجمة وتحقيق، محمد عبد الكريم الوافى، طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط،2، 1983، 748.

6- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق : مكتبة أطلس، ط 1، 1974، ص 459 ويذكر الطاهر أحمد الزاوى، أن نابليون الثالث عام 1857 م، أبدى تأييده لاحتلال حكومة سردينا الايطالية لطرابلس، فأيقظ هذا العرض، الشهوة الاستعمارية في نفوس الايطاليين للمزيد راجع كتابه، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ط 2، 1973، ص 25.

7- ن.إ بروويش، تاريخ ليبيا منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969، ترجمة عماد حاتم، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1988، ص 384.

8- ادريس صالح الحرير، الاستعمار الاستيطانى الايطالي في ليبيا 1911- 1970، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين 1984، ص 11. والكتاب عبارة عن ندوة لمركز الجهاد عام 1983، تحرير ادريس صالح.

9- بروشين، مرجع سابق، ص 384، 385.

10- مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالي، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين 1988، ص 60.

11- محمد مصطفى بازامه، بداية المأساة أو التمهيد السياسي للاحتلال الايطالي، بنغازى، المطبعة الأهلية، ط 1، 1961، ص 27.

12- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص 30.

13- عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، مالطا : منشورات إلجا(ELGA) فاليتا ، 1996، ص 102.

14- الهاشمى بلخير، الهانى، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين، 1985، ص 24.

15- أحمد صدقى الدجانى والحاج عبدالسلام أدهم ، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، بيروت دار صادر(1974)، وثيقة رقم (119) ص 186، 187.

16- شارل فيرو، مرجع سابق، ص 748.

17- عقيل محمد البربار مرجع سابق، ص 103.

18- مفتاح السيد الشريف، الاستعمار الايطالي لليبيا بواعثه أسبابه التاريخية، أعماله ونتائجه، طرابلس : دار النشر الليبية، 1970، ص 6.

19- Major Anthony. j. Cachia Libya under the second ottoman occupations، 1835 – 1911، Tripoli، dar far jani. 1975 p. 96

20- زاهية قدوره، تاريخ العرب الحديث، بيروت : دار النهضة العربية، 1967، ص 419، 420

21- أحمد صدقى الدجانى وعبد السلام أدهم، مرجع سابق، ص 153 – 154 وثيقة رقم 93.

22- صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، بيروت : المطبعة الفنية، 1970، ص 40.

23- محمد مصطفى بازامة، مرجع سابق، ص 36.

24- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق هى 18.

الفصل السادس :

الغزو العسكري الإيطالي لليبيا
و بداية حركة الجهاد 1911 – 1915

- المبحث الأول: ليبيا عشية الغزو الإيطالي
- المبحث الثاني: الإنذار الإيطالي للحكومة العثمانية بالتخلي عن ليبيا
- المبحث الثالث: بداية الغزو الإيطالي لليبيا و حركة المقاومة 1911 - 1913
- المبحث الرابع: حملة مياني على فزان و معارك الجنوب و المنطقة الشرقية خلال على 1913 - 1914
- المبحث الخامس: معركة القرضابية، أسبابها، أحداثها، نتائجها

- المبحث الأول: ليبيا عشية الغزو الإيطالي

كانت ليبيا عشية الغزو الإيطالي لها، تؤلف مثل غيرها من الأقطار العربية، إحدى ولايات الإمبراطورية العثمانية المتهالكة آنذاك (رجل أوروبا المريض)، وتعرف بولاية طرابلس الغرب بما فيها فزان، و كان يحكم هذه الولاية، وال عثماني يلقب بالباشا، يعينه السلطان، لينوب عنه في حكمها، يساعده في ذلك الحامية العثمانية والديوان، وقد جري تقسيمها إلى أربع متصرفيات تضم عشرين قائمقامية ومديرية ومنذ عام 1879 م، أصبحت برقة متصرفية مستقلة تضم خمس قائمقاميات يحكمها متصرف معين من قبل السلطان وهو المسؤول مباشرة أمام حكومة استانبول، وكان لكل من ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية برقة، ممثلون في مجلس المبعوثان (مجلس النواب).

بلغ عدد سكان ليبيا عام 1911، نحو مليون نسمة في حين كانت الجالية الإيطالية تقدر في ذات العام بحوالي 1،100 نسمة. لقد أهملت حكومة استانبول، وسائل الدفاع العسكري في ليبيا و حتى العدد القليل الذي كان موجوداً من الأسلحة كان عبارة عن مدافع وبنادق قديمة، وحصون عتيقة لا تصمد أمام أي معتد. ولم تكن القوات العثمانية المتمثلة في الحامية العثمانية، تزيد على أربعة آلاف جندي موزعين على مختلف المدن والقرى والسواحل للبلاد، و كانت تلك الحامية أحياناً،مصدر قلق وفوضى أكثر منها للحفاظ على الأمن و الاستقرار.

اعتمدت حياة الليبيين في تلك الفترة على الزراعة التقليدية فكانت أهم منتجاتهم القمح والشعير خاصة في مناطق مسلاته، ترهونة، جبل نفوسة وأودية ورفله، بالإضافة إلى أشجار الزيتون والتين والنخيل والمقاتى والخضروات.

كذلك مارس بعض الليبيون حياة الرعي ومن أهم حيواناتهم: الإبل، الضان، الماعز التي كانت تربي بكثرة، الأبقار، الخيل والحمير، بالإضافة إلى صيد الإسفنج الذي كان يلعب دوراً كبير الأهمية بالنسبة للتجارة الليبية وصيد الأسماك.

أما عن التجارة فهي تنقسم إلى قسمين:- التجارة الداخلية وتتمثل في أسواق القرى والمدن و مواد الاستهلاك المحلي، لكن التجارة الخارجية هي التي تمثل إحدى موارد الدولة. وكان هذا النوع من التجارة، له طرقه البرية والبحرية فالطرق البرية كانت متعددة منها طريق، يربط درنة بالأراضي المصرية، ولم تكن آمنه من غارات القبائل و طريق يربط

زواره بالأراضي التونسية، و هذه أيضاً كانت معرضة للنهب و السلب، وهناك طريق يربط غدامس بالسودان عبر غات وهو طريق محفوف بالمخاطر، وطريق آخر، يربط طرابلس الغرب، بأفريقيا الوسطي، ماراً بمرزق وتستغرق رحلته نحو ستة أشهر ذهاباً وإيابا. وطريق يربط بنغازي بوسط أفريقيا. ماراً بواحات أوجله والكفرة ويستغرق ما بين ثمانية إلى عشرة اشهر ذهاباً وإياباً، و هذا الطريق كان أسلم الطرق إلى أفريقيا.

أما الطرق البحرية فكانت من خلال البحر المتوسط عبر الموانى الساحلية الليبية والموانى الأوروبية وقد انتشرت في ليبيا بعض الحرف والصناعات التقليدية كانت تقوم غالباً على المواد الخام الزراعية والحيوانية وأهمها: المنسوجات حيث انتشرت الأنوال اليدوية بكثرة لصناعة الأردية النسائية والجرود وصناعة الأكلمة والبُسط وبيوت الشعر، وصناعة الحصر. كما انتشرت في المدن صناعة تطوير المخمل والجلود، والفخار وطحن الحبوب والتجارة والحدادة وصناعة الحلي والذهب.

واقتصرت الحياة الثقافية على التعليم التقليدي فقد انتشرت بعض المدارس القرآنية والكتاتيب وبعض علوم الدين والمعارف الأخرى التي أسهمت في نشر التعليم وحفظ اللغة العربية وأصول الدين الإسلامي بالإضافة إلى بعض المدارس العصرية القليلة التي انتشرت في المدن الليبية الكبرى.

هكذا عند وقوع الغزو العسكري الإيطالي على ليبيا في أكتوبر عام 1911م كان لا يزال الإيمان بالدين والتفاني في الدفاع عن الوطن ظاهرة بارزة في حياة الشعب العربي الليبي فأسهمت هذه الظاهرة في زيادة أعداد المشاركين في الجهاد ضد العدو المسيحي الصليبي الغازي وتحويل ذلك إلى حرب شعبية شارك فيها الجميع دفاعا عن الأرض والعرض والمقدسات والحرية (1).

- المبحث الثاني: الإنذار الإيطالي للحكومة العثمانية بالتخلي عن ليبيا

لكي تبرر الحكومة الإيطالية عدوانها المسلح على الشعب العربي الليبي الآمن حاولت اختلاق أعذاراً واهية وهذا يتضح من صيغة الإنذار الذي وجهته للحكومة العثمانية يوم 28 سبتمبر 1911م طالبة منها التخلي عن ليبيا واحتوى هذا الإنذار على أن الحكومة الإيطالية كانت تلفت نظر السلطان العثماني إلى ضرورة وضع حد لحالة الفوضى والإهمال التي تركت عليهما ليبيا من جانب الدولة العثمانية، وأن الوقت قد حان لتطور

هذه البلاد كبقية بلدان شمال أفريقيا [2]، وإن مقتضيات التمدن العامة تجعل من هذه الأرجاء القريبة من الشواطئ الإيطالية منطقة نفع حياتيه من الدرجة الأولى.

إن مبررات الحكومة الإيطالية بغزو ليبيا كانت على أساس أنه بلد متخلف وأنها قريبة من الشاطئ الإيطالي.

والسؤال: هل التخلف وإن كان ذلك ادعاء باطلاً، فإيطاليا نفسها كانت آنذاك تعاني عجزا واضطرابا اقتصاديا، يكون مبرراً لغزو القوات الإيطالية لليبيا! ثم هل القرب الجغرافي يجيز لها الاحتلال؟

أخذت الحكومة الإيطالية تفتعل الأزمات ضد الدولة العثمانية بدعوى تعرض الأجانب في ليبيا للخطر وبعرقلة مصالحها في ليبيا وسارعت الصحافة الإيطالية تطالب حكومتها بالتدخل العسكري.

- المبحث الثالث: بداية الغزو الإيطالي لليبيا وحركة المقاومة 1911- 1913

أولاً: الغزو الإيطالي واحتلال مدن الساحل الليبي

أرسل قائد الأسطول الإيطالي (الأدميرال فيرافيلي) يوم 2 أكتوبر 1911 م، إنذاراً إلى الأمير آلاي أركان حرب (نشأت باشا) العثماني، بصفته قائد عام القوات والموظفين العثمانيين في ليبيا طالبا منه تسليم طرابلس الغرب. غير أن نشأت باشا رفض طلبه ورد عليه بأنه لم يتلق أمرا بذلك من السلطان ورأى تأخير الرد حتى يأتيه الأمر السلطاني (محمد الخامس) إلا أن الأدميرال فيرافيلي رفض التأخير وأنذر القوات العثمانية بالاستسلام خلال أربع وعشرين ساعة.

أثناء فترة هذا الإنذار خرج نشأت باشا بقواته جنوب طرابلس الغرب في منطقة العزيزية وبدأ في إعادة تنظيم قواته واستقبال أفواج المجاهدين الليبيين الذين وفدوا إليه من كل صوب من البلاد للدفاع عن طرابلس.

بدأت قوات الأسطول الإيطالي بمحاصرة مدينة طرابلس بعد ظهر يوم الثالث من أكتوبر 1911 م بواسطة قطع الأسطول الذي بلغت عدد بواخره 114، في حين بلغت تلك القوات نحو أربعين ألفاً بإمكانات هائلة جدا [3]. وقد بدأ يوم 4 من الشهر ذاته القصف المدفعي، وفي اليوم الخامس منه، باشرت تلك القوات في النزول براً على الساحل الطرابلسي. كما نزلت قوات إيطالية في طبرق يوم 4 أكتوبر من نفس العام وباشرت

نزولها على طول الساحل الليبي خلال الشهر ذاته.

السؤال الذي يرد الآن هو:

- ما موقف القوات العثمانية المتواجدة في ليبيا من هذا الغزو ؟

عند بداية الغزو الإيطالي على طرابلس الغرب كانت القوات العثمانية النظامية (the Turkish Troops) المتواجدة في ليبيا، تتمثل في الفرقة الثانية والأربعين المستقلة، وبلغ عدد أفرادها 4،080 رجلاً موزعين في المنطقة الشرقية والغربية من ليبيا.

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعلن عن استعدادها للحل السلمي مع الحكومة الإيطالية بشأن ليبيا، نظمت المقاومة من خلال "البناء السياسي والعسكري والإداري العثماني" المتواجدين في ليبيا فأسرع عدد من الجنود والضباط للانضمام إلى حركة الجهاد فكان قادة حركة المقاومة أتراكاً عثمانيين، وكذلك معظم التمويل والأسلحة. فكان من هؤلاء الضباط أنور بك الذي تولى قيادة العمليات العسكرية في طرابلس الغرب. وخليل بك قائد منطقة الخمس وكان من هؤلاء الأتراك المتطوعين (Turkish Volunteers)ضباط عرب من أمثال: عزيز علي المصري (قائد دور بنغازي) وأدهم باشا الحلبي (قائد دور طبرق)، ومحمود باشا اليمني (قائد منطقة زواره). وتولوا تدريب المجاهدين الليبيين على قواعد الحرب الحديثة [4].

تمركزت القوات الإيطالية يوم 5 أكتوبر من نفس العام في ضواحي طرابلس وأخذت تبني مواقعها الدفاعية في عدة مناطق منها بومليانه حيث سيطرت على موارد المياه هناك ثم قرقارش والهاني الذي يعتبر موقعا إستراتيجيا فهو عبارة عن جبل يبلغ ارتفاعه نحو 180 قدم فوق سطح الأرض تحيط به واجهه من أشجار النخيل من كافة الجهات.

ولتجنب غارات المجاهدين أحاطت القوات الإيطالية مدينة طرابلس بالأسلاك الشائكة وأستمر الوضع قائماً حتى وصول الإمدادات من القوات البرية التي بلغت نحو عشرين ألف تحت قيادة الجنرال كارلو كانيفا يومي 11 – 12 من أكتوبر 1911 م. فوجه كانيفا **نداء للشعب الليبي جاء فيه:**- أن هدف إيطاليا القضاء على الحكم العثماني وحماية الليبيين من كل اعتداء خارجي وأستشهد بالآيات القرآنية وبأن الاحتلال الإيطالي لليبيا هو قضاء وقدر وبالتالي لا لزوم للمقاومة! **فهل انطلت على الشعب العربي الليبي أكاذيب الغزاة؟**

ثانياً: مؤتمر العزيزية ومعارك الجهاد الأولى 1911-1912 م

أمام المستجدات لواقع الاحتلال الإيطالي عقد أعيان المجاهدين ونشأت باشا يوم 6 أكتوبر 1911 م مؤتمر عام في العزيزية تم الاتفاق فيه على إرسال برقية إلى الحكومة العثمانية تؤكد على تصميم الليبيين على مواصلة الجهاد ضد المحتلين الإيطاليين وتعيين نشأت باشا قائد عام للقوات التركية والمجاهدين.

شكلت حركة المجاهدين خط دفاع أول بدأ من منطقة سواني بن يادم وقصر بن غشير ثم امتد غرباً حتى جنزور وشرقاً حتى تاجوراء وباشرت هجومها يوم 23 أكتوبر 1911 م على القوات الإيطالية المتمركزة في سواني حلاب والحمامجي في الجهة الغربية من مدينة طرابلس. وبعد ثلاثة أيام جرت معركة الهاني التي كانت عبارة عن ثلاثة معارك كما يلي:-

1- معركة الهاني- شارع الشط أكتوبر 1911 م

نشبت هذه المعركة في 23 أكتوبر 1911 واستمرت أحداثها لمدة ثلاثة أيام وكانت أولى المعارك التي دارت في معركة الهاني (شرقي مدينة طرابلس) حيث يوجد الآن النصب التذكاري لشهداء معركة الهاني.

تعد هذه المعركة من المعارك الكبرى التي شنها المجاهدون ضد القوات الإيطالية فكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد حيث بلغ عدد القتلى نحو ثلاثمائة وثماني وسبعين قتيلاً و مائة وخمسة وعشرين جريحاً. وكرد فعل لأحداث هذه المعركة أمر كانيفا قواته بالانتقام والتنكيل بالمواطنين الليبيين المدنيين فقتلت ما يزيد على الثلاثة آلاف وتحولت واحة طرابلس إلى مجزرة ضد المواطنين وأصبحت شبه خالية من الأحياء. لكنها كانت مزروعة بالجثث في كل مكان.

2- معركة الهاني- ابو مليانه

هي ثاني المعارك من سلسلة معارك الهاني نشبت في 26 أكتوبر 1911 بين قوات المجاهدين وبين قوات الاحتلال الإيطالي. وقد حقق المجاهدون بعض الانتصارات فاوقعوا عدد من القتلى والجرحى في صفوف العدو.

3- معركة الهاني- سيدي المصري:-

هذه المعركة هي ثالث المعارك من سلسلة معارك الهاني. حيث وقعت في منطقة سيدي المصري ودارت رحاها يوم 26 أكتوبر 1911 م بين المجاهدين الذين بلغ عددهم نحو

700 مجاهد [5]، وبين المحتلين الإيطاليين وقد شاركت القوات العثمانية في هذه المعركة إلى جانب المجاهدين وتمكنت قواتهم المشتركة من طرد القوات الإيطالية المحتلة من قصر الهاني الذي كانت قد تحصنت فيه.

أمام شدة المقاومة لجأت قيادة القوات الإيطالية إلى استخدام الطائرات والمناضيد في الحرب ضد المجاهدين. فقد سجل التاريخ أول غارة جوية كانت يوم 1 نوفمبر 1911 م تحمل أربعة قنابل كروية تم إلقائها لأول مرة على مخيمين للمجاهدين الليبيين في عين زاره و تاجوراء[6].

وفي صبيحة يوم 4 ديسمبر من نفس العام كانت معركة عين زاره، وتمكنت القوات الإيطالية من احتلال قرقارش بعد ثلاثة أيام من ذلك، كما جرت خلال هذه الفترة عدة معارك على امتداد مناطق الساحل الليبي. ففي 27 فبراير 1912 م جرت معركة المرقب الأولى (غربي الخمس)، كما نشبت معركة لبدة يوم 2 مايو من نفس العام وكانت من أهم المعارك معركة سيدي عبد الجليل في مدينة طرابلس يوم 8 يوليو من نفس العام و في اليوم التاسع كانت معركة مصراته حيث قام الأسطول الايطالي بدك المدينة لحماية قواتته المتقدمة نحوها وبالرغم من استماتة المجاهدين في الدفاع غير أنهم لم يتمكنوا من صد القوات الغازية والمدججة بالأسلحة النوعية مما أدى إلى استشهاد نحو ثلاثمائة من هؤلاء المجاهدين[7] وكانت بعد ذلك معركة المرقب الثانية التي حشد لها الإيطاليون نحو عشرة آلاف جندي لطرد المجاهدين عن مرتفعات المرقب ودار القتال في هذه المعركة وجهاً لوجه واستخدم السلاح الأبيض وانتهى الأمر بارتداد القوات الإيطالية بصفة مؤقتة (8).

وفي المنطقة الشرقية دارت عدة معارك منها : السلماني، قاريونس، اللثامة، الصابري، البركة وسواني عبد الغني (النخلتين) وفي هذه المعارك التي حدثت فيما بين عامي 1911 – 1912 م أستشهد كثير من المواطنين والمجاهدين، كما فقد الغزاة الإيطاليين آلاف القتلى.

وهكذا احتلت القوات الإيطالية بقوة الأسطول البحري والقوات البرية وبإمكانات مادية ضخمة، المدن الساحلية في تواريخ مختلفة خلال أكتوبر 1911 حتى أكتوبر 1912 م لكنها عجزت تلك القوات عن التقدم للداخل لشدة المقاومة الليبية والمقاتلين الأتراك العثمانيين جنود وضباط.

وخلال السنة الأولى من الاحتلال الإيطالي لليبيا تم أسر ونفي نحو 6،000 ليبي إلى الجزر الإيطالية ولم يرجع منهم إلا القليل [9].

ثالثا: معاهدة أوشي لوزان 18 أكتوبر 1912 وأثرها على حركة الجهاد الليبي

أمام شدة حركة الجهاد الليبي، لجأت الحكومة الإيطالية للضغط على الحكومة العثمانية حتى تتخلى لها عن ليبيا، فنقلت عملياتها الحربية إلى الدردنيل وبحر إيجة لممارسة الضغوط على الحكومة العثمانية لإجبارها على توقيع معاهدة تنازل عن ليبيا وتعاونت معها في هذا المجال العديد من الدول الأوروبية منها : الحكومة البريطانية، فرنسا، روسيا، النمسا وألمانيا.

هذه الضغوط أجبرت السلطان محمد رشاد خان إلى إصدار فرمان في 16 أكتوبر 1912 م، يقضي باستقلال ليبيا ذاتياً، مقابل دفع الحكومة الإيطالية تعويضاً مالياً للسلطان مقداره ألف مليون ليرة.

تبع ذلك مفاوضات بين الجانبين أدت إلى توقيع معاهدة أوشي (لوزان) بسويسرا في 18 نفس الشهر اشتملت على عدة نصوص منها [10]:-

1- إنهاء حالة الحرب في ليبيا، وتخفيض الرسوم الجمركية على السلع الإيطالية في تركيا.

2- يدعى للسلطان العثماني في المساجد (داخل ليبيا) وتعترف الحكومة الإيطالية بممثل السلطان فكانت هذه هي النقطة الواهية التي تربط الدولة العثمانية بالليبيين.

3- أصدرت الحكومة الإيطالية عفواً عاماً عمن اشتركوا في الحرب ضد القوات الإيطالية من الليبيين والأتراك.

وقد وضعت بنود هذه الاتفاقية موضع التنفيذ بعد التوقيع النهائي يوم 18 أكتوبر 1912م واعترفت الدول الأوروبية بسيادة الحكومة الإيطالية على ليبيا بمجرد نشر بنود هذه الاتفاقية.

هكذا تم تنازل الحكومة العثمانية عن ليبيا للحكومة الإيطالية، وانسحبت قواتها من ميدان القتال، تاركة الشعب العربي الليبي، يواجه مصيره بمفرده مع العلم بأن زعماء البلاد ولا غيرهم من المواطنين الليبيين شاركوا في اتفاقية أوشي لوزان، ولم يؤخذ رأيهم في ذلك ولم تتح لهم فرصة المشاركة في تقرير مصيرهم مما كان له وقع شديد الأسى على

نفوسهم[11] ومما زاد في دهشة أبناء ليبيا، أن الاستقلال الذاتي الذي منحه السلطان العثماني (محمد رشاد خان) لليبيا، جاء متناقضاً مع واقع الأمر، لأن القوات الإيطالية كانت تحتل الساحل الليبي وتحاول التوغل في دواخل ليبيا.

لقد ترتب على هذه الاتفاقية عدة أثار سلبية على حركة الجهاد الليبي، فانعكست هذه الآثار بشكل واضح على الوضع السياسي والعسكري في ليبيا. فتطبيقاً لبنود هذه الاتفاقية أنهت الحكومة العثمانية حالة الحرب ضد إيطاليا وأمرت بانسحاب قواتها العسكرية وجهازها الإداري من ليبيا مما ترتب عليه المشاكل التالية:

1- انقطاع الإمـدادات العسكرية والمؤن التي كانت ترد من الحكومة المركزية في استانبول.

2- أصبح هناك نقص في عدد المقاتلين، الأمر الذي أثر في قوة المجاهدين وأضعف من معنوياتهم.

5- إحداث فراغ سياسي وإداري داخل البلاد، مما فتح المجال أمام ظهور وتعدد زعامات محلية والصراع على السلطة، أدى إلى تصدع الجبهة الداخلية خاصة في المنطقة الغربية من ليبيا.

أما النتائج التي ترتبت على انسحاب القوات العثمانية من ليبيا فكان أهمها ما يلي:-

1- أصبح الجهاد في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي ليبيا خالصاً.

2- ظهور وتبلور ما يمكن أن نطلق عليه اسم تيار الصمود والتصدي، الذي أعطى حركة الجهاد صفة الاستمرارية والديمومة.

3- انتظمت حركة الجهاد الليبي في جبهتين هما : الجبهة الغربية والجبهة الشرقية.

4- انعقاد مؤتمر العزيزية في نوفمبر 1912 لمناقشة الوضع الراهن، حيث ضم بعض زعماء المجاهدين وأعيان ومشايخ القبائل من أمثال سليمان الباروني، محمد عبد الله البوسيفي، محمد فرحات الزاوي، أحمد المريّض، الهادي كعبار، مختار كعبار، محمد سوف، الساعدي بن سلطان، علي بن تنتوش وبشير السعداوي [12].

وأنقسم هذا المؤتمر إلى فريقين: الأول يدعو للتفاوض مع القوات الإيطالية، والآخر يدعو إلى مواصلة القتال، وإنتصر رأي الفريق الآخير.

5- بدأت أحوال المجاهدين تسوء بسبب ما كانوا يعانونه من قلة الموارد والنقص المتزايد في الذخيرة.

رابعاً: محاولة القوات الإيطالية التوغل في الداخل

بادرت سلطات الاحتلال للتوغل في المناطق الداخلية فاستولت على سواني بنيادم والعزيزية وبن غشير خلال أيام (15، 16، 17) من نوفمبر 1912 م ثم واصلت زحفها من قواعدها في زوارة نحو رقدالين، زلطن. ومن الخمس نحو سوق الخميس ومن مصراتة نحو زليتن وتاورغاء.

وعندما كانت القوات العثمانية تغادر ليبيا في مستهل شهر ديسمبر من نفس العام، تمكنت القوات الإيطالية خلال الشهر ذاته من احتلال العجيلات يوم 3 والزاوية يوم 4، وغريان يوم 8 ونزلت تلك القوات على بني وليد ووقفت عند هذا الحد [13].

معركة جندوبة :-

لم تستطع تلك القوات، التوغل في منطقة الجبل الغربي، لشدة المقاومة، حيث اصطدمت بقوات المجاهدين، فحدثت معركة جندوبة (الأصابعة) بجنوب غريان يوم 23 مارس من نفس العام، فكانت هذه المعركة من أعنف المعارك التي دارت بين القوات الإيطالية، والمجاهدين على جبهة تمتد بطول ثلاثمائة كيلو متر، تبدأ من العسة على الحدود التونسية غرباً، إلى منطقة الرابطة وبئر مراكم. وقد ظلت القوات الإيطالية تستعد لهذه المعركة منذ أوائل شهر مارس حتى يوم 22 منه عام 1912 م. وذلك للقضاء على قوات المجاهدين بقيادة سليمان الباروني وقد خاض المجاهدون هذه المعركة بكل شجاعة وثبات، غير أن قوتهم العسكرية والبشرية لم تمكنهم من الصمود أمام قوات العدو التي بلغت نحو أربعين ألف جندي بقيادة الكولونيل (المقدم) مياني، مزودين بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة [14]. فاندحر المجاهدون، وأجبروا على التقهقر فتمكنت قوات العدو من احتلال منطقة الجبل الغربي في 23 من نفس الشهر.

كانت تلك المعركة خاتمة معارك المواجهات التي جرت خلال الفترة الأولى من مراحل حركة الجهاد بطرابلس (1911- 1912)، وتابعت قوات العدو زحفها بعد ذلك في عدة مناطق بالجبل الغربي، فاحتلت ككله يوم 25 مارس ويفرن يوم 27 من نفس الشهر، ومزدة يوم 25 يوليو 1913 م.

خامساً: موقف المجاهدين بعد معركة جندوبة

أظهر الشيخ محمد البوسيفي معارضته لقيادة سليمان الباروني في معارك الرابطة والأصابعة لأنه من وجهة نظره شيخ علم ولا يصلح لقيادة المجاهدين. وإنقسم المجاهدون بعد انتصار القوات الإيطالية في معركة جندوبة إلى ثلاث فرق: فريق ظل في أماكنه واستسلم للغزاة، وفريق آخر هاجر إلى تونس واستقروا هناك، ولحق بهم من نالوت الشيخ سليمان الباروني ومحمد سوف و مجموعة من المجاهدين. فقامت سلطات الاحتلال الفرنسي بتجريد المجاهدين من كافة أسلحتهم.

لقد اتصل الكونت سفورزا (مندوب الحكومة الإيطالية في تونس) بالشيخ سليمان الباروني يدعوه للتباحث في أمر الإدارة التي قررت السلطات الإيطالية إنشاءها في طرابلس الغرب، حيث تقدم سفورزا بمشروع يقضي إصدار عفو عام عن المهاجرين الليبيين والسماح لهم بالعودة إلى بلادهم فعاد بعضهم وفضل آخرون الهجرة إلى تركيا ومنها إلى بلاد الشام وكان منهم الشيخ سليمان الباروني والشيخ محمد سوف [15].

أما القسم الثالث فقرر البقاء في أرض الوطن والدفاع عنها بالنفس والنفيس وترأس هذا القسم الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي، والشيخ محمد الباروني، اللذان جمعا شتات المجاهدين وتوجها بهم نحو القبلة وهي المنطقة التي تبدأ من الحمادة الحمراء إلى بني وليد وقاعدتها القريات. وقد تمركزوا بوادي الشاطئ بفزان.

- **المبحث الرابع: حملة مياني على فزان ومعارك الجنوب والمنطقة الشرقية** (1913-1914)

قررت القوات الإيطالية بعد أن حققت انتصارا في معركة جندوبة، ملاحقة المجاهدين لاستكمال الاحتلال. وكان أمام هذه القوات المتواجدة في سرت للزحف على منطقة فزان طريقان:-

أولهما: الزحف عن طريق منطقة القبلة إي مزدة، القريات، الشويرف، ومنها إلى براك.

وثانيهما: الزحف من سرت التي كانت القوات الإيطالية قد إحتلتها في 3 ديسمبر 1913م. ومنها إلى الجفرة (ودان، هون، سوكنة) ثم تعبر تلك القوات منطقة جبل السودة إلى سرير القاف ومنها إلى براك الشاطيء (شمال فزان) ([16]

بعد أن استكملت القوات الإيطالية استعداداتها بقيادة الكولونيل مياني حيث بلغ تعدادها نحو 1200 جندي مع كتيبتين أرتيريتين ومجموعتين من المدفعية وفصيلة خدمات وسبع محطات تلغراف وقافلة كبيرة من الإمدادات.

تركت هذه الحملة العسكرية الطريق الأول وهو الأقصر على أساس أنه طريق غير آمن يقطنه قبائل مرتحلة، لا تقبل الخضوع ولا تستقر على حال كما أنها تميزت بقوة المراس وشدة البأس.

لذلك اختارت الطريق الآخر فانطلقت من قاعدتها (سرت) يوم 6 أغسطس 1913م باتجاه منطقة الجفرة فوصلت سوكنة يوم 22 من نفس الشهر وتمكنت من احتلالها وأقامت فيها مدة حوالي ثلاثة أشهر للاستعداد والمراقبة. وفي يوم 6 ديسمبر من نفس العام تحركت من سوكنه عبر جبل السودة متجهة إلى براك الشاطئ مركز تجمع المجاهدين، اللذين انسحبوا عقب معركة جندوبة وأنضم إليهم جماعات من أهالي منطقة الشاطيء (حساونه، مقارحة، قوايدة... إلخ).

أولاً: أهم معارك الجنوب (الشب، أشكدة والمحروقة)

1- إشتباك الشب (ديسمبر 1913)

تقع منطقة الشب إلى الشرق من براك الشاطئ بحوالي أربعين كلم. فكان أول صدام بين القوات الإيطالية الزاحفة نحو الجنوب وقوات المجاهدين في هذه المنطقة يوم 10 ديسمبر 1913 م، حيث إشتبكت قوات مياني بمفرزة (كمين) استطلاع للمجاهدين كان يراقب تحركات العدو فاستشهد جميع أفرادها باستثناء واحد منهم رفض الاشتراك في معركة قتال غير متكافئة، وطلب من المفرزة الانسحاب ليبلغوا قيادة المجاهدين برئاسة الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي، وسكان المنطقة بقدوم القوات الايطالية الزاحفة. لكن دون جدوى فرجع هذا الشخص بمفرده إلى براك وأبلغ الجميع بما حدث.

معركة أشكدة 12 ديسمبر 1913 م

تقع بلدة أشكدة إلى الشرق من براك بحوالي عشرين كم. وهي أول تجمع سكاني في وادي الشاطئ من جهة الشرق وبعد اشتباك الشب تابعت القوات الإيطالية زحفها باتجاه آبار آشكده يوم 12 ديسمبر من نفس العام، وطلب مياني من الأهالي التسليم غير أن المجاهدين ومعهم الأهالي رفضوا ذلك وقرروا القتال والمواجهة.

وفي صبيحة اليوم التالي (13 من نفس الشهر) قامت القوات الإيطالية بقصف مدفعي لتدمير مواقع المجاهدين، اللذين شكلوا خطاً (دفاعياً إلى الغرب من هذه البلدة في مرتفع دبدب المشرف على طريق أشكدة – براك) من الجهة الشمالية الغربية.

ثم تابعت قوات مياني زحفها تجاه المجاهدين اللذين تصدوا لهذا الزحف بكل شجاعة، فلم تتمكن تلك القوات من اختراق تحصينات المجاهدين. فلجأ مياني إلى حيلة وهي استدراجهم بعيداً عن تحصيناتهم، فانسحب بقواته جنوباً تجاه رمله الزلاف، موهماً المجاهدين بأنه يريد الزحف إلى سبها.

اعتقد المجاهدون أن قوات مياني قد هزمت فاندفعوا لمطاردتهم، وعندما وصل المجاهدون إلى منطقة مكشوفة، أخذت القوات الإيطالية في قصفهم بكافة أنواع الأسلحة مما أجبرهم على التراجع إلى بلدتي قيرة وبراك بعد أن تكبدوا خسائر عديدة من الشهداء. فتقدمت القوات الإيطالية لاحتلال براك وانتهت بذلك معركة أشكدة لصالح العدو.

2-معركة محروقة 24 ديسمبر 1913

تحركت قوات مياني من براك بقوة تتألف من 789 جندي وإثنا عشر قطعة مدفعية ورشاشين بعد أن ترك حامية في براك مع عدد من قوات الاحتياط ([17]).

واصلت تلك القوات زحفها فاقتحمت مرتفعات المحروقة ودارت معركة طاحنة يوم 24 ديسمبر 1913 م بين قوات المجاهدين بزعامة محمد بن عبد الله البوسيفي والتي بلغت نحو 500 مجاهد وبين القوات الإيطالية واستمرت المعركة ما يزيد على الخمس ساعات تمكنت بعدها القوات الغازية من تحقيق النصر واستشهد عدد كبير من المجاهدين ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي.

ترتب على معركة محروقة، احتلال قوات مياني للمناطق القريبة منها في وادي الشاطيء دون مقاومة تذكر تم تقدمت تلك القوات إلى سبها فاحتلتها يوم 17 فبراير 1914 م دون مقاومة وأتخذ مياني من قلعة قاهره مركزاً لقيادته السياسية والعسكرية. وبعد استراحة استمرت عشرة أيام، زحفت قواته إلى مرزق فاحتلتها يوم 4 مارس كما احتلت اوباري وادري في يوليو واتجهت جنوب غات فاحتلتها يوم 21 أغسطس من نفس العام. وهكذا استكملت القوات الإيطالية احتلال فزان بالكامل.

ثانيا: معركة قاهرة 27 - 28 نوفمبر 1914 م

القاهرة ربوة عالية بسبها، في رأسها قصر قديم يقال أنها كانت في التاريخ القديم مقر ابن جهيم وأبن المنتصر. وهي أحدى قرى سبها ولأهميتها اتخذتها القوات الإيطالية

حصناً لها بعد احتلالها لفزان كما سبق القول – فأحاطوها بسياج من المدافع والأسلاك الشائكة واتخذوها مستودعاً حربياً، استمر احتلالهم لها نحو تسعة أشهر.

وفي مساء 27 نوفمبر 1914 م، قام سالم بن عبد النبي الزنتاني بمهاجمة قلعة قاهرة على رأس عدد من الرجال، لا يزيد عددهم عن أربعين مجاهداً، لا يملكون إلا بضع بنادق تركية وبنادق إيطالية غنموها في معارك سابقة. مقابل إمكانيات القوات الإيطالية الضخمة في العدد والعتاد والإمكانات.

وعلى الرغم من إن المعركة لم تكن متكافئة بين الجانبين، إلا أن خطة قوات المجاهدين التي اعتمدت إستراتيجية المباغته ليلاً فأصبحت القلعة مع فجر يوم 28 من نفس الشهر في حالة تطويق كامل وتم اقتحامها في الساعة الرابعة صباحاً، بعد أن وجد المجاهدون تعاوناً وثيقاً من العناصر الليبية المجندة مع القوات الإيطالية الضخمة في العدد والعتاد والإمكانات. فتمت إبادة معظم أفراد الحامية [18].

وغنم المجاهدون كميات ضخمة من المدافع والرشاشات وصناديق الذخيرة وغيرها من المعدات. بدأت بعد هذه المعركة عملية استرداد لكافة المناطق الجنوبية، فتم تحرير أوباري واندلعت ثورة في كامل مناطق فزان وعجزت القوات الإيطالية عن إخمادها ولم يبق أمام الجنرال مياني إلا الانسحاب من مدينة مرزق عاصمة فزان وتم ذلك في 10 ديسمبر 1914 م حيث انسحب في ست سيارات إلى سوكنة، ثم من أبو نجيم بعد أن تعرضت القوات الإيطالية لهجوم عنيف وتركت حامية أوباري تواجه مصيرها. أمام حصار المجاهدين، وأصبحت قوات المجاهدين تلاحق القوات الإيطالية في كل أماكن تواجدها.

عاد مياني إلى طرابلس ووضع خطة عسكرية تهدف إلى استعادة السيطرة على مناطق القبلة ومنطقة سرت اللتان انفجرت فيهما الأوضاع ضد الاحتلال الإيطالي. فكانت هذه الخطة تقضي بتوجيه حملتين كبيرتين واحدة للعمل جنوب مزدة والأخرى للعمل في منطقة سرت.

اصطدمت القوات الإيطالية بقوات المجاهدين في المعركة الشهيرة المعروفة بمعركة وادي مرسيط يومي 6-7 من ابريل 1915 م. وانتهت بهزيمة ساحقة للقوات الإيطالية سقط فيها نحو مائة قتيل. فكانت مبعث شؤم للقوات الإيطالية التي سوف تلاقي نفس المصير في معارك قادمة.

أما بالنسبة لحركة المقاومة الوطنية في المنطقة الشرقية (منطقة برقة) في تلك الفترة فعلى الرغم من علم قيادة المجاهدين باتفاقية أوشي لوزان السابقة ذكرها، وبقرار الحكومة العثمانية بانسحاب حاميتها من البلاد إلا أنهم لم يكترثوا بذلك وقرروا دون تردد مواصلة الجهاد.

فقد كانت القيادة في هذه المنطقة متمثلة في الشيخ أحمد الشريف الذي كان يدين له بالولاء كافة رؤساء ومشايخ العشائر والقبائل. ولم يكن له إرتباط رسمي بالسلطات العثمانية مثلما كان لأغلب القيادات في طرابلس. أما عن قائد الحامية العثمانية لتلك المنطقة فقد كان أنور باشا قبل مغادرته ليبيا توجه إلى الشيخ أحمد الشريف الذي كان مقيماً في واحة الجغبوب، وسلمه مقاليد البلاد. واستبقى مجموعة من ضباطه برئاسة عزيز علي المصري. لقيادة قوات المجاهدين وانضم إليهم مجموعة من الضباط الأتراك اللذين رفضوا الانصياع لأوامر حكومتهم وقرروا البقاء في برقة للاشتراك في عمليات القتال.

لقد حاول مخططو العمليات العسكرية الإيطالية، وضع خططهم للقضاء على حركة الجهاد في منطقة برقة، فقاموا بعدة عمليات عسكرية في وقت واحد في جنوب وشرق بنغازي والنزول في أحد مرافئ الجبل الأخضر، وتحريك قواتهم المرابطة في درنة، نحو الجبل الأخضر قبل أن يستفحل خطر المجاهدين.

فنزلت قواتهم يوم 11 ابريل 1913 م في طلميثة، واتخذت منها قاعدة لغزو الجبل الأخضر. ونشبت في ذات الوقت معركة الهوا ري في 12 مارس في نفس العام، ومعركة بنينه المشهورة يوم 13 من ذات الشهر وهي من المعارك العنيفة التي وقعت في بنغازي واستمرت المواجهة المسلحة ما يزيد على خمس ساعات مما أدى إلى تدمير مدينة بنينة وأشعلت القوات الايطالية النار فيها.كما وقعت معركة سيدي القرباع بالقرب من درنة يوم الجمعة 10 مايو 1913 م، حيث حقق المجاهدون فيها انتصارا ساحقاً على القوات الإيطالية.

- المبحث الخامس: معركة القرضابية، أسبابها، إحداثها ونتائجها

القرضابية بئر يقع شرقي مدينة سرت على مسافة قريبة من قصر أبو هادي (جنوب شرق سرت). والمنطقة عبارة عن أطلال قديمة. وقعت هذه المعركة في المسافة

بين القرضابية وبين قصر أبو هادي، لكن اسم القرضابية غلب على المعركة لأن وطيس المعركة حمي وأشتد عند بئر القرضابية، واستمر القتال أكثر فيها من قصر أبو هادئ. تعتبر معركة القرضابية من المعارك المتميزة والشهيرة في حركة الجهاد الليبي فلقد مثلت بالنسبة لمن تناولها من الإيطاليين هزيمة مروعة، فوصفوها في وثائقهم باسم عدوة طرابلس، لأن نتائجها تشابهت بما لحقت بقواتهم في معركة عدوة بالحبشة في مارس 1896م، حيث ألحق الأحباش في هذه المعركة هزيمة نكراء بالقوات الإيطالية سقط فيها نحو ستة آلاف إيطالي بين قتيل وأسير و أوقفت الحكومة الإيطالية مشاريعها الاستثمارية في الحبشة حتى عام 1933م، وخرج رئيس وزراء إيطاليا كريسبي (Crispi) على أثرها من الحكم.

أسباب معركة القرضابية

تعددت الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيام هذه المعركة، منها الأسباب الداخلية ومنها الأسباب الخارجية ويمكن إجمال تلك الأسباب كما يلي :-

1- الموقع الجغرافي الذي تتمتع به هذه المنطقة باعتبارها تشكل قاعدة مهمة على الساحل الليبي ومفتاحاً للمناطق الداخلية في فزان والواحات، وقاعدة مهمة للعمليات العسكرية. فهي تمثل نقطة ارتكاز في الإستراتيجية العسكرية، ونقطة تجمع أو شريان حيوي بالنسبة للشرق والغرب الليبي. أما بالنسبة للاحتلال الإيطالي فإنها بؤرة للمقاومة أحالت حياة جنوده إلى الجحيم، وألهبت روح الثورة في كل مناطق ليبيا.

2- الانتفاضة الشاملة، التي قلصت النفوذ الإيطالي في حيز صغير ومحدود لا يتعدى خط سرت ومصراته وبني وليد وعلى طول سلسلة الجبل الغربي بما في ذلك غدامس ومزده.

3- تحفز المجاهدين للانتفاضة في مواجهة هذا الخط الذي كان يمثل أقصى امتداد للنفوذ الإيطالي نحو الجنوب، فقد تواجد المجاهدون في عدة مناطق في قصر أبو هادي وجنوب مصراته وسلسلة الجبل الغربي حتى غدامس.

4- رغبة القوات الإيطالية في توجيه ضربة قاصمة لليبيين لاسترداد مكانتها العسكرية أمام الدول الأوروبية وخدمة للأغراض التالية :-

1. رفع معنويات الجنود الايطاليين في الساحة الإيطالية، الذي أصبح يتلقى أنباء

هزائم قواتهم في ليبيا، مما أثر سلبياً على معنوياتهم.

2. تثبيت الوجود الإيطالي الاستعماري على الأراضي الليبية.

3. نشوب الحرب العالمية الأولى ودخول إيطاليا إلى جانب الحلفاء لتحقيق مصالح مشتركة والثأر من النمسا التي كانت لا تزال تحتل مناطق إيطاليا.

الإعداد لمعركة القرضابية

عاد العقيد مياني من روما بعد تدارس الأوضاع لإعداد حملة عسكرية دون مطالبة الحكومة المركزية بجنود جدد. وبدأ في الإعداد لحملة القرضابية حيث كانت سرت مركز تجمع المجاهدين. وقد اشتملت في مجموعها على أكثر من ستة آلاف مسلح، 250 فارس عدا المدفعية وقوافل الإمدادات وكانت تلك القوات خليط من الإيطاليين والأحباش والاريتريين والمجندين الليبيين الذين جندتهم السلطات الإيطالية من مصراتة وترهونة وزليطن وورفلة[19].

خط سير الحملة

تحركت القوات الإيطالية بقيادة الجنرال مياني من مصراتة في شهر ابريل 1915 م، وتمركزت في القداحية ثم تحركت من قواعدها هناك يوم 24 من نفس الشهر، فاشتبكت في معركة قصيرة مع طلائع المجاهدين عند أبي شناف ثم واصلت زحفها تجاه القرضابية حيث كانت ترابط قوى المجاهدين.

وما كادت القوات الإيطالية تصل إلى القرضابية يوم 28 من نفس الشهر، حتى بادرها المجاهدون بالهجوم وركزوا هجومهم على الجناح الأيسر الذي كان يتكون من المجندين الليبيين اللذين سرعان ما انضموا إلى قوة إخوانهم المجاهدين وإلتفوا على القوة الإيطالية بكل ثقلهم.

مما أوقع بالقوات الإيطالية خسائر فادحة فقد بلغ عدد القتلى نحو 500 قتيل و 462 جريح كما سقط في هذه المعركة 18 ضابطاً وجرح منهم 25 كان من بينهم العقيد مياني نفسه، وفقدت الحملة كل ذخائرها ومعداتها فقد غنم المجاهدون ألف بندقية و11 قطعة مدفعية وعدد من الرشاشات وكميات من المؤن والذخائر، كانت لهم خير عون في معاركهم بعد ذلك ضد هؤلاء المحتلين، وسجلت هذه المعركة أُفول نجم مياني ونهايته على مسرح العمل العسكري الإيطالي.

نتائج معركة القرضابية على المستويين الوطني والدولي

1- إذكاء روح المقاومة الوطنية التي انتشرت في كافة أنحاء البلاد.

2- حصول المجاهدين على أعداد كبيرة من المعدات والأسلحة والغنائم الأخرى.

3- انسحاب القوات الإيطالية من كافة المناطق الداخلية واقتصارها على المدن الساحلية وتكدسوا في حلقة ضيقة من الأسلاك الشائكة.

4- تعزو المصادر الإيطالية مسؤولية الهزيمة إلى انقلاب المجندين الليبيين في اللحظة الحاسمة، وينسبون هذه الهزيمة إلى رمضان السويحلي.

5- توحدت في هذه المعركة لأول مرة القوى الوطنية في شرق البلاد وغربها.

6- مثلث هذه المعركة الشرارة الأولى في مرحلة حركة التطهير التي عمت بعد ذلك جميع أجزاء ليبيا وأخذت في محاصرة الحاميات والقوات الإيطالية.

7- كان لمعركة القرضابية صدى واسع في الأوساط الدولية، حيث أثارت تلك الهزيمة السخرية من الحكومة الإيطالية خاصة في أوساط الحلف الثلاثي : (إيطاليا، ألمانيا، النمسا). أما بالنسبة لحكومتي بريطانيا وفرنسا فقد زعزعت هذه الهزيمة ثقتها بحليفتهما إيطاليا. ونشرت الصحافة العالمية، ما تكبدته الحكومة الإيطالية من خسائر في الأموال والأرواح.

8- حملت الحكومة الإيطالية العقيد مياني، مسؤولية ما لحق بها من هزيمة في معركة القرضابية.

9- بدلت الحكومة الإيطالية قصارى جهدها لتلفت انتباه شعبها نحو حروب أوربية كي تلهيها عن شبح هزيمة القرضابية.

10- قيام الجمهورية الطرابلسية في 16 نوفمبر 1918 م أول جمهورية في تاريخ الوطن العربي المعاصر.

11- كان لانتصار المجاهدين في معركة القرضابية أثره الكبير في إشعال الانتفاضة في الجنوب التونسي ضد الاحتلال الفرنسي، فأمدهم الليبيون بالسلاح واشتركوا معهم في عدة معارك. كما شارك التونسيون في معارك وطنية داخل التراب الليبي.

12- هبت الحركة الوطنية في مصر، لتحرك قوات أحمد الشريف على حدود مصر

ومهاجمة القوات البريطانية.

13- اقتنعت الحكومة الإيطالية بعدم جدوى العمل العسكري المباشر فلجأت إلى الطرق السياسية الخبيثة، بإتباع سياسة فرق تسد (divide and rule)، وعملت على إثارة الفتن والانشقاق بين صفوف الزعماء واستمالة بعض العناصر.

14- أثارت هذه المعركة ردود فعل في أوساط الحكومة الإيطالية، وتم تشكيل لجنة عليا لبحث أسباب الهزيمة.

هوامش الفصل السادس :

1- رفعت عبد العزيز ،الجهاد الليبي في عشر سنوات 1912-1922 ،القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة ،1982، ص 103.

2 □1911-1931 ،ليبيا – تونس ،الدار العربية للكتاب ،1980، ص455.

3- الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 198.

4- مركز دراسة جهاد الليبيين ،قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الايطالي ،، 1911-1943 ،جمع وتحقيق حبيب وداعة الحسناوي ،طرابلس، 1988، ص 33

5- باولو مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، تعريب : عبد الرحمن العجيلي ،طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ،،ط2 ،1992، ص 150-151 ،وأنظر أيضا عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تعريب :عبد السلام أدهم، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1 ،1969، ص 215 ز

6- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 224.

7- إبراهيم سليمان الضراط، جهاد ليبيا الدبلوماسي فب أروقة الأمم المتحدة، ط1 ،مصراته، دار المنار للطباعة والاعلان، 2012، ص 31.

8- قصة جهاد الليبيين، مرجع سابق، ص 66-67.

9- مصطفى حامد رحومة، مرجع سابق، ص158.

10- قصة جهاد الليبيين، مرجع سابق، ص120-127.

11- الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 124.

12- عقيل محمد البربار، مرجع سابق، ص 118.

13- مصطفى حامد رحومة، مرجع سابق، ص330.

14- الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 157-160.

15- المرجع نفسه، ص 616.

16- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص101-102.

17- أحمد عطية مدلل، مقاومة الليبيين ضد الاستعمار الايطالي، مجلة الشهيد، طرابلس العدد الثالث، ص 47.

18- المرجع نفسه، ص31.

19- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص140.

الفصل السابع:

الحرب العالمية الأولى
وأثرها على حركة الجهاد الليبي

- المبحث الأول: أثر الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في المنطقة الشرقية من ليبيا
- المبحث الثاني: أثر الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في المنطقة الغربية من ليبيا
- المبحث الثالث: محاولة الدولة العثمانية الاتصال بزعماء المجاهدين عام 1916م
- المبحث الرابع: مؤتمر مسلاته وقيام الجمهورية الطرابلسية 1918م.

- المبحث الأول: أثر الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في المنطقة الشرقية من ليبيا

قررت الدولة العثمانية في الثاني من نوفمبر 1914 م الدخول مع دول المحور أثناء قيام الحرب العالمية الأولى، لذلك وجدت هذه الدولة نفسها في نزاع حربي من جديد مع الحكومة الإيطالية التي كانت في المعسكر المضاد ضمن دول الحلفاء. فبادرت حكومة إستانبول إلى إعلان الجهاد المقدس ضد دول الحلفاء، مستغلة الروابط الدينية في مناشدة المسلمين أينما كانوا لمؤازرتها والدفاع عنها إعلاء لكلمة الله وحماية الإسلام حسب قولها.

في إطار هذه السياسة، اتصلت الحكومة العثمانية بعدد من الأعيان والوجهاء الليبيين، حيث أرسل وزير الحربية العثماني (أنور باشا) إلى الشيخ أحمد الشريف، أخاه نوري باشا يحمل فرمان السلطان الذي قرر منحه بالنيابة عنه في إفريقيا النفوذ المدني والعسكري وحق إعطاء الرتب والنياشين والعفو عن المحكومين وحق التولية والعزل دون الرجوع إلى استانبول.

كما جاء إلى ليبيا الضابط الألماني (مانسمان) حاملاً معه كتاباً ونيشاناً رفيعاً من الإمبراطور الألماني، إلى الشيخ أحمد الشريف، وجاء أيضاً عدد من الضباط العرب الموالين لتركيا منهم الضابط العراقي جعفر العسكري، الذي أصبح قائداً للكتيبة الخاصة بنائب الخليفة، والشيخ سليمان الباروني (عضو مجلس المبعوثان العثماني) وعبد الرحمن عزام والشيخ محمود سوف المحمودي.

هكذا عادت القوات العثمانية مرة أخرى إلى ليبيا أثناء الحرب العالمية الأولى واتخذت برقة ميداناً لإرسال قواتها العسكرية، لمحاربة القوات البريطانية في مصر. وأرسلت الحكومة العثمانية عدداً من الدعاة إلى الشيخ أحمد الشريف، لحثه على الهجوم على القوات البريطانية من جهة الشرق (بلاد الشام).

كذلك قامت السلطات البريطانية في مصر بإرسال الكتب والهدايا للشيخ أحمد الشريف، مرفقة برسائل الود والاحترام، وأبدت هذه السلطات استعدادها للاعتراف به سياسياً، وبإعطائه بعض الواحات المصرية في حالة التزامه الحياد لضمان حماية مؤخرة قواتها. أمام مستجدات أحداث الحرب العالمية الأولى، كان موقف الشيخ أحمد الشريف حرجاً فهو يريد مجاملة السلطات البريطانية في مصر، لتأمين سلامة حدود

ليبيا الشرقية، ولقضاء حاجيات المجاهدين التي كانت تصل إليهم من مصر، كما أن هذه السلطات تركت المجاهدين يبيعون بعض غنائمهم التي غنموها من القوات الإيطالية في ميناء السلوم. أما الضباط الأتراك بالتعاون مع بعض الضباط الليبيين من أمثال: أحمد مختار الطرابلسي وأبو القاسم العيساوي فقد أصدروا أوامرهم باسم الشيخ أحمد الشريف، بإعلان الحرب على القوات البريطانية وأغاروا على تلك القوات المرابطة في ميناء السلوم في أوائل نوفمبر 1915 م.مما أثار حفيظة قيادة الحامية البريطانية في مصر والتي كانت تمتلك قوات ضخمة موزعة في الإسكندرية والقاهرة وقناة السويس وبذلك بدأت الحرب بين القوات البريطانية في مصر وبين القوات الليبية التي كانت تحت إمرة الشيخ أحمد الشريف، وتطورت الأمور لدرجة التأزم.

غير أن السلطات البريطانية في مصر رأت أن تعالج هذه الأزمة بطريقة دبلوماسية. فشكلت وفداً من بعض المصريين والبريطانيين قابل الشيخ أحمد الشريف ونصحه باستخدام العقل وعدم الميل إلى أهواء الأتراك والألمان وأن مصلحته تقضي التزامه بالحياد. وفي حالة التزامه بذلك، فإن الحكومة البريطانية سوف تساعده في الحصول على الاستقلال غير أن الطرفين لم يتوصلا إلى اتفاق.

انتدب الشيخ أحمد الشريف، الضابط العراقي جعفر العسكري لثقته فيه، لتهدئة الوضع في المواقع الأمامية الحدودية (الليبية – المصرية)، لكنه استغل هذه الثقة وقام بشن عدة هجمات على المواقع الحدودية للقوات البريطانية تطورت إلى المعارك التي بدأت في نوفمبر

1915 م واستمرت حتى مارس 1916 م وكان عدد القوات البريطانية التي شاركت في هذه المعارك فيما بين (30 – 35) ألف جندي. وعدد القوات الليبية، ما بين (5-9) آلاف مسلح بالإضافة إلى عدد من الطرادات والسفن والغواصات الألمانية التي شاركت إلى جانب القوات الليبية ضد نظيرتها البريطانية. تمكنت القوات البريطانية من إلحاق الهزيمة بالقوات الليبية – التركية، وترتب على ذلك عدة نتائج عسكرية، سياسية واقتصادية منها ما يلي:-

1- إيقاف حركة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي في منطقة برقة لمدة طويلة منذ أواخر 1915 حتى 1923.

2- إهدار إمكانات المجاهدين.

3- إجبار السلطات البريطانية الشيخ أحمد الشريف على التخلي عن قيادة الحركة الوطنية في المنطقة الشرقية، حيث غادر ليبيا إلى استانبول عام 1917 م.فتولى الزعامة من بعده ابن عمه ا لشيخ محمد إدريس السنوسي، وكانت البلاد تمر في ظروف صعبة للغاية فقد قامت القوات البريطانية بقفل الحدود الليبية- المصرية وشددت الحصار عليها وكذلك تم التنسيق مع السلطات الايطالية بمحاصرة الساحل الليبي ببوارجها الحربية، هكذا فقدت البلاد مصادر تمويلها الرئيسة وكانت ليبيا تمر بسنوات عجاف فانتشرت المجاعة ومات عدد كبير من النفوس وهلكت الحيوانات، فلم يكن أمام الشيخ محمد إدريس السنوسي لإنقاذ الناس سوى العمل على فك الحصار المطبق، فطلب الاجتماع بالسلطات البريطانية، طالبا منها فك الحصار، استجابت تلك السلطات بشرط أن يتم اجتماع ثلاثي بين ممثلين عن السلطات الايطالية والبريطانية والليبية، وتم اللقاء في منطقة الزويتينة يوم 20 يوليو 1916 نتج عنه اتفاق تضمن ما يلي

1-إنهاء حالة الحرب بين الطرفين وسيادة السلام.

2-اعتراف السلطات الايطالية باستقلال السنوسيين في حدود منطقة برقة

4- يتم فتح طرق التجارة.

5- يتمركز الايطاليون في النقاط الساحلية فقط.

6- رسم وتعيين الحدود الخاصة بالطرفين.

7- اعتراف السلطات الايطالية بإدريس زعيما للسنوسية في اقليم برقة

غير أن الإدارة الايطالية رفضت تلك الاتفاقية

وسرعان ما تجددا للقاء بين الأطراف الثلاثة في منطقة عكرمة القريبة من مدينة طبرق وعقدت اتفاقية عكرمه في يناير 1917 م، اتفاقية الرجمة 1920 م، واتفاقية أبو مريم 1922 م(3).

- المبحث الثاني: أثر الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في المنطقة الغربية من ليبيا

نتيجة الهزائم التي لحقت بالقوات الإيطالية في معركة قاهرة بسبها عام 1914 م،

ومعركة القبلة في وادي مرسيط 1915م. وجاءت معركة القرضابية في 28 أبريل من نفس العام تتويجاً لجهاد الليبيين بنصر مبين، فبعد هزيمة القوات الإيطالية في هذه المعركة ظهر ما يسمى بحركة التطهير، فما هي هذه الحركة ؟

حركة التطهير

هي حركة وطنية، اشتعلت في المنطقة الغربية من ليبيا ضد المحتلين الإيطاليين بصورة شمولية حيث انطلقت هذه الحركة في 18 مايو 1915 م لمحاصرة تاورغاء ومصراتة بقيادة رمضان السويحلي مما اجبر القوات الإيطالية للخروج منها يوم 5اغسطس من نفس العام وفي يوم 6 مايو ضرب المجاهدين حصارا على الحامية الإيطالية في بني وليد وفشلت كافة المحاولات الإيطالية لفك الحصار عنها فاستسلم قائدها النقيب بريقنتي (prikinti) وشنق نفسه بعد أن علم بقتل زوجته، وفي نفس الوقت حاصر المجاهدون، القوات العسكرية الإيطالية المتواجدة في زليطن، فاضطرت السلطات الإيطالية إلى نقلها بحرا إلى الخمس وطرابلس. أما حامية مصراتة البحرية فقد نقلت إلى طرابلس يوم 24 يوليو من نفس العام.

وبالنسبة للحاميات الإيطالية المتواجدة في مناطق الجبل الغربي،فقد انسحبت حاميات الجوش وفيساطو يوم 6 يوليو من نفس العام ووصلت إلى زواره يوم 10 منه، وهرب أفراد حامية يفرن إلى العزيزية يوم 11 منه، اضطرت حامية الزنتان للاستسلام بعد قتل معظم رجالها في اليوم ذاته.

ولم ينقذ حاميتا نالوت وغدامس من الهلاك إلا تدخل وزارة المستعمرات الإيطالية التي طلبت من السلطات الفرنسية في تونس بالسماح لهما بالانسحاب عبر الأراضي التونسية في أواخر شهر أغسطس 1915 م، وهربت حامية مزده إلى غريان وبعدها للعزيزية فطرابلس يوم 9 يوليو من نفس العام.

وفي ترهونة تمكن المجاهدون خلال شهر مايو 1915 من القضاء على أعداد كبيرة من القوات الإيطالية من خلال معارك الشقيقة ووادي ملغة وسوق الأحد وسيدي الوليد.

وخلال شهر يوليو من نفس العام خاض المجاهدون عدة معارك تطهيرية في كثير من المدن :- الزاوية، العزيزية، قصر بن غشير، العجيلات، سرت وغيرها. وهربت الحاميات الإيطالية إلى طرابلس فانحصر وجودها في مدينتي الخمس وطرابلس.

- المبحث الثالث: محاولة الدولة العثمانية الاتصال بزعماء المجاهدين عام 1916م

حاولت الحكومة العثمانية الاستفادة من تنامي حركة الجهاد الليبي ضد الوجود الاستعماري الإيطالي فاتصلت ببعض زعماء المجاهدين وعينت الشيخ سليمان الباروني نائباً عن السلطان (محمد رشاد خان) الذي وصل من استانبول إلى مصراتة في 15 أكتوبر 1916 م على ظهر غواصة ألمانية وبعد يوم من وصوله اتصل برئيس المجاهدين بالعزيزية الشيخ محمد سوف.

بعد ذلك دخل سليمان الباروني طرابلس وتجول في عدة مناطق واجتمع بعدد من الأعيان واتخذ من مدينة الزاوية الغربية مقراً لإدارته، وقد تركزت مهمته بعد ذلك فيما يلي:-

1- تنفيذ كافة الأوامر الصادرة عن الدولة العثمانية.

2- العمل على عثمنة ولاية طرابلس بالكامل، ومحاولة إعادة تنظيمها إلى ما كانت عليه في العهد العثماني الثاني.

3- توحيد الصف الوطني بالعمل على إنهاء الخلافات التي كانت قائمة بين زعماء المجاهدين.

4- التعريف بالقضية الطرابلسية والمطالبة بتحرير البلاد.

5- تنظيم الأمور العسكرية ورفع مستوى التدريب والاهتمام بتحسين الأوضاع الاقتصادية.

6- إصدار عدة قوانين لتنظيم الشؤون الداخلية والخارجية.

وفي هذه الأثناء حاولت القوات الإيطالية أن تقوم بعملية استرداد للمناطق التي حررها المجاهدون خلال حركة التطهير السابقة. وكان للسياسة التي انتهجها الكثير من الزعماء في مناطقهم أثر كبير في جمود جبهة الخمس _ طرابلس. فكان رمضان السويحلي في مصراتة، وعبد النبي بالخير في ورفله، وأحمد المريض في ترهونة، والهادي كعبار في غريان وغيرهم من الزعامات في سائر المناطق، حاول كل زعيم الاستقلال والاحتفاظ بقواته داخلها لحمايتها فلم تكن هناك قيادة موحدة.

كذلك تقاعست الحكومة العثمانية عن تزويد المجاهدين بالسلاح والعتاد الحربي رغم

الوعود المتكررة. بالإضافة إلى ما جرى في عام 1917 من قحط وجفاف حتى أنه أطلق على هذا العام « **بعام الشر**».

وكانت أكثر الجبهات اشتعالاً، هي جبهة منطقة زواره التي دارت فيها عدة معارك حول العجيلات فيما بين عام 1916 – 1918 م. أما منطقة الجنوب فقد أرسل إليها القائد العثماني نوري باشا (ممثل الدولة العثمانية في ليبيا) حملة عسكرية عام 1917م تمكنت من السيطرة على فزان وظلت القوات العثمانية هناك حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة دول المحور حيث عادت إلى طرابلس وتم ترحيلها إلى إستانبول.

- المبحث الرابع: مؤتمر مسلاته وقيام الجمهورية الطرابلسية 1918 م

مع نهاية الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء اضطرت الدولة العثمانية إلى توقيع اتفاقية هدنة مودروس (باليونان) يوم 31 أكتوبر 1918 م، فقرر ممثل الدولة العثمانية في ليبيا (الأمير عثمان فؤاد) مغادرة البلاد تلبية لأوامر حكومته، لكنه لم يتمكن من ركوب الغواصة التي أرسلت له بسبب سوء أحوال البحار فقرر العودة إلى صفوف قادة المجاهدين المتواجدين في مصراتة وهم:-

رمضان السويحلي، المختار كعبار، سليمان الباروني، ومعهم السياسي المصري عبد الرحمن عزام. وتم طرح جملة أراء حول مستجدات الأحداث، فساد الرأي القائل بضرورة تشكيل حكومة وطنية.

ولاشك أن ما أعلنته الحكومة السوفيتية حول تقرير القوميات لمصائرها. وما صرح به رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) في 5 يناير 1918 م حول تقرير المصير للأراضي المحتلة ومبادئ ولسون (الرئيس الأمريكي) الأربع عشر ومنها حق تقرير المصير للشعوب قد شجع المؤتمرون على التفكير في هذا الأمر.

سارع المجتمعون إلى تبادل الآراء والاستشارات، وانتهت إلى تحديد عقد مؤتمر يضم الزعماء والقادة والأعيان والمشايخ، وتم اختيار مسلاته مقراً لانعقاده.

وفي يوم نوفمبر 1918 م تم انعقاد هذا المؤتمر بجامع المجابرة بمدينة القصبات ودارت مناقشات حادة أفرزت ثلاثة اتجاهات وهي :-

الاتجاه الأول:- كان يدعو إلى اتخاذ نظام جمهوري لأنه المناسب لطبيعة التركيبة الاجتماعية في البلاد. ويقف إلى جانب هذا الاتجاه، سليمان الباروني، رمضان السويحلي،

عبد النبي بالخير، ومختار كعبار (4).

أما الاتجاه الثاني:- فكان يدعو إلى النظام الأميري ويرى أنصاره أن الزعامات القبلية لا تلتقي على زعيم واحد لكنها قد تتقبل الإمارة ويمثل هذا الاتجاه أحمد المريض، والشيخ محمد سوف المحمودي، وابن تنتوش. في حين كان الاتجاه الثالث بخط بارز يدعو إلى إتباع سياسة المسايرة واللين مع السلطات الإيطالية على طريقة التفاوض (سياسة خذ وطالب) وكان من أنصاره «عبد القادر الغناي، حسن المغربي ومحمد فرحات الزاوي[5].

وقد عقّب عبد الرحمن عزام على المناقشات فأكد على ضرورة توحيد الصفوف واقترح إقامة حكومة وطنية جمهورية، وحظي هذا الاقتراح بتأييد أغلبية الحضور[6]. وخرج المؤتمرون بعدة قرارات منها:-

1- تشكيل حكومة وطنية لإدارة شؤون البلاد العامة والعسكرية تدعى باسم الجمهورية الطرابلسية.

2- تشكيل مجلس إدارة الجمهورية في 17 من نفس الشهر يتكون من أربعة أشخاص هم:- رمضان السويحلي، سليمان الباروني، أحمد المريض وعبد النبي بالخير.

3- اتخاذ العزيزية مركزاً لمجلس الجمهورية الطرابلسية.

4- تشكيل مجلس شورى يتكون من أربعة وعشرين عضواً، كان برئاسة المجاهد الشيخ محمد سوف المحمودي وضم معظم قادة الجهاد.

5- تشكيل مجلس شرعي من العلماء للحكم وفق الشريعة الإسلامية.

بعد ذلك صدرت عدة بلاغات تحمل نبأ الإعلان عن قيام الجمهورية الطرابلسية، وتطالب الدول بالاعتراف بها، كذلك كانت البلاغات موجه إلى رئيس الحكومة الأمريكية ورئيس الوزراء البريطاني وإلى حكومة الثورة الفرنسية وغيرهم، وكان إرسال تلك البلاغات عن طريق قناصل تلك الدول في طرابلس. باستثناء البلاغ الموجه للحكومة الإيطالية. حيث قام وفد من هيئة الجمهورية الطرابلسية برئاسة مختار كعبار بمقابلة العقيد بيتساري قائد منطقة الخمس المحتلة وتسليم البلاغ له يوم 18 نوفمبر من نفس العام، عارضاً عليه المطالب الأساسية فتقبل هذا الطلب ووعد بالاتصال السريع بحكومته لإبلاغها بذلك. كان رد الوزير المسؤول عكس موقف الحكومة الرافض للمطالب الوطنية بقوله «ليس لي رد على الكتاب المقدم من الثوار للعقيد بيتساري» [7].

لقد رأى أعضاء المجلس الرئاسي للجمهورية الطرابلسية أن يقيم كل في منطقة نفوذه، عبد النبي بالخير في ورفله، رمضان السويحلي في مصراتة، أحمد المريض في ترهونة، سليمان الباروني في العزيزية. وتولى قيادة جيش الجمهورية عبد القادر الغناي وهو من مواليد بنغازي، تعلم في المدارس التركية وتقلب في وظائف الجيش التركي حتى وصل إلى رتبة أميرالاي [8]. واتخذ من الزاوية مقراً لقيادته العسكرية.

أمام واقع هذه الجمهورية يمكننا القول بأنها ولدت ميتة إذ لا يعقل أن تعيش جمهورية يتقاسمها أربعة زعماء كل واحد وراءه عصبية قبيلته ولم يكن يوجد تنسيق بين مجلس إدارة هذه الجمهورية.

بالإضافة إلى الدور التخريبي الذي لعبه المكتب السياسي الإيطالي بطرابلس في بث الفتنه بين زعامات الشعب الليبي.

صلح سواني بني يادم (خلة الزيتونة) قرب العزيزية

أمام صمود المجاهدين الليبيين لجأت السلطات الإيطالية إلى سياسة التفاوض التي بدأت يوم 10 مارس 1919 م في خلة الزيتونة وكان الوفد الليبي برئاسة الهادي كعبار، أما الوفد الإيطالي فكان تحت رئاسة "تارديتي" (مدير المكتب السياسي الإيطالي بطرابلس).

بعد عدة جلسات توصل الطرفان إلى اتفاق مبدئي يوم 21 إبريل من نفس العام على أن يعرض على ملك إيطاليا لإقراره وقد تمت الموافقة على بنود هذا الصلح في الأول من يونيو 1919 م. الذي عرف فيما بعد بالقانون الأساسي لطرابلس. كان هذا القانون بمثابة الدستور يتكون من أربعين مادة منها:

- **المساواة** بين المواطنين والإيطاليين في الحقوق السياسية والمدنية، في الحرية الشخصية وحرية الطبع والاجتماع والتعليم الخاص و وجوب التعليم في طرابلس باللغة الغربية في المرحلتين الأولى والمتوسطة والاعتراف بالاستقلال الذاتي لطرابلس تحت الحكم الملكي الإيطالي، وتشكلت حكومة عرفت بحكومة القطر الطرابلسي في 1 يونيو 1919م وانتهت بذلك الجمهورية الطرابلسية.

وبغض النظر عن سلبيات هذا الصلح الذي جاء في فترة كان المجاهدون فيها أقوى من أي وقت مضى فإن السلطات الإيطالية لم تكن جادة في أية اتفاقات تعقدها مع الطرف الليبي، بل نتيجة لظروف سياسية أو عسكرية طارئة فإذا زالت تلك الظروف تحللت مما وقعت عليه.

دخول حكومة القطر الطرابلسي طرابلس عام 1919 م

طبقا للقانون الأساسي السابق تم تشكيل حكومة القطر الطرابلسي من عشرة أعضاء برئاسة الحاكم الإيطالي فولبي. وجرى اختيار ثمانية منهم أثناء انعقاد مؤتمر مصغر في ترهونة، في حين اختار الحاكم الإيطالي العضوين الآخرين، وتولى رمضان السويحلي تقديم قائمة أسماء هؤلاء الأعضاء للحاكم الإيطالي في مهرجان كبير شارك فيه مئات المجاهدين بأسلحتهم ووضعت الترتيبات لدخول أفواج المجاهدين بأسلحتهم مدينة طرابلس في 4 سبتمبر 1919 م في مظاهرة شعبية اشترك فيها ما يزيد على خمسمائة فارس طافوا شوارع مدينة طرابلس وكانت النسوة تزغرد وتردد الأغاني منها « ينصر جيش الجمهورية اللي خلى الطليان رعية» [9].

غير أن هذا المؤتمر لم يحظ بمشاركة بعض زعماء المناطق كالزعيم سليمان الباروني **وازداد في هذه الأثناء نفوذ كل من** رمضان السويحلي وأحمد المريض، وتقرر في 30 من ذات الشهر إنشاء حزب الإصلاح الوطني برئاسة أحمد المريض وممثله الشريف رمضان السويحلي. وكانت صحيفة اللواء الطرابلسي تعبر عن أراء هذا الحزب الوطنية والسياسية. كما سمحت السلطات الإيطالية بظهور بعض الصحف التي دافعت بشكل نسبي عن المصالح الوطنية غير أن هذه السلطات كعادتها لم يكن يتوفر لديها حسن النية، منذ توقيع القانون الأساسي، الذي لم يكن يلبي طموحات الشعب الليبي، ومع ذلك فإن تلك السلطات أخذت تتباطأ في تنفيذه وتحاول اختراع تفاسير لبعض بنوده بهدف كسب الوقت، واستمر المكتب السياسي الإيطالي بطرابلس في مواصلة نشاطه التخريبي، لبث الفتنة والفرقة بين الزعماء الوطنيين. كذلك كان لأحداث الجبل الغربي التي انتهت بنهايات مؤسفة، مما أثر سلبياً على حركة الجهاد سياسياً وعسكرياً وتطلب ذلك توحيد الجهود مرة أخرى وتجاوز الخلافات بين رفاق السلاح والأوضاع المتدهورة فتمت الدعوة إلى عقد مؤتمر لتدارس الأوضاع فكان مؤتمر غريان الذي ساهم عبد الرحمن عزام بور كبير في الدعوة والاعداد له وعين مستشارا لهذا المؤتمر.

مؤتمر غريان

اجتمع بعض من زعماء البلاد في غريان يوم 20 نوفمبر 1920 م لحل المشاكل التي كانت قائمة، ورفض حضور هذا المؤتمر كل من قبائل الزنتان وأولاد أبو سيف والمشاشة

وسليمان الباروني احتجاجا على انتشار الفتنة كما رفض عبد النبي بلخير الحضور مكتفياً بإرسال العيساوي أبو خنجر وعبد الرحمن زبيدة نيابة عن ورفله، وعلى الرغم من ذلك كله فقد انعقد هذا المؤتمر وأصدر المؤتمرون عدة قرارات منها [10] :

1- انتخاب حكومة وطنية سميت هيئة الإصلاح المركزية برئاسة أحمد المريض بالإضافة إلى ثلاثة عشر عضواً وكان مستشارها عبد الرحمن عزام، و استأنفت المفاوضات مع السلطات الإيطالية التي لم تسفر عن شيء يذكر.

2- إرسال وفد إلى روما لإبلاغ الحكومة الايطالية بما تم في المؤتمر وللمطالبة باستغلال البلاد.

سافرالوفد الليبي إلى روما في يناير1921 ،وقد اشترطت ايطاليا لاستقبال هذا الوفد إطلاق سراح عدد من الضباط الايطاليين المسجونين في مصراته، وقد تم بالفعل إطلاق سراح هؤلاء كمبادرة حسن نية من زعماء الجمهورية الطرابلسية (11)

فعلى الرغم من أن غالبية أعضاء هيئة الإصلاح كانوا يمثلون الفئة المعتدلة، ويدعون للتفاهم مع السلطات الإيطالية إلا أن هذه السلطات أقامت العراقيل في وجه هؤلاء الأعضاء قبل ذهابهم إلى العاصمة الايطالية (روما)، وهناك واجهوا العديد من المشاكل وظلوا نحو تسعة أشهر ثم عادوا في أواخر 1921 م، حيث وجدوا أن الأمور قد ازدادت سوءاً وتجددت الحروب الأهلية في منطقة الجبل الغربي.

مؤتمرسرت 21 يناير 1922

أمام مستجدات الأحداث وقيام السلطات الايطالية بالسعي لبث الفتنة ومحاولة شق الصفوف بين أبناء الشعب الليبي لتحقيق أطماعها الامبريالية رأى زعماء البلاد العمل على توحيد البلاد لموجهة الاحتلال فدعوا إلى عقد هذا المؤتمر ،وقد شارك فيه وفد معيّن من أمير برقة ووفد معيّن من من هيئة الإصلاح برئاسة أحمد المريض، نتج عن هذا المؤتمر عدة قرارات منها (12) :

1- توحيد الصفوف ضد العدو الايطالي وانشاء قيادة موحدة لكل ليبيا

2- انتخاب مجلس دستوري لانشاء القوانين الأساسية، وأن يجتمع مرتين في العام لتدارس شؤون ليبيا.

3- قبول الاتفاقية من الحكومة الطرابلسية وحكومة برقة.

هوامش الفصل السابع:

1- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص 166.

2- مصطفي أحمد بن حليم (رئيس وزراء ليبيا الأسبق) ليبيا، انبعاث أمة وسقوط دولة، ط1 ،كولونيا (ألمانيا) ،منشورات الجمل، 2003، ص 117.

3- المصدر نفسه، ص 117- 123.

4- عمر سعيد بغنى، الجمهورية الطرابلسية، مجلة الشهيد، طرابلس، العدد الثاني، 1981، ص 48.

5- المرجع نفسه، ص 50.

6- بروشين، مرجع سابق، ص 168.

7- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص 201.

8- الطاهر أحمد الزاوي،مرجع سابق، ص 337.

9- قصة جهاد الليبيين، مرجع سابق، ص 69.

10- محمد المرزوقي، عبد النبي بلخير داهية السياسة وفارس الجهاد، ليبيا-تونس: الدار العربية للكتاب ط1، 1978وص 153.

11- إبراهيم سليمان الضراط، مرجع سابق ، ص 36-37.

12- المرجع نفسه، ص 37-38.

الفصل الثامن :

تنامي حركة الجهاد الليبي وموقف الفاشية الإيطالية منها 1923 – 1931 م

- المبحث الأول: عمر المختار، بدايته الأولى وخلق جبهة موحدة
- المبحث الثاني: نظام الأدوار وتطبيق فكرة الشعب المسلح
- المبحث الثالث: الفاشية الإيطالية تحاول القضاء على حركة المجاهدين بعدة وسائل منها:

أولاً- احتلال المنطقة الغربية الساحلية من طرابلس حتى بن وليد

ثانياً- زحف القوات الإيطالية نحو القبلة والجنوب

ثالثاً- القضاء على حركة المجاهدين في المنطقة الشرقية

- المبحث الأول: عمر المختار، بدايته الأولى وخلق جبهة موحدة

هو عمر بن مختار بن فرحـات من عائلة غيث من قبيلة بريدان، إحدى بطون المنفه، واسم والدته عائشة بنت محارب ولد بالدفنية بمنطقة البطنان في الفترة ما بين عامي 1861 – 1862 م، غير أنه من خلال إفادته في المحكمة الفاشية عام 1931 م عندما سؤل عن عمره فقال 73 سنة بمعنى أنه من مواليد عام 1858 م.

توفي والده وهو في سن السادسة عشر، نشأ بالبادية، ودرس القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية في زاوية جنزور وزاوية الجغبوب. تعلم بعض المهارات والحرف مثل النجارة والحدادة والبناء والزراعة، كما تلقى بعض التدريبات العسكرية وفنون القتال فأظهر براعة خاصة في ميدان القتال والفروسية. وفي عام 1902 م عين شيخ لزاوية القصور بالبيضاء، فقام بتعليم الأولاد وأكرم من كان يأوي إلى تلك الزاوية من الفقراء وعابري السبيل. ثم عين شيخ لزاوية كلك في تشاد 1904 م وهناك شارك في محاربة المحتلين الفرنسيين لهذه البلاد. كما ساهم في نشر الإسلام في تلك المناطق.

وفي عام 1906 م رجع إلى زاويـة القصور بناءً على طلب الشيخ أحمد الشريف فشارك في المعارك التي نشبت في منطقة بنينه وبنغازي مع بداية الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911 م.

وبمجرد وصول الحزب الفاشي للسلطة في إيطاليا في 28 أكتوبر 1922 م ألغت الحكومة الفاشية كافة الاتفاقيات المعقودة مع الجانب الليبي وبدأت القوات الإيطالية في تصفية معسكرات المجاهدين بالقوة.. هنا برز دور الشيخ عمر المختار كقائد فذ وضع بصماته على فترة امتدت من 1923 إلى 1931 م، حتى صار من المسلم به إطلاق اسمه عليها فصارت تعرف في تاريخ حركة الجهاد الليبي خاصة في المنطقة الشرقية بفترة جهاد عمر المختار ومعاونيه الأربعة وهم: يوسف أبو رحيل والفضيل أبو عمر وعثمان الشامي وعبد الحميد العبار.

لقد كان الشيخ عمر المختار على معرفة واسعة بنظام القبيلة فساهم في حل نزاعاتها فقد تمكن بقدرة فائقة من حل المشاكل بين قبائل البراعصة، الدرسة، الحاسة، والعيبدات.

كما كان يتمتع بموهبة في الحكم وقدرة خارقة في الإدارة وكانت له هيبة أكسبته احترام خصومه ومؤيديه حياً وميتاً [3].

كل هذه المؤهلات الشخصية وغيرها، مكّنت الشيخ عمر المختار من تنظيم حركة الأدوار والمعسكرات واستحداث معسكرات جديدة في مراوة والمخيلي وسلنطة والأبيار وعكرمة وغيرها.

- المبحث الثاني: نظام الأدوار وتطبيق فكرة الشعب المسلح

عرف نظام الأدوار مع بداية الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911 م. وقد استخدمت كلمة دور لتعبير عن المعسكر، لأن المجاهدين الليبيين كانوا يأتون إلى تلك المعسكرات بالتناوب والفرق بين تلك الأدوار الأولى والأدوار التي استحدثها الشيخ عمر المختار هو أن الأخيرة كانت ترتكز كلياً على القبيلة من حيث التمويل، والمتطوعين وأصبح شيخ القبيلة برتبة قائمقام ومسؤولاً عن إدارة شؤون قبيلته.

أصبح نظام الأدوار أساس حركة الجهاد الليبي في المنطقة الشرقية من ليبيا فتأسس نواة الدور الأول في الشبيكة خلال شهري (يونيو- يوليو) 1923 م. بعد ذلك تم تشكيل الدور الثاني في منطقة شحات، ثم تأسس الدور الثالث بمنطقة درنة، وهكذا انتظمت الأدوار الثلاثة بالجبل الأخضر تحت قيادة عمر المختار وتم تنظيم الإدارات المختلفة : الأمور المالية والشرعية والتموين وجباية الزكاة وإدارة خمس الغنائم. كما تأسس دور رابع، عُرف بطابور المعية وهو عبارة عن حرس يدخل المعارك عند الحاجة ويضم متطوعين من مختلف المناطق ويتبع عمر المختار رأساً.

اختلف عدد أفراد كل دور فلم يكن العدد ثابتاً وإن كان متوسط العدد يتراوح بين 800 إلى 1،000 مجاهد. وإذا كانت تلك الأرقام متفاوتة إلا أنه من المفيد القول أن أهالي الجبل الأخضر عموماً كانوا يقاومون الاحتلال بعدة طرق فكان منهم من يقدم الذخيرة والسلاح للمجاهدين ومنهم من يتستر عليهم أثناء قدومهم للمدن التي كان يحتلها الإيطاليون ومنهم من يقدم المعلومات عن تحركات العدو بالإضافة إلى تقديمهم المواد التموينية والزكاة وغير ذلك. في حين بلغ عدد القوات الإيطالية التي أعدها الإيطاليون للقضاء على حركة عمر المختار نحو 12،500 بكامل معداتهم وأسلحتهم وأربعة طائرات [5].

وكانت قوة الأدوار تنبع من عوامل ثلاثة هي [6]:

1- انهم جميعاً يحاربون من أجل وطنهم ودينهم بشكل يستوي لديهم مسألة الحياة أو الشهادة.

2- أن أهل الجبل الأخضر عموماً كانوا يشاركون في مقاومة الاحتلال بطرق مختلفة كما سبق ذكر ذلك.

3- نظام الأدوار نظاماً مرناً. بحيث أعطى حركة الجهاد أسباب الديمومة والاستمرارية فإذا استشهد مقاتل يتم تعويضه بآخر من نفس القبيلة وكان التمويل والتموين داخلياً. وهكذا كان الدور لا يتأثر بفقدان شهيد في إضعاف قوته العسكرية والقتالية، فبعد كل معركة يتم حصر الشهداء وإلى أي القبائل ينتمون ثم يرسل إلى أية قبيلة العدد الذي يجب أن تعوضه عن شهدائها وإذا لم تجد العدد المطلوب تلتزم بدفع ألف فرنك عن كل شهيد لا يتم استبداله بأخر لكي يجند بها العدد اللازم على الدوام.

خاض عمر المختار حوالي 74 معركة ونحو 260 اشتباكا على أقل تقدير ضد القوات الإيطالية. تبني خلال هذه المعارك والاشتباكات إستراتيجية كانت تعتمد على عدة عناصر أهمها:-

1- اتخاذ مبدأ الهجوم بدل الدفاع وكان هذا الهجوم غالباً ما يتم عن طريق المباغتة وبأسلوب حرب العصابات أو حرب التحرير الشعبية وهذا الأسلوب في القتال يعتمد على معرفة دقيقة لطبيعة الأرض وقد تبنى المجاهدون هذه الإستراتيجية بعد أن تعذر الحصول على مساعدات من الخارج.

2- التحصن في الأماكن والمناطق الوعرة مثل سيطرتهم وتمسكهم بمنطقة وادي الكوف بالجبل الأخضر، حيث وفر هذا الوادي بتكوينه الطبيعي قلعة حصينة للمجاهدين.

3- كان نظام الترقيات يعتمد بالدرجة الأولى على العمل الميداني الذي يظهره المقاتل في ميدان المعركة وليس على أساس انتماءه القبلي أو العائلي بمعنى أن الترقيات كانت تتم حسب القدرة والكفاءة.

- المبحث الثالث: الفاشية الإيطالية تحاول القضاء على حركة المجاهدين الليبيين بعدة وسائل منها

بعد وصول موسوليني للسلطة في 28 أكتوبر 1922 م صار من أكثر المتشددين والمنادين بضرورة القضاء على حركة الجهاد الليبي فأعد جيشاً كبيراً مسلحاً بأحدث الأسلحة وباشرت قواتهم في مهاجمة الليبيين بكافة المناطق على شكل حرب إبادة بالوسائل التالية:-

أولا- احتلال المنطقة الغربية الساحلية من طرابلس حتى بني وليد

في 15 إبريل 1922 م تحركت القوات الإيطالية بقيادة الكولونيل غراتسياني نحو الزاوية ثم العزيزية وَقد دامت الاشتباكات بين تلك القوات والمجاهدين من 16 إبريل حتى 19 مايو من نفس العام. واتخذت القوات الإيطالية من العزيزية مقراً لها لمهاجمة الجبل الغربي حيث أعدت السلطات الإيطالية حملة عسكرية كبرى لاحتلاله وأسندت مهمة ذلك إلى غراتسياني فتمكنت قواته من السيطرة على جادو كاباو، نالوت ثم يفرن التي استخدمت قاعدة للوثوب على غريان حيث تمكنت تلك القوات من احتلالها في 17 نوفمبر من نفس العام [7].

كما تمكنت تلك القوات من احتلال ترهونة يوم 6 فبراير 1923 م بعد معارك عنيفة واصلت القوات الإيطالية زحفها على الشريط الساحلي الممتد من الخمس حتى مصراته وتمكنت من الاستيلاء على مصراته يوم 26 من ذات الشهر فتمت ترقية غراتسياني من كولونيل إلى جنرال تقديراً لجهوده التي بذلها في تحقيق هذا الاحتلال ومن ترهونة واصلت قوات غراتسياني زحفها إلى ورفله فاحتلتها يوم 27 ديسمبر من نفس العام، واعتبر ذلك نهاية المقاومة في المنطقة الجنوبية من طرابلس الغرب ثم تحولت بعد ذلك إلى مناطق القبلة والجنوب من البلاد

ثانيا- زحف القوات الإيطالية نحو القبلة والجنوب

في نطاق العملية العسكرية الكبرى التي خططت لها الفاشية لاحتلال منطقة القبلة والجنوب قامت القوات الإيطالية باحتلال غدامس في يوم 5 فبراير 1924 م. ومزده يوم 15 يونيو. وسرت يوم 23 نوفمبر 1924 م. وبدأت السلطات الإيطالية تخطط بعد ذلك لاحتلال الواحات الداخلية في برقة، وجالو (أوجله)، والكفرة وقد عرفت هذه العمليات باسم عمليات خط 29 وقاد غراتسياني هذه العمليات وقد تمكنت قواته أيضاً من احتلال براك في ديسمبر 1929م. وأوباري يناير 1930 م. وغات 24 فبراير من نفس العام. وهكذا تم للإيطاليين وللمرة الأولى عام 1930 م من احتلال فزان بالكامل. بعد ذلك غادر غراتسياني فزان جواً يوم 24 فبراير 1930 م متوجهاً إلى طرابلس ثم روما حيث تلقى أوامر مشددة للقضاء على حركة الجهاد في برقة.

ثالثا- القضاء على حركة المجاهدين في المنطقة الشرقية

بعد أن تم لغراتسياني احتلال فزان تلقى أمراً بتعيينه نائباً للحاكم العام في برقة حيث

كان الحاكم العام هو المارشال « بادليو « وعندما وصل غراتسياني إلى برقة كانت حركة الجهاد على أشدها فقرر **اتخاذ عدة إجراءات لإنهائها منها**:-

أ- **سياسة التشدد والبطش**:- تمثلت هذه السياسة الوحشية الإيطالية خلال شهري مارس ويونيو من عام 1930 م في :-

1- قفل الزوايا ونفي شيوخها ومصادرة أموالها المنقولة والعقارية وقطع مرتبات الموظفين الرسميين وتقديم الكثيرين للمحاكمة بتهمة الخيانة، واستعمال غاز الخردل المحرم دولياً وإلقاء بعض المناضلين من الطائرات أحياء.

2- تجريد المواطنين من أسلحتهم وتجنيدهم بالقوة لمكافحة المجاهدين، ومنع غراتسياني أي نوع من المتاجرة مع مصر لتسهيل القضاء على عمليات التهريب التي كانت لها أثار بالغة بالنسبة لاقتصاديات الجبل الأخضر وتغذية حركة المقاومة.

3- تشكيل المحاكم الطائرة التي كانت تنقل بكامل هيئتها للبت في حالات المقاومة التي يتم القبض عليها على مشهد من المواطنين وإصدار أحكامها بالإعدام التي كانت تنفذ في الحال. فنظرت هذه المحكمة في العام الأول من حكم غراتسياني (1930 م) في 250 قضية أصدرت حكماً بالإعدام على 119 منها، نفذت على الفور.

4- شكل قوة قوامها 13,000 جندي كانت مهمتها مطاردة قوات عمر المختار ومحاصرتها وتدميرها. وقد تنبهت قوات المجاهدين إلى هدف العدو الإيطالي، فوزعت نفسها في مجموعات صغيرة وتمكنت من التسلل خلال القوات الإيطالية، وبذلك فشلت قوات المطاردة الإيطالية في مهمتها.

5- تم عزل أهالي الجبل الأخضر ومن هنا نشأت فكرة المعتقلات الجماعية التي كان قد قررها بادليو (الحاكم الإيطالي العام لمنطقة برقة) ثم نفذها نائبه غراتسياني في يوم 25 يونيو 1930 م، فأمر بإخلاء الجبل الأخضر من سكانه ونشأت ما عرف فيما بعد باسم المعتقلات حيث قامت السلطات الإيطالية بتجميع الليبيين اللذين كان من بينهم أطفال ونساء وشيوخ داخل معسكرات إبادة جماعية في مناطق صحراوية وإحاطتهم بالأسلاك الشائكة وتركوا ليموتوا جوعاً وعطشاً وبالأوبئة الفتاكة وأشهر هذه المعتقلات :- معتقل العقيلة ومعتقل البريقة ومعتقل سلوق ومعتقل المقرون، وترتب على تلك المعتقلات عدة أضرار مادية ومعنوية فقد توفي ما يزيد عن تسعين ألف نسمة وتشرد من الأهالي

ما يزيد عن 125،000 مهاجر. وكانت الأضرار المادية بالغة الخطورة حيت تم إفناء نحو 90 إلى 95 ٪ من الثروة الحيوانية.

وكانت السلطات الإيطالية تعتقد أنه في إفقار البدو سيجعلهم يخضعون للاحتلال، كما تم السيطرة على الأراضي الزراعية الصالحة وطرد أهلها إلى الصحراء و إقامة المستوطنات الزراعية.

ب- **احتلال الكفرة:-** قامت القوات الإيطالية بحشد قوات ضخمة لاحتلال منطقة الكفرة والمناطق الجنوبية المجاورة لها. فوصلت هذه القوات إلى تازربو في يناير 1931 م ولحق بها الجنرال غراستياني جواً يوم 12 منه فأسندت إليه القيادة العامة للحملة. وفي 20 فبراير من نفس العام احتلت تلك القوات منطقة التاج تم أخذت بعد ذلك بالقيام بعمليات ملاحقة لقوات المجاهدين اللذين نزحوا إلى البلدان المجاورة وبذلك انتهت حركة الجهاد في هذه المناطق الصحراوية الجنوبية.

ج- **إقامة سد من الأسلاك الشائكة** على الحدود المصرية الليبية يكون من المناعة بحيث يضمن عدم وصول المؤن والإمدادات إلى المجاهدين وقد أقامت هذا السد المنيع في شهر سبتمبر 1931 م. وكان هذا السد يتكون من خطوط متشابكة من الأسلاك الشائكة بعرض عشرة أمتار وطول 270 كيلومتر وإرتفاع 160 متراً يمتد من ميناء البردية حتى واحة الجغبوب وتتخلله ثلاث قواعد رئيسية مقرها إمساعد، والشقه، والجغبوب وست قواعد فرعية وثلاث مطارات صغيرة وقاعدة جوية صغيرة في واحة الجغبوب مع عدد من المحطات الهاتفية (9).

د- أسر وإستشهاد الشيخ عمر المختار:

أدت الترتيبات التي وضعها الفاشيون بأوامر موسوليني وبإشراف بادليو وغراتسياني وغيرهما من قادة السلطات الايطالية في ليبيا، إلى إخلاء الجبل الأخضر من سكانه، فتوقف النشاط الزراعي وتم القضاء على الثروة الحيوانية و شحت الأقوات وأخذت قوات غراتسياني تبحث في كل مكان من الجبل عن المجاهد عمر المختار ورفاقه يقودهم الكشافة وفرسان الصواري والسرايا المدرعة والطائرات.

أدت تلك التدابير إلى حصر المقاومة والتضييق عليها مما نتج عنها أسر الشيخ عمر المختار يوم 11 سبتمبر1931 م. وتم نقله إلى بنغازي يوم 12 منه وأسرع غراتسياني

الذي كان في روما بالعودة إلى بنغازي يوم 14 منه، وأجريت له محاكمة صورية انتهت بالحكم عليه بالإعدام شنقاً، وجرى تنفيذ الحكم في بلدة سلوق يوم 16 سبتمبر 1931 م على مشهد عشرين ألف نسمة جمعوا خصيصاً من المعتقلات لمشاهدة تنفيذ الحكم فيه هكذا طويت صفحة من أنصع صفحات تاريخ الجهاد الليبي وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته الخالدة فقال :-

نصبوا رفاتك في الرمال لواء

يستنهض الوادي صباح مساء

وباستشهاد الشيخ عمر المختار أخذت حركة الجهاد في الاضمحلال. فقد اعترف بادليو في 24 يناير 1932 م بانتهاء حركة المقاومة المسلحة التي استمرت شرسة وطاحنة منذ الاحتلال الإيطالي لليبيا [11].

وقد تميز الحكم الإمبريالي الإيطالي في العقد الأخير من حكم ليبيا في الفترة من 1932 حتى 1943 م بعدة مظاهر يمكن إجمالها فيما يلي:-

1- الحكم الاستبدادي الدكتاتوري المطلق.

2- العنف والبطش تجلى ذلك في قمع حركة الجهاد وحشر الناس في معتقلات سبق ذكرها.

3- الاستغلال الاقتصادي بانتزاع ملكية الأراضي الصالحة وتوطين المستعمرين الإيطاليين. ففي عام 1934 م، أنشئ نظام الأنتي وتغنى بالعربية:- المؤسسة الإستعمارية الليبية هدفها إستثمار(الشاطئ الرابع)كما كان يحلو للفاشيين تسمية ليبيا، كما فتحت أبواب الهجرة إلى ليبيا للإيطاليين من كافة أنواع الطبقات، فوفدت إليها مئات التجار والحرفيين. وحتى عام 1936 م كان المحتلون الإيطاليون، قد أنشأوا عدة مستعمرات زراعية: أوليفيتي، والعزيزية، وكريسبي (قرب مصراتة). وفي عام 1938 م وحده قدم إلى ليبيا نحو عشرون ألف إيطالي. وفي عام 1940م كانت جملة مساحة الأراضي المصادرة من الليبيين تبلغ 800 ألف هكتار وكانت هذه الأراضي تعطى للذين اشتركوا في الحرب أو لملاك الأراضي في إيطاليا. لكن أعظم الأراضي كانت من نصيب فولبي وغراتسياني وشقيق موسوليني وسكرتيره ومن شابههم، حيث استولى هؤلاء على مزارع شاسعة. ففي برقة كانت مزرعة

واحدة من مزارع غراتسياني تشغل 1700 هكتار، كما كانت مزارع فولبي تشغل 55 ألف هكتار [12].

4- قمع ومحاربة الروح الوطنية عن طريق منع إقامة الجمعيات والنوادي والتضييق على الحريات ومراقبة الصحافة وعزل ليبيا عن محيطها العربي والحركات القومية.

5- محاولة القضاء على الشخصية العربية عن طريق محاربة التعليم العالي ومحاولة والقضاء على اللغة وإقفال باب التوظيف إلا لمن يتقن اللغة الإيطالية.

6- التقدم العمراني خدمة للفئات الإيطالية وبناء بعض القرى الزراعية الإيطالية وتعبيد بعض الطرق.

7- اضطرار الكثيرون من الزعماء الليبيين للهجرة إلى الأقطار المتاخمة مثل مصر، تونس، تشاد والجزائر وتبعتهم أفواج المهاجرين واستوطنوا فيها كما هاجر بعضهم إلى بلاد الشام ومارسوا الكفاح السياسي [13]، من خلال تكوين بعض الجمعيات مثل: جمعية الدفاع الطرابلسي – البرقاوي وغيرها.

هوامش الفصل الثامن:

1- هاشم يحي الملاح، جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس مركز جهاد الليبيين، العدد الثاني، 1988م، ص 26.

2- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص285.

3- رودلفو غراتسياني، برقة الهادئة، ترجمة ابراهيم سالم عامر، بنغازي، مكتبة دار الاندلس ط 3، 1980، ص 272.

4- ندوة عقدها مركز دراسة جهاد الليبيين، بعنوان عمر المختار، نشأته وجهاده، اشراف عقيل محمد البربار، طرابلس، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين 1981، ص 98،97.

5- المرجع نفسه ص 99، 100.

6- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص 291.

7- حسن محمود بالحاج، مرجع سابق، ص 12.

8- المرجع نفسه، ص 13،14.

9- المرجع نفسه، ص 16،15.

10- مصطفى سعد الهاين، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، طرابلس : مركز دراسات جهاد الليبيين ط 1، 1988، ص 86 - 87.

11- خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد بيروت، دار الثقافة، ط3، 1973 ص88.

12- فوبليكوف وآخرون، تاريخ الاقطار العربية المعاصرة،جـ 2 موسكو : دار التقدم 1976م ص236.

13- تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1930 - 1950 م. طرابلس، مركز دراسات جهاد الليبيين 1983، ص 31.

الفصل التاسع:

ليبيا منذ قيام الحرب العالمية الثانية 1939 – 1969

- المبحث الأول: الإجراءات الإيطالية في ليبيا عشية الحرب العالمية الثانية
- المبحث الثاني: ليبيا أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945

أولاً – تجنيد الليبيين لدا بريطانيا وايطاليا

ثانياً – صراع دول المحور والحلفاء فوق الأرض الليبية ودور الوحدات الليبية فيه

ثالثاً – ليبيا تحت حكم الإدارتين العسكريتين البريطانية والفرنسية

رابعاً – معاناة الشعب العربي الليبي خلال الحرب العالمية الثانية

- المبحث الثالث: ليبيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية 1945 حتى 1951

أولاً – كفاح الليبيين السياسي في الخارج و الداخل

ثانياً – القضية الليبية: أمام الأمم المتحدة و حصول ليبيا على الاستقلال

- المبحث الأول: الإجراءات الإيطالية في ليبيا عشية الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945

عندما بدأ شبح الحرب العالمية الثانية يلوح في الأفق، أرادت السلطات الإيطالية أن تلعب دوراً في هذه الحرب، رغبة في الانتقام من حكومتي فرنسا وانجلترا. فانضمت إلى جانب ألمانيا في حلف سمي بالحلف الحديدي أو محور (برلين – روما) الذي تم الاتفاق عليه عام 1936 م(1) وقد أرسلت السلطات الإيطالية عدداً من المجندين الليبيين في حملتها العسكرية لاحتلال الحبشة الذي استمر من مارس حتى مايو 1936 م، مما ترتب على هذا الاحتلال مشاكل دولية، فوقف هتلر إلى جانب موسوليني في تحديه لقرارات عصبة الأمم عندما رفض الانسحاب من الحبشة ونادى بالملك فيكتور عمانويل الثالث (ملك إيطاليا) وإمبراطوراً على الحبشة، وحتى تستطيع الحكومة الإيطالية دخول الحرب العالمية الثانية وهي مطمئنة، شرعت في بناء جسرها الحربي في ليبيا من أجل الهجوم على بريطانيا التي كانت تحتل مصر، فقد كان موسوليني يتطلع لاحتلال مصر تستهويه ثروتها ومواردها الطبيعية وموقعها الاستراتيجي حيث قناة السويس التي تتحكم في طرق مواصلات الحكومة البريطانية المؤدية للهند ودول الكومنولث[2].

بدأت السلطات الإيطالية منذ 1934 حتى 1937 م في شق طريق استراتيجي للسيارات من حدود تونس حتى حدود مصر الغربية بطول 1882 كم، كذلك تم تعبيد خط جنوبي موازي للخط الساحلي من المرج، سلنطة والقبة بطول 150 كم. وخط شحات و مرسى سوسه بطول 22كم، وغير ذلك من الطرق بهدف ربط شرق البلاد بغربها لتسهيل عملية وصول الإمدادات العسكرية عند نشوب الحرب. كما أقيمت المطارات ومهابط الطائرات وبصفة خاصة قرب الحدود (الليبية – المصرية)، وشيدت المرافئ الضخمة في بنغازي وطبرق، لإستقبال الأسطول التجاري والبواخر الحربية [3]. كان ذلك فيما يخص المنطقة الشرقية.

أما فيما يخص المنطقة الغربية من ليبيا، فقد أقامت السلطات الإيطالية عدة مطارات في طرابلس وما يجاورها مثل: مطار في الملاحة وفي قصر بن غشير (كاستيل بينيتو) وفي صرمان ونالوت [4]. بالإضافة إلى بناء الاستحكامات والخطوط الدفاعية على الحدود التونسية والجزائرية، وتم إنشاء عدد من المواني الضخمة في كل من طرابلس وزوارة التي كانت تتسع لعدد كبير من السفن التجارية والحربية.

كذلك إتخذت هذه السلطات عدة تدابير بهدف استمالة الشرائح العليا من الليبيين لضمان ولائهم ولتأمين ظهرها، فتم إعادة بعض الأراضي الليبية التي جرى مصادرتها من قبل لعدد من رجال الإقطاع بلغ عددهم نحو 200 شخص في عام 1936 م. وأصدر المجلس الفاشي الإيطالي عام 1937م قراراً بصرف مداخيل الأراضي الليبية والعقارات المصادرة على إحتياجات الليبيين أنفسهم، ونص هذا القرار أيضاً على إشراك بعض الأعيان في تكوين الإدارات الليبية للمدن الكبرى، وتعيينهم رؤساء للمناطق السكنية الصغرى، وأصبح العُمدّ يختارون من بين الأهالي.

كما صدر في نفس العام مرسوم إيطالي كان يسمح لبعض الليبيين وفق شروط معينه بأخذ أراضي من السلطات الإيطالية والاستفادة من القروض الزراعية (5).

أما الجانب الآخر لتلك السياسة اللينة المبنية على سياسة الإغراء وشراء الذمم فقد تمثلت في ممارسة السلطات الإيطالية لسياسة العنف والشدة والتجويع وتجنيد المواطنين بالقوة، ورفض تشغيلهم ما لم يقوموا بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وإجبارهم على العمل بالسخرة لكل الأعمال التي استحدثها لخدمة الحرب القادمة.

وفي عام 1939 م ألحقت هذه السلطات بعض المناطق الشمالية من ليبيا مثل طرابلس، مصراتة، بنغازي ودرنة تحت اسم ليبيا الإيطالية. فكان ذلك يعني تغيير سياسة الحكومة الإيطالية تجاه مستعمراتها بهدف طلينة الفئة الميسورة من الليبيين واستخدامهم كوسيلة للسياسة الفاشية في ليبيا.

أما عن التدابير الوقائية التي أقدمت عليها السلطات الإيطالية في الأول من سبتمبر 1939 م فقد تمثلت في زيادة عدد القوات الإيطالية وإعادة تنظيمها وتوزيعها في البلاد، وأرسلت أربع فرق فاشية، وثلاث فرق أركان حرب وفيلق جديد وفيلقان على مستوى قيادة الجيش (6). بلغ عدد القوات الإيطالية داخل ليبيا فيما بين عامي 1936 – 1939 م، نحو أربعة عشر ألف ضابط، 237 ألف جندي، بالإضافة إلى فرقتين من المجندين الليبيين قوام كل فرقة ثمانية آلاف مجند، ووحدات وطنية أخرى مع تشكيلات حرس حدود فأصبح مجموع القوات الإيطالية نحو 15 فرقة (7).

وهكذا يتضح لنا أن الحكومة الإيطالية قامت باستغلال إمكانات ليبيا البشرية والإستراتيجية والمادية إلى أبعد مدى.

- **المبحث الثاني: ليبيا أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945 م**

أولاً- تجنيد الليبيين لدى بريطانيا وإيطاليا

عندما اجتاحت القوات الألمانية، فرنسا في الأول من سبتمبر 1939 م، إندلعت الحرب العالمية الثانية، وكان قطبا الرحى في هذه الحرب هما : دول المحور بزعامة ألمانيا والنمسا، ودول الحلفاء بزعامة إنجلترا وفرنسا. وقد دخلت الحكومة الإيطالية في 10 يونيو 1940 م. إلى جانب دول المحور بهدف الاستيلاء على مصر والمستعمرات البريطانية في شرق القارة الأفريقية لإقامة إمبراطورية فاشية.

وعلى الرغم من إمكانات كل من هذين المعسكرين المادية والبشرية الهائلة : إلا أن كل منهما أخذ يعمل على استمالة الليبيين بكافة الطرق والوسائل سواء كان ذلك من جانب الحكومة البريطانية المحتلة لمصر أو الحكومة الإيطالية المحتلة لليبيا. فقد سارعت هاتين الدولتين إلى تكوين فيالق ليبية مقاتلة.

والسؤال هو:- ما هي الأسباب التي دعت هاتين الدولتين لذلك؟

1- **الأسباب التي دعت الحكومة الإيطالية إلى تجنيد الليبيين كثيرة ومتعددة منها :-**

أ – خوف هذه السلطات من أن يستغل الليبيون فرصة انشغال القوات الايطالية بالحرب، فيقومون بحركات تحرر وإثارة الفتن والقلاقل.

ب – معرفة الليبيين بطبيعة بلادهم ومسالكها ثم أن تجنيدهم يكون أقل كلفة من تجنيد الإيطاليين، بالإضافة إلى ما يتحلى به الليبي من روح قتالية عالية وصبر وإقدام.

2- **الأسباب التي دعت الحكومة البريطانية إلى تجنيد الليبيين :-**

هناك عدة أسباب دفعت بالحكومة البريطانية لتجنيد الليبيين منها :-

1- معرفة الحكومة البريطانية مدى كره أبناء الشعب العربي الليبي للسلطات الايطالية، بسبب احتلالهم لبلادهم، وما تعرضوا له من قتل وتشريد ومآسي على يد تلك السلطات

2- حاجة القوات البريطانية إلى استخدام الليبيين كمساعدين للقوات البريطانية داخل ليبيا لتزويدهم بالمعلومات وتعريفهم بالطرق والمسالك فهم أدرى بجغرافية بلادهم.

ج- كي تضمن الحكومة البريطانية عند انتصار الحلفاء، حكومة موالية لها في شمال إفريقيا.

وبقيام الحرب العالمية الثانية وجد سكان ليبيا أنفسهم منقسمين رغماً عنهم إلى قسمين فمنهم من كان يحارب إلى جانب الحكومة الإيطالية، وآخرون كانوا يحاربون إلى جانب الحكومة البريطانية هكذا دخل الشعب العربي الليبي وأرضه وسمائه في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ودفعوا ثمناً باهظاً في هذه الحرب، ولازال جيل الحاضر يعاني من ويلاتها وآثارها ومخلفاتها.

ثانياً- صراع دول المحور والحلفاء فوق الأرضي الليبية ودور الوحدات الليبية فيه 1940 – 1943 م

معركة سيدي براني:-

في نفس الوقت الذي أعلن فيه موسوليني الحرب يوم 10 يونيو 1940 م على دول الحلفاء، هاجمت القوات البريطانية بقيادة ويفل الحدود المصرية – الليبية وتمكنت في مدى أسبوع من أسر نحو مائتين وخمسين أسيراً وسبع عشر دبابة خفيفة وخمسون طائرة وخمسون سيارة [8].

وفي العاشر من سبتمبر من نفس العام عبرت القوات الإيطالية بقيادة غراتسياني (قائد الجيش العاشر الإيطالي) الحدود المصرية فوصلت إلى سيدي براني ثم احتلت مدينة السلوم وتوغلت مفرزة إيطالية بآليات نحو مائة كيلومتر داخل الأراضي المصرية.

تمكنت القوات البريطانية في شتاء عام 1940 م من طرد القوات الإيطالية، واحتلت ليلاً منطقة سيدي براني في 11 سبتمبر من نفس العام وأسرت نحو 25 ألف جندي وضابط إيطالي كان من بينهم 79 جنرالاً، فخسرت القوات الإيطالية بذلك ربع قواتها المتواجدة في شمال أفريقيا.

شاركت الوحدات الليبية في الهجوم البريطاني، فدخلت مدينة بنغازي في6 – 7 فبراير 1941 م برفقة القوات البريطانية ثم أخذت قوات الحلفاء تتزايد فوق الأراضي الليبية، خاصة أن الكثير من المجندين الليبيين مع القوات الإيطالية كانوا يسلمون أنفسهم للقوات البريطانية كأسرى حرب، كذلك كان الأهالي يساعدون القوات البريطانية [9] و في يوم 8 من نفس الشهر، احتلت القوات البريطانية العقيلة، بات الطريق إلى طرابلس مفتوحاً أمام تلك القوات، لولا الصعوبات التي كانت تواجه القوات البريطانية في اليونان بسبب نزول القوات الألمانية في يوغسلافيا واجتياحها اليونان فيما بعد فأصدر و نستون تشرشل

(رئيس الوزراء البريطاني) أمراً بإيقاف الزحف على طرابلس [10] وأمر موسولينى بمثول غراتسيانى أمام محكمة للتحقيق فقضت بلومه و احتقره موسوليني.

دخول ألمانيا حلبة الصراع:

نتيجة لهزيمة القوات الإيطالية أمام القوات البريطانية قامت القوات الألمانية بمبادرة لمساعدة حليفتها إيطاليا فعين الجنرال رومل قائدا للقوات الإيطالية الألمانية الموجودة في ليبيا في مارس 1941 م، و تمكنت القوات المشتركة من طرد القوات البريطانية من بنغازي. و في 26 من نفس الشهر، خرقت تلك القوات المشتركة حصار القوات البريطانية، و بدأت هجومها، فاحتلت طبرق يوم 20 يونيو 1942 م ثم تقدمت حتى توغلت نحو 400 كيلومتر داخل الأراضي المصرية، و مع نهاية يوليو من ذات العام، وصلت تلك القوات إلى منطقة العلمين التي تقع إلى غرب الإسكندرية علي بعد 80 كم.

معركة العلمين:

فشلت القوات الألمانية في الاستيلاء على خط العلمين وهو المنطقة الممتدة من قرية العلمين على البحر المتوسط ومنخفض القطارة جنوبا، نتيجة للمقاومة الشديدة التي كانت بقيادة مونتجومري (قائد الجيش البريطاني الثامن) ولهجمات السلاح الجوي البريطاني. ومنذ 3 يوليو 1942 م أوقف تقدم رومل عند العلمين. حاول رومل جاهدا كسر الجمود في جبهة العلمين فقامت قواته يوم 30 اغطس من نفس العام بهجوم حيث دارت معركة علم الحلفا لغرض اختراق الجبهة البريطانية جنوب خط العلمين غير أن هذا الهجوم قوبل بموجه عنيفة من المدفعية و الرشاشات، واكتشفت القوات الألمانية بتورطها داخل حقول الألغام وزاد الأمر صعوبة قيام طائرات سلاح الجو البريطاني بغارات شديدة، أنزلت بالقوات الألمانية خسائر فادحة. ولم تتمكن تلك القوات في صباح 31 من نفس الشهر من التقدم سوى مسافة تتراوح ما بين 8-10 أميال.

وفى مساء الأول من سبتمبر من نفس العام، قرر رومل إيقاف الهجوم و الانسحاب على مراحل إلى نقطة الانطلاق شمال منخفض القطارة، واستمرت معركة الانسحاب عنيفة لمدة ثلاث أيام. وكان من أسباب الهزيمة ضعف قوات رومل وتفوق القوات البريطانية من حيث المدفعية و المدرعات وسلاح الجو البريطاني.

وابتداء من 6 سبتمبر حتى 23 أكتوبر 1942 م أخذت القوات المتصارعة حول

موقع العلمين في تدعيم جبهاتها في الوقت الذي تصل فيه للبريطانيين كميات هائلة من الإمدادات اللازمة لمواصلة عملياتها الحربية.

وفي مساء 23 أكتوبر من نفس العام بدأت معركة العلمين حيث شنت القوات البريطانية بقيادة مونتجومري هجوماً كاسحاً على قوات المحور وركز 1،000 مدفعي بريطاني نيرانهم على قوات المحور في الخط الأمامي وبعد خمس ساعات تحولت المدافع البريطانية إلى حقول الألغام وقصفتها قصفاً شديداً، فتمكنت من فتح ممرات في حقول الألغام وشنوا هجوما شديدا شمال جبهة الأعداء ووصلوا إلى الطريق الساحلي وبدا واضحا تفوق القوات البريطانية على قوات المحور التي حاولت وباستماتة إيقاف اختراق جبهتها الذي حدث في عدة مواقع.لم تجد قوات المحور أمام هذا الوضع اليائس غير الانسحاب حتى لا يتمكن البريطانيون من تطويقهم وأبادتهم فأخذت قواتهم في الانسحاب في نوفمبر 1942 باتجاه الغرب تلاحقهم القوات البريطانية والقصف الجوي البريطاني **(أنظر خريطة رقم (6))**.

وبعدها كان زحف مونتجومري أشبه ما يكون بنزهة عسكرية حيث استردت القوات البريطانية مرسى مطروح في يوم 8 منه وصلت البردية يوم 11 ثم طبرق يوم 13 ودرنة يوم 15 وبنغازي يوم 20

استمر التقهقر من جانب القوات الألمانية والايطالية ومتابعة الزحف من قبل القوات البريطانية حتى وصلت العقيلة في 12 ديسمبر 1942 م ومصراتة يوم 18 يناير 1943 م تم دخلت طرابلس في 23 يناير من نفس العام حيث تابعت قوات المحور انسحابها إلى تونس ومنها إلى أوروبا. أمّا بالنسبة لمنطقة فزان فقد كانت القوات الفرنسية تزحف مع القوات الليبية من الجنوب على مرزق ودخلت براك يوم 8 يناير 1943 م واستمرت في التقدم حتى استولت على فزان وهكذا خرجت قوات الاحتلال الإيطالي من الأراضي الليبية. ووضعت البلاد تحت الحكم البريطاني في الشمال، والحكم الفرنسي في الجنوب.

وقد اعترف وزير خارجية بريطانيا (ايدن) بالخدمات والمساعدات التي قدمتها القوات الليبية للحلفاء أثناء هذه الحرب فصرح يوم 8 يناير 1942 م قائلا: «قامت هذه القوة بخدمات كبيرة ساندتنا فيها أثناء الحملة الناجحة في الصحراء الغربية شتاء 1940-1941 م وها هي ذي تقوم بدور فعال في الحملة القائمة الآن» [11].

ثالثاً- ليبيا تحت الإدارتين العسكريتين البريطانية - والفرنسية

لقد أبلى الليبيون اللذين اشتركوا في معارك الحرب العالمية الثانية بلاء حسناً باعتراف وزير الخارجية البريطاني الذي أشار في تصريح له عن المجهودات الحربية التي قدمها الليبيون للحلفاء في هذه الحرب، وأكد القول بأن الحكومة البريطانية مصممة على ألا تعود برقة إلى حكم الإيطاليين إثر هزيمتها عام 1943 م. حتى أنه لم يبق أحداً منهم.

أما في طرابلس، فعلى الرغم من انسحاب عدد من أفراد الجالية الإيطالية مع الجيش الإيطالي، غير أنه بقى أعداداً كبيرة من الموظفين الإيطاليين وأكثر من ثلثي هذه الجالية في طرابلس. وقامت السلطات البريطانية بإنشاء إدارتين بريطانيتين منفصلتين واحدة في برقة ومركزها المرج والأخرى في طرابلس. أما فزان فقد احتلها الفرنسيون وأنشأوا فيها إدارة ثالثة، ولم يبق فيها أحد من الإيطاليين.

تم عزل كل إقليم عن سواه من الناحيتين الإدارية والمالية والاقتصادية وطبق نظام نقدي عجيب غريب فقد كان التعامل في برقة بالجنيه المصري وفي طرابلس بالليرة الإيطالية وفي فزان بالفرنك الجزائري، وكان صرف هذه العملات يتم بالجنيه الإسترليني والدولار الأمريكي بسعر منخفض [12]. وكان الإمبرياليون البريطانيون والفرنسيون ينظرون إلى ليبيا كواحدة من مستعمراتهم وظلت القوانين السارية المفعول منذ زمن الاحتلال الإيطالي كما هي عليه بالإضافة إلى تثبيت الاستعمار الأمريكي في البلاد من خلال قاعدة هويلس التي كانت تسمى بالملاحة زمن الاحتلال الإيطالي.

رابعاً- معاناة الشعب العربي الليبي أثناء الحرب العالمية الثانية 1939-1945

كانت ليبيا مسرحاً لأحداث عنيفة خلال هذه الحرب فتحملت البلاد أحداثها الجسام حيث تعرض الشعب الليبي للموت والدمار والتعذيب فقد كان على هذه الأرض نحو مليون ونصف مليون جندي اشتركوا في 127 معركة، وخاضوا ما يزيد على 3128 غارة جوية وبحرية أدت إلى تدمير عدة مدن وقرى وقتل آلاف المواطنين الأبرياء ناهيك عن أعداد الجرحى والمعوقين ومازالت الآثار مستمرة في وجود حقول الألغام التي خلفتها الدول المتحاربة والتي قضت على آلاف الناس وملايين قطعان الماشية بالإضافة إلى آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية تقع ضمن الحقول الملغومة. كذلك بعض المناطق النفطية والطرق البرية والبحرية حيث تم العثور على ثلاثة آلاف لغم بحري في مناطق متعددة من الساحل الليبي[13].

لم تكن كل نتائج هذه الحرب سلبية على ليبيا فاحتكاك الليبيين بغيرهم من الأجناس خلال هذه الحرب وهجرة بعضهم إلى أقطار أخرى، مكنهم من معرفة الاستعمار عن قرب وكشف القناع عن وجهه البغيض ومخططاته السرية. فأدركوا أن المستعمر لا يمكن أن يمنح لهم الاستقلال وحق تقرير المصير، كما زاد الوعي القومي لديهم وبدأت بعد ذلك مرحلة جديدة من النضال.

- المبحث الثالث: ليبيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية 1945 حتى 1951

أولاً: كفاح الليبيين السياسي في الخارج والداخل

تكتسي هذه الفترة، أهمية خاصة في كفاح الليبيين السياسي في الخارج والداخل فقد بدأ الزعماء الليبيون الذين هاجروا للدول العربية في عرض قضية بلادهم على الرأي العام، حيث أسس المهاجرون الليبيون في تونس، جمعية تأسيسية كانت تطالب باستقلال ليبيا وكان أعضاء هذه الجمعية يقومون بعرض قضاياهم الوطنية في الصحف اليومية التونسية فكانت صحيفة النهضة التونسية تنشر أخبار ليبيا في صدر صفحاتها [14] وفي دمشق شكل المهاجرون الليبيون جمعية الدفاع الطرابلسي – البرقاوي، فكانت هذه الجمعية تمد يد العون والتفاهم لجميع الليبيين زعماء ومواطنين عاديين.

وبعد الحرب العالمية الثانية، أخذ الليبيون المهاجرون في بلاد الشام، يستعيدون نشاطهم السياسي فملأوا أعمدة الصحف السورية بالمقالات التي تندد بالمستعمرين القدماء والجدد. وظل الحال كذلك حتى 17 أبريل 1946 م عندما نالت سورية استقلالها، وبذلك أصبح المجال متاحاً أكثر لنشاط الليبيين السياسي، فتنادوا لعقد اجتماع تمخض عنه عدة قرارات منها [15]: -

1 – حل جمعية الدفاع (الطرابلسي- البرقاوى)، وتشكيل هيئة جديدة تحت أسم هيئة طرابلس برقة.

2 – إجراء انتخابات لهذه الهيئة، تتولى إدارة أعمال التحرير.

3 – العمل بنشاط في نشر المقالات والتعليقات السياسية لإحباط الدعاية الإيطالية التي أخذ أمرها يشتد خطراً داخل ليبيا بالتآمر مع السلطات البريطانية في ليبيا.

4 – التأكيد على استقلال ليبيا بحدودها المعروفة من تونس حتى مصر، وذلك بإرسال البرقيات والعرائض للمنابر الدولية والمسؤولين. أما في القاهرة فقد أسس

المهاجرون الليبيون هناك المجلس الوطني لتحرير ليبيا عام 1947 م. سمي فيما بعد بمؤتمر طرابلس الوطني،

كما نشطت الحياة السياسية داخل ليبيا وظهر عدد من النوادي مثل: جمعية عمر المختار في برقة التي تأسست من ابريل 1943 م برئاسة مصطفى بن عامر، وكانت هذه الجمعية تناصر وحدة ليبيا وتدعو لها.

وصدرت عدة صحف مثل: طرابلس الغرب، برقة الجديدة الفجر، الاستقلال والوطن، وكانت تلك الصحف تنادي بوحدة واستقلال البلاد. لكن سرعان ما أخذت السلطات البريطانية تتعقب هذه الصحف المعارضة للاحتلال البريطاني، فتعرضت صحيفة الوطن، الناطقة باسم جمعية عمر المختار للملاحقة.

كذلك تأسس عدد من الأحزاب منها الحزب الوطني، برئاسة أحمد الفقيه، وقد وجه هذا الحزب نداء، دافع فيه عن حقوق الشعب العربي الليبي المشروعة، وعارض بشدة عودة النفوذ الإيطالي لليبيا، وطالب بإلغاء التشريع الإيطالي في ليبيا، كما طالب برفع مستوى الشعب الليبي وتطوير حياته الاقتصادية والثقافية [16].

وتأسست عام 1946 م في مدينة طرابلس، بعض المنظمات السياسية الجديدة مثل الكتلة الوطنية الحرة، التي انضم إليها بعض الأعيان والمثقفين كذلك جبهة الوحدة الوطنية فانضم إليها بعض الأرستقراطيين وكبار التجار ورجال الدين. وفي نهاية هذا العام، تكون اتحاد مصر وليبيا بهدف توحيد البلدين على أساس وحدة التاريخ والفكر والثقافة، إلا أن هذا الحزب لم يكن يتمتع بشعبية لا في مصر ولا في ليبيا [17]. كذلك نشأ حزب الاستقلال الذي طالب بالاستقلال الذاتي لإقليم طرابلس وكذلك هيئة تحرير ليبيا [18] ونشأ في نفس الوقت الحزب العمالي الذي كان تحت إشراف السلطة البريطانية.

مع بداية عام 1948 م، إنعقد اجتماعا لحزب مؤتمر برقة الوطني، فانضمت إليه جمعية عمر المختار وغيرها من المنظمات، حضر هذا الاجتماع 71 مندوباً، حيث قرر المجتمعون ضرورة تحقيق وحدة البلاد واستقلالها. وعمت التظاهرات كافة مدن البلاد مطالبين بحقهم في تقرير مصيرهم واستقلال بلادهم. أما بقية الاحزاب مثل : مؤتمر طرابلس الوطني والكتلة الوطنية وغيرها **فطالبت بما يلي** [19]:-

1- وحدة ليبيا بحدودها من تونس إلى مصر.

2- الاستقلال الكامل.

3- انضمام ليبيا إلى الجامعة العربية.

وكانت اتجاهات هذه الأحزاب كما يلي:-

1- الاتجاه الأول: كان يطالب بالاستقلال التام.

2- الاتجاه الثاني: كان يطالب أن تكون ليبيا تحت الوصاية المصرية.

3- الاتجاه الثالث: كان يطالب أن تكون ليبيا تحت وصاية جامعة الدول العربية.

ثانياً: القضية الليبية أمام الأمم المتحدة

في ظل تنامي المطالب الوطنية الليبية و سعى جامعة الدول العربية لدى المحافل الدولية للمطالبة باستقلال ليبيا. و عدم اتفاق الدول الأوروبية الكبرى على تقسيم ليبيا حيث نظرت هذه الدول من زاوية مصلحتها الذاتية، إذ أعلنت الحكومة البريطانية عن رغبتها في الانتداب على ليبيا كلها، لكنها سرعان ما غيرت موقفها و أعلنت عن رغبتها في حق الانتداب و لو على جزء من ليبيا و بالتحديد برقه لقربها من مصر. أما الاتحاد السوفييتي فاقترح وضع ليبيا تحت الوصاية الجماعية الدولية أو يبقى الوضع على ما هو عليه لمدة عشر سنوات أخرى [20]. ولم تستطع الحكومة الإيطالية أن تعلن عن سياستها بصفتها دولة مهزومة.

وقد بحثت قضية ليبيا أمام هيئة الأمم خلال عامي 1948 - 1949.

وكان هناك اتفاق على مبدأ وضع ليبيا تحت وصاية دولية واختلفت الدول حول نوع هذه الوصاية.هل تكون الوصاية دولية أم وصاية دولة تختارها هيئة الأمم.

أيدت ممثل الحكومة السوفيتية وحلفاء السوفيت النوع الأول من الوصاية في حين دعت أمريكا، بريطانيا وفرنسا إلى النوع الثاني.

لما فشلت الحكومة البريطانية في الوصول إلى نوع الوصاية التي تريدها لليبيا، عدلت اقتراحها، وتقدمت بمشروع (بيفن – سفورزا) يوم 7 مايو 1947 م نسبة إلى وزير الخارجية البريطانية بيفن ووزير الخارجية الإيطالية سفورزا، نص هذا المشروع على أن تكون طرابلس تحت الوصاية الإيطالية وبرقة تحت الوصاية البريطانية وفزان تحت الوصاية الفرنسية [21].

غير أن الشعب الليبي رفض هذا المشروع رفضاً مطلقاً من جميع الطبقات والسكان

وقامت التظاهرات والاضطرابات وأبرق زعماء البلاد للهيئة الدولية رافضين هذا المشروع ووقفت الجامعة العربية إلى جانب الحق الليبي وفشل هذا المشروع.

قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا 1949 م

نتيجة لفشل مشروع (بيفن – سفورزا) قررت منظمة الأمم المتحدة إرسال لجنة تحقيق إلى ليبيا للإطلاع على رغبات الشعب العربي الليبي، فوصلت هذه اللجنة في مارس 1948 م وبعد التحقيق قررت منظمة الأمم المتحدة في 21 نوفمبر 1949 م إعطاء ليبيا الاستقلال في فترة لا تتجاوز أول يناير 1952 م. لكن في 24 ديسمبر 1951 ،أعلن الملك محمد ادريس المهدي السنوسي استقلال ليبيا رسميا من شرفة قصر المنار في بنغازي بحضور جمع غفير من أعضاء الوزارة المؤقتة ومفوض الأمم المتحدة (أدريان بلت) وعدد من دبلوماسيي الدول الأجنبية وأعيان البلاد ،وأصبحت ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة باسم المملكة الليبية المتحدة وأصبح الدستور الذي شرعته الجمعية الوطنية ساري المفعول منذ لحظة إعلان الاستقلال(22).

وصدرت مراسيم تأليف الوزارة الأولى على الوجه التالي:-

محمود المنتصر رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية، فتحي الكيخيا نائب الرئيس ووزير المالية والاقتصاد، علي أسعد الجربي وزيراً للدفاع، إبراهيم بن شعبان وزيراً للموصلات، محمد بن عثمان وزيراً للصحة.

كما صدر في ذات الوقت مرسوماً بتعيين ولاة للأقاليم الليبية الثلاثة على النحو التالي:

محمد الساقزلي والياً لبرقة. فاضل بن زكري والياً لطرابلس الغرب ثم أحمد سيف النصر والياً على فزان.

وحُولت الأقاليم الثلاث إلى ولايات، يرأس المصالح المختلفة فيها موظفون كبار، يعرفون بالنظار بدلاً من الوزراء، ولكل ولاية بمقتضى الدستور، الحق في وضع قانونها الأساسي الخاص. كما جعلت لكل من الحكومة الاتحادية والولايات اختصاصات محددة وفق مواد الدستور. وفي 25 مارس 1952 م. أفتتح أول برلمان ليبي وهكذا ولدت الدولة الليبية الجديدة وانضمت إلى الجامعة العربية بتاريخ 28 مارس، 1953 وأصبحت عضوا في منظمة الأمم المتحدة عام 1955. ودخلت البلاد في وضع سياسي جديد يحتاج إلى دراسة أخرى لتغطية أحداثه .

هوامش الفصل التاسع :

1- رياض عبد الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، القاهرة : المؤسسة الجامعية للنشر 1986م. ص 303. وقد دخلت الحكومة الإيطالية هذه الحرب في 10 يونيو 1940م.

2- حسن محمود بالحاج، مرجع سابق، ص17 .

3- ن. إ. برويش، مرجع سابق، ص 223.

4- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

5- مارتن مور، الشاطيء الرابع، ترجمة عبد القادر المحيش، طرابلس منشورات مركز الجهاد، ط1 1989، ص 173 .

6- بسام العسلي، القدرة البحرية، بيروت، دار اقرأ، 1981، ص 361.

7- شكري محمود نديم، حرب إفريقيا الشمالية 1916 – 1943، بغداد : النبراس للنشر والتوزيع، ط5، 1945، ص 24، 25.

8- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 230.

9- حسن محمود بالحاج، مرجع سابق، ص 32.

10- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 233.

11- فوبليكوف، وآخرون، مرجع سابق، ص 240، 241.

12- علي عبد الرحمن ضوي، المسؤولية الدولية عن الاضرار الناشئة عن مخلفات الحرب العالمية الثانية في الاقليم الليبي، طرابلس مركز دراسات جهاد الليبيين، 1983، ص 46– 47.

13- ابراهيم أحمد أبو قاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية، تونس : مؤسسه عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، بلا، ص 76.

14- تيسير بن موسى،مرجع سابق، ص 142 – 143 .

15- ن. أ. بروشين، مرجع سابق.

16- فوبليكوف وآخرون، مرجع سابق، ص 242، 243 .

17- أحمد زارم، مذاكرات صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، تونس : الدار العربية للكتاب، د. ت، ص 54 .

18- هنري حبيب، ليبيا بين الماضي والحاضر، ترجمة شاكر ابراهيم، طرابلس : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، 1981، ص 125 .

19- المرجع نفسه، ص 166 .

20- المرجع نفسه، ص 169 .

21- فوبليكوف وآخرون، مرجع سابق، ص 245، 246 .

22- إبراهيم سليمان الضراط ، مرجع سابق، ص 192-193 .

الخاتمة

من خلال دراستنا السابقة يتضح لنا إن مسار الشعب العربي الليبي، كان يتمحور في اتجاه واحد، هو بذل الروح والتضحية بكل ما يملك من أجل الدفاع عن أرضه وعرضه وكرامته، فصنع بذلك صفحات تاريخية مشرفة لأبنائه وأحفاده،

إن هذا الشعب رغم قلة إمكانياته قاوم الغزوة الصليبية بشجاعة منقطعة النظير عام 1510 م جعلت قائد الحملة العسكرية الأسبانية يقول في مذكراته: إننا نواجه مقاومة شديدة.

في حين رحب هذا الشعب في البداية بالقدوم العثماني على أساس العامل الديني المشترك وهو الإسلام، لكنه سرعان ما أكتشف إن المحتل واحد الأهداف فالعثمانيون لا يختلفون عن سابقيهم، فقد ظلموا السكان وبالغوا في فرض الضرائب، وأهملوا البلاد فساءت الأحوال الصحية والاقتصادية وانتشر الفقر والجهل والمرض. لذلك عمت البلاد الانتفاضات والهبّات الوطنية ضد الوجود العثماني.

وفي الوقت الذي رحب فيه الأهالي بتسلم الأسرة القره مانلية للحكم والتخلص من جور الأتراك العثمانيين، على أساس أن حكام هذه الأسرة من الكول اوغلية. وقد اتصف هذا الحكم في بعض فتراته بمظاهر القوة البحرية والانتعاش الاقتصادي والتقدم العمراني، غير أن ذلك كان يعود على الأسرة القره مانلية نفسها وبعض المتعاملين معها. أمّا عامة أبناء الشعب العربي الليبي فلم يستفيدوا غير المزيد من دفع الضرائب التي كانت على رأس أسباب انتفاضاتهم، وتردي أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. إن صراع أفراد هذه الأسرة على السلطة وتبذيرهم وسوء تصرفاتهم واستبدادهم، جعل الليبيون يقومون بعدة انتفاضات ضدهم، بل أن وفدا منهم ذهب لاستانبول مطالبا بعودة الحكم العثماني، فكان ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وعادت البلاد مرة أخرى للحكم العثماني المباشر فزاد الطين بلة، خاصة بعد أن أصبحت الدولة العثمانية رجل أوربا المريض وبدأ التغلغل الإيطالي يتسرب إلى ليبيا.

وتدهورت أحوال البلاد أكثر فأكثر. مما عرضها بعد ذلك للاحتلال الإيطالي في أكتوبر 1911 م، وتخلت الدولة العثمانية عن الليبيين ليواجهوا الغزو الإيطالي بمفردهم الذي دام من 1911 حتى 1943، خاض المجاهدون معارك ضارية ضد المحتلين، فكتبوا بدمائهم الذكية أروع صفحات الجهاد ضد الغزاة الفاشيين الجدد. **وتحملوا أعباء الحرب العالمية الأولى والثانية وشاركوا في الأحداث دون أن يكون لهم فيها لا ناقة ولا جمل**، وظلوا مصرين على المطالبة بنيل حريتهم واستقلالهم من خلال الكفاح السياسي أيضا، فشكلوا الأحزاب وقاموا بالتظاهرات مطالبين الإدارتين البريطانية والفرنسية بالرحيل وتقدموا بمطالبهم العادلة إلى منظمة الأمم المتحدة ووقفت إلى جانبهم الجامعة العربية وانصاعت المنظمة الدولية لتلك المطالب العادلة وتحقق في 24 ديسمبر 1951 م الاستقلال، وأعلن الدستور الجديد للدولة الاتحادية، وبذلك دخلت ليبيا في مرحلة جديدة.

الملاحق

ملحق رقم (1)

قائمة بأسماء باشوات طرابلس وداياتها (*)
من سنة 1151 م الى سنة 1711 م

1- مراد آغا	1551
2- طورغود باشا	1553
3- علي باشا	1565
4- جعفر باشا	1569
5- رمضان باشا	1581
6- مصطفى باشا	1584

1- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط 2، 1983، ص 751-754.

* بالرغم من أن هذه الحوليات تعرض لتاريخ ليبيا منذ بداية الفتح العربي لها، الا أن هذه القائمة بأسماء ولاتها تغفل كل الفترة المتقدمة على سنة 1551 م، أي أنها تقتصر على فترة الحكم التركي، بما فيها الفترة القرمانلية، والعهد التركي الثاني حتى الاحتلال الايطالي. والقارئ أن يرجع-بالنسبة للفترة العربية المتقدمة على العهد التركي- الى كتاب الدكتور احسان عباس: "تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري"، والى كتاب الطاهر الزاوي: "ولاة طرابلس"، حيث سيجد في نهاية الكتاب الأول (صفحة 233 الى 238)، وفي نهاية الكتاب الثاني (صفحة 187الى 291) قوائم بأسماء ولاة ليبيا من العرب.

7- حسين باشا	1588
8- ابراهيم باشا	1595
9- اسكندر باشا	1600

10-	سليم باشا	1606
11-	علي باشا	1607
12-	أحمد باشا	1609
13-	صفر داي	1609
14-	سليمان داي	1610
15-	مصطفى شريف داي	1620
16-	قاسم باشا	1631
17-	رمضان آغا	1631
18-	محمد الساقزلي داي	1632
19-	عثمان الساقزلي داي	1649
20-	عثمان رايس داي	1672
21-	بالي داي	1672
22-	خليل باشا	1673
23-	مصطفى بهلوان داي	1675
24-	ابراهيم المصري داي	1675
25-	ابراهيم جلبي-انبلي داي	1676
26-	مصطفى قبودان داي	1676
27-	بابا عثمان داي	1677
28-	آق محمد الحدّاد	1678
29-	حسن عبازة داي	1679
30-	محمود داي	1682
31-	علي الجزائري داي	1682

32- الحاج عبد الله الازمرلي داي 1683

33- ابراهيم الترزي داي 1687

34- محمد الامام داي 1678

35- عثمان القهوجي داي 1701

36- مصطفى غاليبولي داي 1701

37- محمد الامام داي 1702

38- خليل باشا 1706

39- ابراهيم داي 1709

40- محمد داي 1710

41- محمود داي 1711

الأسرة القرمانلية

من 1711 م الى 1835 م

42- أحمد باشا 1711

43- محمد باشا 1745

44- علي باشا 1754

45- أحمد باشا الثاني 1795

46- يوسف باشا 1795

47- علي باشا الثاني 1832

العهد العثماني الثاني

48- نجيب باشا 1835

49- محمد رائف باشا 1835

50- طاهر باشا 1837

51- حسن باشا الجشمهلي	1837
52- علي عشقر باشا	1838
53- محمد أمين باشا	1842
54- محمد راغب باشا	1847
55- أحمد عزت باشا	1848
56- مصطفى نوري باشا	1852
57- عثمان باشا	1855
58- أحمد عزّت باشا	1859
59- محمود نديم باشا	1860
60- علي رضا باشا	1867
61- محمد حالت باشا	1870
62- محمد رشيد باشا	1871
63- علي رضا باشا	1872
64- سامح باشا	1873
65- مصطفى عاصم باشا	1874
66- مصطفى باشا	؟
67- علي كمالي باشا	1878
68- أحمد عزّت باشا	1879
69- محمد نظيف باشا	1881
70- أحمد راسم باشا	1881
71- كمال باشا	1883
72- هاشم باشا	1898

73- حافظ باشا	1899
74- حسن حسني	1903
75- رجب باشا	1906
76- أحمد فوزي باشا	1908[1]

(1) قارن هذه القائمة بالقائمة التي وضعها الطاهر الزاوي في نهاية كتاب «ولاة طرابلس».

ملحق رقم (2)

باشوات ودايات طرابلس

من 1551 م الى 1711 م

مراد آغا	1553-1551
درغوت باشا	1565-1553
اولوغ علي باشا	1569-1565
جعفر باشا	1581-1569
رمضان باشا	1584-1581
مصطفى باشا	1588-1584
حسين باشا	1595-1588
ابراهيم باشا	1600-1595
اسكندر باشا	1606-1600
سليم باشا	1611-1606
صفر داي	1615-1611
علي باشا	1614-1612
حامد باشا	1619-1614
سليمان داي	1623-1619
حسن باشا	1629-1623
مصطفى شريف داي	1631-1623
قاسم باشا	1632-1630
رمضان داي	1631

محمد الساقزلي باشا وداي	1649-1631
رباني باشا	1633-1632
عثمان الساقزلي باشا وداي	1672-1649
عثمان رايس داي	1672
بالي شاويش داي	1675-1672
خليل باشا	1677-1673
مصطفى البهلوان داي	1675
ابراهيم مصرلي اوغلي	1676-1675
ابراهيم شلالي حنبلي داي	1676
مصطفى الكبير داي	1678-1677
عثمان داي	1678-1677
الحاج محمد الحدّاد	1679-1678
خليل باشا	1677
حسن عبازة داي	1683-1679
يولك محمود داي	1683
الجزائري داي	1684-1683
الحاج عبد الله داي	1687-1684
ابراهيم التارزي داي	1687
محمد الامام الكرادلي: داي وباشا	1701-1687
عثمان داي (القهوجي)	1701
مصطفى القربوللي داي	1702-1701
خليل داي	1709-1702

ابراهيم علي داي	1710-1709
اسماعيل خوجة داي	1711-1710
حاج رجب داي	1711
محمد بن الجن داي	1711
محمود ابو مويس داي	1711

القرمانلليون

أحمد باشا	1745-1711
محمد باشا	1754-1745
علي باشا	1793-1754
أحمد باشا	1795
يوسف باشا	1832-1795
علي باشا	1835-1832

ولاة العهد العثماني الثاني

مصطفى نجيب باشا	1835
محمد رئيف باشا	1836-1835
طاهر باشا	1837-1836
حسن باشا	1838-1837
عسكر باشا	1842-1838
محمد أمين باشا	1847-1842
محمد رجب باشا	1848-1847
أحمد عزت باشا	1852-1848
مصطفى نوري باشا	1855-1852

عثمان باشا (1)	1858-1855
أحمد عزت باشا	1867-1857
محمود نديم باشا	1867
علي رضا باشا (2)	1870-1867
محمد حالات باشا (3)	1871-1870
محمد رشيد باشا	1872-1871
علي رضا باشا	1874-1872

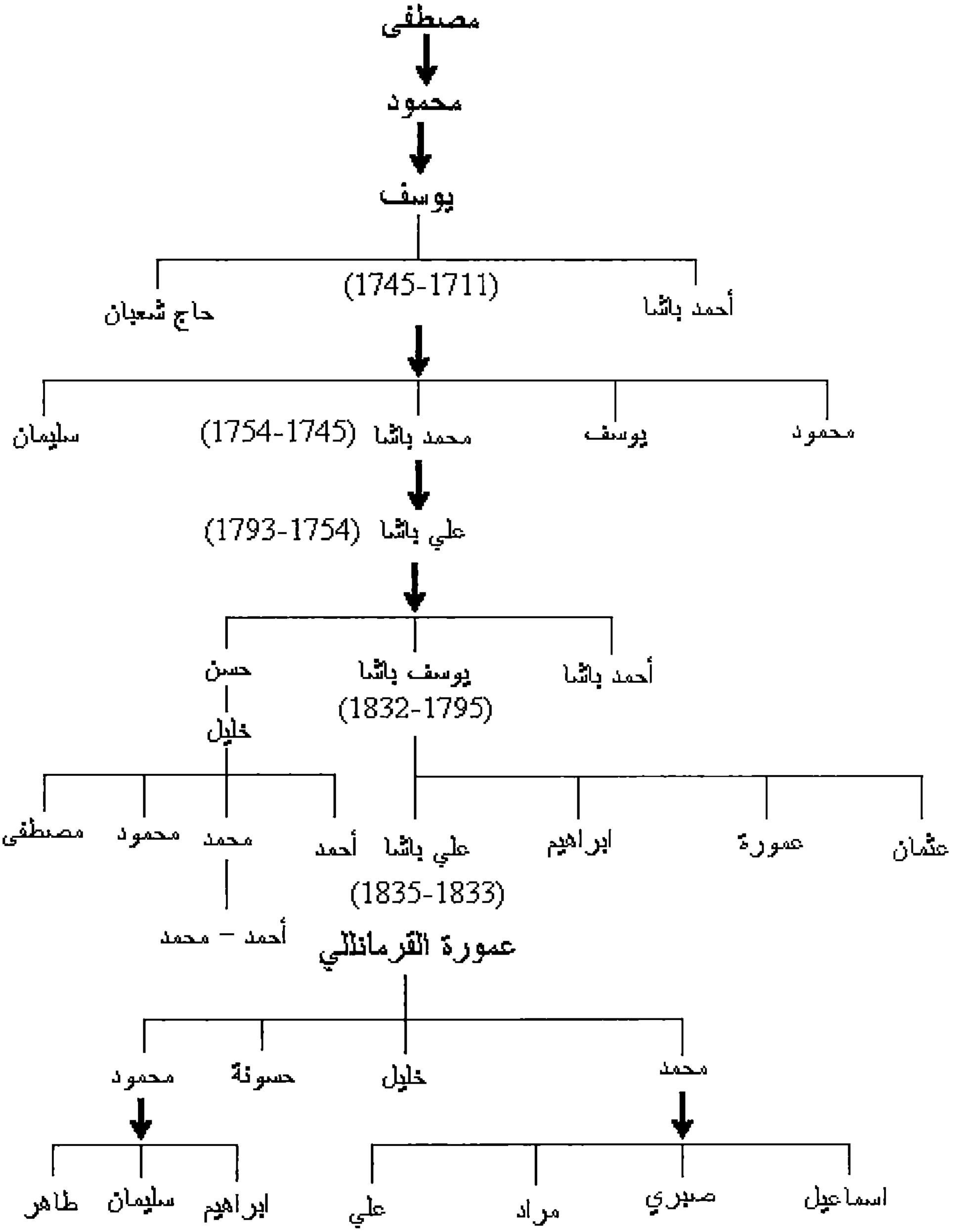
سامح باشا	1875-1874

1- قتل غومه في عهده. 2- أنشأ شارع العزيزية. 3- أنشأ برج الساعة.

مصطفى عصيم باشا	1878-1875
علي كمالي باشا	1878
محمد صبري باشا	1878
محمود جلال الدين بباشا	1879-1878
أحمد عزت باشا (للمرة الثانية)	1880-1879
محمد نظيف باشا	1882-1880
أحمد راسم باشا	1883-1882
كمال باشا	1898-1883
هاشم باشا	1899-1898
حافظ باشا	1903-1899
حسن حسني	1906-1903
رجب باشا	1908-1906
أحمد فوزي باشا	1909-1908
ابراهيم باشا	1911-1909
أحمد رشيد باشا (كاتب عام)	1911

ملحق رقم (3)

اسرة القرمانللي



- دفن محمود القرمانللي في مقبرة القرمانللي شارع الشط.
- مات يوسف في طرابلس قبل ولاية ابنه أحمد.
- الحاج شعبا، شقيق أحمد، قتل في الثورة التي قامت بطرابلس سنة 1721 م.
- محمود، ابن أحمد، كان واليا على برقة سنة 1720 م.
- كان يوسف ما زال حيا بطرابلس سنة 1730 م، وقد مات قبل والده.
- توفي سليمان في طرابلس سنة 1760 م.
- تولى أحمد باشا الحكم لفترة قصيرة، وقد انقلب عليه شقيقه يوسف.
- توفي أحمد في طرابلس في سنة 1828 م.
- تمرد محمد على والده يوسف باشا ومات بالقاهرة.
- اقام ابراهيم وعمورة بطرابلس، بعد سقوط الأسرة القرمانللية.
- مات عثمان في الاسكندرية.
- محمد، حفيد يوسف باشا، تمرد على جده خلال الفترة 1828-1835 م وقتل في نفس السنة.
- محمد شقيق حسونة كان قائدا للجندرمة في العهد العثماني وتوفي قبل الاحتلال الايطالي.
- خليل بك، شقيق حسونة، كان برتبة قائمقام ومات بطرابلس سنة 1914 م.
- حسونة باشا، عميد بلدية طرابلس تولى العمادة سنة 1896 م وتقلد عدة وظائف في الولاية، في العهد العثماني.
- محمود بك، شقيق حسونة، كان مديرا لجنزور والرقيعات.
- ابراهيم بك الابن الأكبر لحسونة باشا، كان ضابطا في سلاح الفرسان. استشهد في العزيزية اثناء الاحتلال الايطالي.
- سليمان بك، ابن حسونة باشا كان ملحقا بديوان الحكومة في العهد العثماني.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربية والمعربة

ابراهيم أحمد أبو قاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية، تونس : مؤسسه عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، بلات.

إبراهيم سليمان الضراط ،جهاد ليبيا الدبلوماسي في أروقة الأمم المتحدة 1945 -1955 ،طذ، مصراته، دار المنار للطباعة والنشر، 2012.

ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي، طرابلس: مكتبة النور، ط 2، 1967.

اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م،تعريب : خليفة محمد التليسي، تونس: الدار العربية للكتاب، ط 2، 1991.

طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة محمد التليسي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر، 1985،

احسان عباس ،تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ،

أحمد زارم، مذاكرات صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، تونس : الدار العربية للكتاب، د. ت.

أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس: مكتبة الفرجاني د.ت،

أحمد صدقى الدجانى والحاج عبدالسلام أدهم ، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، بيروت دار صادر،1974،.

ادريس صالح الحري (تحرير) الاستعمار الاستيطاني الايطالي في ليبيا 1911- 1970، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين 1984،

باولو مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد ،،،ط2، تعريب : عبد الرحمن العجيلي ،طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ،1992.

بسام العسلي، القدرة البحرية، بيروت، دار اقرأ، 1981.

تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1930 – 1950 م. طرابلس منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسات جهاد الليبيين 1983.

جان كلور زليتنر، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا 1500–1795، تعريب: جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس: دار الجماهيرية، ط1، 2001.

جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير ج4، بيروت :دار النهضة، ط 1، 1981.

حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، طرابلس: سجل العرب، 1962

حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي، المجلد الثاني جـ 2، 3، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، 1992،

خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة، ليبيا–تونس: ادار العربية للكتاب، ط 2، 1985

،معجم معارك الجهاد في ليبيا ،1911–1931 ،ليبيا –تونس ،الدار العربية للكتاب ،1980.

رأفت غيتمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، طرابلس: دار النهضة للنشر والتوزيع، ط 1، 1972.

رضوان ابوشويشة، عند باب البحر، هوامش مجهولة من تاريخ طرابلس، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط 1، 1987.

رفعت عبد العزيز ،الجهاد الليبي في عشر سنوات 1912–1922 ،القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة ،1982.

رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، تعريب : طه فوزي، طرابلس: دار الفرجاني، 1961.

رودلفو غراتسياني، برقة الهادئة تعريب : إبراهيم سالم عامر، بنغازي، مكتبة دار الاندلس ط 3، 1980.

رياض عبد الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، القاهرة : المؤسسة الجامعية للنشر 1986م..

زاهية قدوره، تاريخ العرب الحديث، بيروت : دار النهضة العربية، 1967.

شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي، حتى الغزو الايطالي،تغريب وتحقيق، محمد عبد الكريم الوافى، طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط،2، 1983.

شكري محمود نديم، حرب إفريقيا الشمالية 1916 – 1943، بغداد : النبراس للنشر والتوزيع، ط5، 1945،.

صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، بيروت : المطبعة الفنية، 1970.

الطاهر أحمد الزاوى، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ط 2، 1973.

عبد الحفيظ الميار، الثورة الليبية والحركات العربية المعاصرة،لبنان: د رعون، حريصا : المطبعة التعاونية اللبنانية، ط،1 1970.

عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق : مكتبة أطلس، ط 1، 1974

عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ط1، تعريب :عبد السلام أدهم، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر ،1969

علي عبد الرحمن ضوي، المسؤولية الدولية عن الاضرار الناشئة عن مخلفات الحرب العالمية الثانية في الاقليم الليبي، طرابلس مركز دراسات جهاد الليبيين، 1983،

علي مصطفى المصراتي، أعلام طرابلس، طرابلس، مطبعة ماجي 1995.

علي الميلودي عموره، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، طرابلس: دار الفرجاني، 1993.

عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، مالطا : منشورات إلجا (ELGA) فاليتا ، 1996.

فوبليكوف وآخرون، تاريخ الاقطار العربية المعاصرة،جـ 2 موسكو : دار التقدم 1976م

كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، تغريب : عبد القادر مصطفى المحيش، طرابلس، مركز دراسة الجهاد الليبيين، ط 1، 1988.

مارتن مور، الشاطيء الرابع، تعريب :ة عبد القادر المحيش، ط1، طرابلس منشورات مركز الجهاد، ط1 1989.

حمد امحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومه المحمودي، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين، ط 1، 1988.

محمد بازامه، بنغازي عبر التاريخ، جـ1، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع د.ت،

محمد مصطفى بازامه، بداية المأساة أو التمهيد السياسي للاحتلال الايطالي، بنغازى، المطبعة الأهلية، ط 1، 1961.

محمد عبد الرزاق مناع، جذور النضال العربي في ليبيا، طرابلس : مكتبة الفكر، ط1، 1973.

محمد عبد الكريم الوافى، الطريق إلى لوزان، طرابلس دار الفرجانى،1977،

محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت: دار الجليل، 1977،

محمد المرزوقي، عبد النبي بلخير داهية السياسة وفارس الجهاد، ليبيا-تونس: الدار العربية للكتاب ط1، 1978.

مفتاح السيد الشريف، الاستعمار الايطالي لليبيا بواعثه أسبابه التاريخية، أعماله ونتائجه، طرابلس : دار النشر الليبية، 1970.

مجموعة من الأساتذة والباحثين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ج 2، طرابلس : مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1974.

مركز دراسة جهاد الليبيين ،قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الايطالي ،، 1911-1943 ،جمع وتحقيق حبيب وداعة الحسناوي ،طرابلس، 1988

مصطفي أحمد بن حليم (رئيس وزراء ليبيا الأسبق) ليبيا، انبعاث أمة وسقوط دولة، ط1 ،كولونيا (ألمانيا) ،منشورات الجمل، 2003.

مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالي، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين 1988.

مصطفى خوجه، تاريخ فزان، تحقيق حبيب وداى الحسناوي، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، 1989.

مصطفى على هويدى، الحركة الوطنية في شرق ليبيا، خلال الحرب العالمية الأولى طرابلس : منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين، 1988، ص 146-147.

منصور عمر الشتيوى، الغزو الايطالي لليبيا، تونس : مؤسسة الفرجانى، ط 2، 1970،

ن.إ برويش، تاريخ ليبيا منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969، تعريب : عماد حاتم،

طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1988.

،تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة عماد غانم، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، ط 1، 1991، ص 30.

الهاشمى بلخير، الهانى، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين، 1985.

هنرى أنيس ميخائيل، العلاقات الليبية – الانجليزية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للنشر، 1970،.

هنري حبيب، ليبيا بين الماضي والحاضر،تعريب : شاكر ابراهيم، طرابلس : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، 1981.

وليم س. أسيكو، أوربا والغزو الايطالي لليبيا 1911- 1912تعريب : ميلاد المقرحى، طرابلس : مركز جهاد الليبيين، 1988.

ثانيا :الندوات

ندوة، بعنوان عمر المختار، نشأته وجهاده، اشراف عقيل محمد البربار، طرابلس، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين 1981.

ثالثا :الدوريات

- مجلة الشهيد، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، العدد الثاني العدد الثاني، 1981 العدد الثالث،1982.

- مجلة الفصول الأربعة، طرابلس، رابطة الأدباء والكتاب الليبيين العدد 84، /يوليو، 1988.

- مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، العدد 1، 1982.

العدد الثاني، 1988م.

- مجلة الثقافة العربية، طرابلس، العدد 1، 1987.

رابعا :الموسوعات العلمية

- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، القاهرة: دار الشعب، د.ت،

خامسا : كتب أجنبية

Major Anthony. j. Cachia Libya under the secod ottoman occupations

1- . 1835 – 1911. Tripoli. dar far jani. 1975

السيرة الذاتية :

- أ د / فتحي حسن نصار .
- المؤهل العلمي : دكتوراه في العلوم السياسية ، عام 1989، جامعة وارسو، كلية العلوم السياسية والصحافة ، تخصص : علاقات دولية.
- عنوان لرسالة : السياسة المصرية تجاه القضية الفلسطينية (1948-1967) ، باللغة الانجليزية .
- **الدرجة العلمية : استاذ**
- **النشاط العلمي :**
- **الكتب المنشورة :**

- تاريخ الجركة العمالية العربية الفلسطينية، 1922- 1946 .
- تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر.
- التطورات السياسية للقضية الفلسطينية، 1964- 2010.
- النظام السياسي المصري والقضية الفلسطينية 1967- 1981 .
- مجموعة كتب منهجية مع اخرين لختلف مراحل التعليم.

- **الدوريات ومنها على سبيل المثال لا الحصر :**

- قراءه في الموقف الرسمي والشعبي المصري تجاه القضية الفلسطينية، 1947 -1948، مجلة الى الامام، ع2234 ، دمشق، 6-12 /5 /1994 .
- قراءه تاريخية في مقدمات حرب جزيران / يونيو 1967، مجلة الكاتب الفلسطيني، عدد مزدوج 14 / 15، تموز، أب، أيلول ،1991
- الصراعات المستمرة بين الثقافات الافريقية والتسلط الاستعماري، مجلة البحوث والدراسات الافريقية، عدد خاص 1988 .
- المؤتمرات العربية الفلسطينية ،1919- 1929، مجلة جامعة سبها ،ع 1، 1994 .
- أثر المتغيرات الدولية على مسار المفاوضات العربية –الاسرائيلية (1991- 2012) مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية، بني وليد، ع 2، سبتمبر 2013.

- ليبيا والصراع الدولي أثناء الجرب العالمية الأولى (1914 -1918)، المنتدى الجامعي ع 3، حريف 2012، كلية الاداب، بني وليد.
- استراتيجية الكيان الاسرائيلي السياسية للسيطرة على مصادر الاعلام ومؤسساته العالمية (1948- 2015) مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية، بني وليد، ع 6، سبتمير 2015.

كتاب " ليبيا من الاحتلال إلى الاستقلال، لارتباطه الوثيق بتاريخ حركة المقاومة للشعب العربي الليبي ضد الوجود الاستعماري بكافة أشكاله، من 1510 - 1951

لعل الحافز الذي ألح علينا في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، هو حاجة الطالب الجامعي في أقسام التاريخ والعلوم السياسية بصفة خاصة، والقارئ العربي بصفة عامة. متوخين سهولة عرض المعلومات، وترتيب الأحداث التاريخية بطريقة يسهل على الدارس استيعابها.

وحتى تتحقق الأهداف المرجوة ،من هذه الدراسة قمنا بتقسيمها إلى بابين : شمل الباب الأول، تمهيد تاريخي وأربعة فصول. تناول التمهيد التاريخي، تطور الأوضاع السياسية في ليبيا قبيل الاحتلال الأسباني-المالطي.

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE